قملة في تاج الملك

رواية: قملة في تاج الملك

المؤلف : هيثم مرتضى الهبلة

تدمك: 9789776583535

رقم الإيداع: 25496

تصميم الغلاف: عزت المتولى

مراجعة لغوية: جمال حليم

تنسيق داخلي: أسماء عطا

دار حرف للنشر والتوزيع

ت ٠١٢٢٤٩٠٠٦٣٣ -٠١٠٠٦٦٨٤٤١٦

Email :Hrf_publishing @ yahoo.com

٩١ شارع طه الدينارى _ الحى السابع _ مدينة نصر





رواية

قملة في تاج الملك



تأليف

هيثم مرتضى الهبلة

إهداء

إلى التاريخ

(وليسَ لنا فِي الحنين يَد
وفي البُعد كان لنا ألف يَد
سلامٌ عليك، افتقدتكَ جداً
وعليّ السَلام فِيما أفتقِد)

محمود درويش



"إن موسى قد احتاج إلى أربعين سنه ليصل ببني إسرائيل إلى ارض الميعاد أما حاييم وايزمان فلم يحتج أكثر من ثلاثين سنه ليفعل ذلك"

أرمله حاييم وايزمان

" و عندما نصل إلى مملكتنا يصبح من غير المرغوب فيه لدينا وجود عقائد غير عقيدتنا و على ذلك يتعين علينا جميعا أن نكتسح جميع الأديان و ان كان هذا يؤدى إلى وجود ملحدين ينكرون وجود الخالق فهذا ما لا يتعارض معه وجهه نظرنا و يعتبر في ذاته مرحله تطور و انتقال"

من بروتوكولات حكماء صهيون

الفصل الأول

بعد يوم عمل شاق عاد الدكتور سيف الدين إلى منزله يبحث عن الراحة ممنيا نفسه بقضاء ليله من ليالي الشتاء الممطرة مع أصدقاء عمره خاصة صديقه المهندس جلال حيث لا يلتقي بهم إلا قليلا لانشغال كل منهم بعمله

وصل إلى منزله في الحادية عشر ونصف مساء كما اعتاد يوميا... دون أن يغير ملابسه أو يتناول أي طعام ارتمى في حضن الأريكة بعد أن خلع رابطه عنقه ودارت في رأسه بعض الأفكار المتعلقة بعمله حتى دخل في نوم عميق لم يستيقظ إلا بعد فترة من الوقت على اتصال من صديقه جلال يعتذر عن عدم استطاعته مقابلته تلك الليلة لظروف مرض ابنه المفاجئ ...

امتعض وجه سيف الدين حيث إن الليلة التي ينتظرها طوال الأسبوع قد انتهت قبل أن تبدأ خاصة أن سيف الدين كان محبا كثيرا لأصدقائه وزملائه وجيرانه وبالأخص أصدقاء الطفولة حيث كان يبحث فيهم عن الدفيء النفسي والإشباع الأسرى التي افتقدهما بعد وفاه زوجته وسفر أولاده الاثنين ادهم وعمر خارج مصر ...

مرت دقائق من التفكير وهو يسأل نفسه ...

-ماذا سأفعل في تلك الليلة ؟

بعد تردد بين القيام من مكانه أو إكمال نومه اتخذ قراره بالقيام ذهب إلى مطبخه وفتح باب الثلاجة وبعد لحظات من التأمل في محتوياتها اخرج ما تبقى من عشاء الأمس قطعه من اللحم المحمر وقطعه خبز تناولهما دون تسخين ودون استمتاع وكأنه يأكل فقط ملبيا احتياجات جسده البيولوجية ذلك الاحتياج الذي لا يستطيع منعه انتهى من عشائه سريعا ثم شاهد فيلما تسجيليا عن الموساد الإسرائيلي وتاريخه القذر في اغتيال العلماء والكتاب العرب حيث كان يعرض على إحدى القنوات شارحا دور الموساد في التخلص من العلماء العرب لتكون لهم اليد العليا في صناعه الأسلحة النووية والذرية وعلوم هندسة الفضاء كان يعرض هذا الفيلم بعد خبر اغتيال احد العلماء العرب في احدي الدول الأوروبية أنتهي الفيلم الوثائقي يعد أن أيقظ داخله مشاعر الحنق والغضب والامتعاض أكثر وأكثر تجاه ذلك الكيان الصهيوني المغتصب للأرض والعرض

قرر سيف الدين التنزه قليلا لعله يقابل احد هنا أو هناك ليتجاذب معه أطراف الحديث كما تعود فكان دائما ما يجب أن

يتحدث مع عم احمد بواب العمارة المجاورة أو عم جرجس صاحب السوبر ماركت الكائن على أول الشارع الذي يقطن فيه ليخبراه عن أحوال المنطقة وأخبار سكانها ....ارتدي ملابسه الرياضية ثم نزل الدرج المؤدى إلي حديقة المنزل توقف قليلا محدقا حوله متفحصا أشجار الحديقة وسورها الشاهق حيث كان كل شيء على ما يرام ... حيث قد اعتاد سيف الدين منذ فتره أن يتفحص الحديقة ومحتوياتها كل ليله خاصة بعدما أن سمع كثيرا عن أخبار السرقة والسطو المسلح التي ازدادت معدلاتها في الفترات الأخيرة ومن ناحية أخري الاطمئنان علي الحديقة واشجارها ونباتتها وبعد ان أطمأن على كل شيء خرج سيف الدين ليتجول في الشوارع المحيطة بمنزله الكائن في أطراف العاصمة ...



مرت الدقائق وهو يستنشق هواء الشتاء المنعش ناظرا لأضواء السيارات وفاترينات المحلات والأنوار الخافتة المنبعثة من داخل منازل الحي الراقي التي كانت تعطيه إحساسا يفتقده ويتمناه ... إحساسه بأسرته حيث مازال يتألم بفراق زوجته الراحلة والتي

أخذت معها كل شيء جميل في حياته حتى آتى سفر أبنائه ليأخذ ما تبقى من فرحته وابتساماته

تلك الزوجة التي لم تبخل عليه بمجهود أو تضحية له أو لأبنائه كان يتمنى أن تكون بجواره لكي يرتمي في حضنها يروى ظمأه النفسي والجسدي كما ترتوي الأرض من ماء المطر خرج من ذكرياته على أصوات أبواق إحدى السيارات المسرعة التي كادت أن تصدمه وهو سائر وسط الطريق هائما في ذكرياته شاردا في تفكيره ...

صعد سريعا فوق الرصيف الملاصق للطريق محاولا الاحتماء من السيارات وماء المطر المنهمر حيث اتخذ من إحدى المظلات الخاصة بموقف الأتوبيسات العام ساترا له ولم تمر إلا لحظات قليله حتى انقطعت الكهرباء عن المنطقة بأكملها وساد الظلام الدامس حتى لم يستطع أن يرى راحة يديه ...

يا لها من ليله كئيبة قالها سيف الدين قبل أن ينتفض من مكانه عائدا إلى منزله على أضواء السيارات القليلة المارة في الشارع ولكن تلك المرة كان أكثر حرصا في سيره حتى وصل سيف الدين بعد عناء شديد إلى منزله وهو لا يفكر إلا في كيفيه قضاء ليلته ثم بدء

يتبصص طريقه داخل المنزل علي ضوء كشاف هاتفه المحمول ولكن في تلك اللحظة وقعت عيناه على غرفه البدروم وكأنه أول مرة يراها ولكن ما لفت نظره تلك المرة أن هناك ضوء خافت يأتي من داخلها يعكس لونا ذهبيا على زجاج بابها فرك سيف الدين عينيه بيديه محاولا أن يخرج من تهيأته ولكن دون جدوى استمر الضوء الخافت يداعب عينيه

ذهب سيف الدين إلى باب الغرفة محاولا فتحه ولكن أكتشف أن مفتاح الغرفة ليس بحوزته فصعد مسرعا إلى شقته يحاول إن يتذكر أين يختبئ ذلك المفتاح ...

أكمل سيف الدين بحثه عن المفتاح على أضواء كشاف هاتفه المحمول الذي أوشك أن ينتهي شحنه حتى وجده أخيرا في احد أدراج المطبخ وقد بدا عليها الصدئ أخذه مسرعا ممسكا إياه بشده وكأنه قد وجد كنزا ثمينا متجها إلى الأسفل مره آخرة مسرعا كما صعد.

ادخل المفتاح في كالون الباب وهو يحاول جاهدا فتحه ولكنه لم يتمكن إلا بعد فتره من المعاناة وكأن كالون الباب يرفض أن يترك

المفتاح يهرب من حضنه مره أخرى حيث التصقا يبعضهما البعض وكأنهما يعوضان بعدهما حيث لم يلتقيا منذ سنوات ولو قليلا

اصدر الباب صريرا عند فتحه وكأنه يعبر عن فرحته بالزائر الجديد ... تزامن فتح الباب مع عوده التيار الكهربائي مره أخرى للمنطقة وكأن عوده التيار هو الأخر يرحب به عادت به الغرفة ومحتوياتها من كتب ومتعلقاته القديمة إلى زمن بعيدا حينما كان طفلا صغيرا أخذ يحدق فيها وفي محتوياتها ويتذكر ماضيه فيها وماضي أسرته ...

❊❊❊

ابتسم سيف الدين وقال لنفسه وهو يشير الي أرجاء الغرفة ومحتوياتها:

-هنا لعبت مع أدهم وعلى تلك الدراجة وقع عمر وكسرت يده ذات مره ... وهنا كانت تجلس زوجتي تحكى لهما قصص وحكايات ... اخذ يتذكر ويتذكر حتى بدأت تتجمع الدموع في مقلتيه متحفزة للانطلاق ولكنه خرج من ذكرياته بعد أن شعر بهبوب رياح شديدة تدق على شباك الغرفة الوحيد بعنف مصدرة

صوت حفيف أمتزج بصوت الورق الذي بدا يتبعثر ويتطاير حول جسده.

اخترقت الرياح فتحات الشباك حيث تحرك علي اثرها مصباح الغرفة يمينا ويسارا ومعه بدأ سيف الدين يستنشق رائحة المطر الندية المشبعة برائحة ذرات الورق المتطايرة من الكتب القديمة التي تقلبت صفحاتها مع هبوب الرياح والتي بدت تداعب خلايا جسده وخاصة أذنيه وكأنه تحدثه قائله له :

-تمر على في اليوم أكثر من مره ولا تعترينى بنظره

-أنا الغرفة التي بها ذكرياتك وذكريات أبائك

-أنا الغرفة التي بها رائحة طفولتك البعيدة

-أنا الغرفة التي بها كتب أبويك التي عاهدتهم من قبل على حفظهما.

كان حال سيف الدين كرضيع يتحسس صدر أمه ليرتوي منها فأخذ يحدق في الغرفة وما بها من متعلقاته ومتعلقات أولاده من العاب ومجلات وكتبه تارة وكتب أبويه وأجداده تارة أخرى شعر حينها بسعادة غريبة لم يشعر بها من قبل وهو يرى متعلقات من

أحبهم وأحبوه حتى أن ساعات الليل قد مرت عليه سريعا وكأن سعادته بالمكان أفقدته إحساسه بالزمان.

لم ينتبه سيف الدين إلا على صوت منبه هاتفه المحمول والذي أعده مسبقا للاستيقاظ لصلاه الفجر كما تعود ولكنه لم يقم من مكانه بل أغلق الهاتف ثم عاد متلهفا باحثا بين محتويات الغرفة وكأن فرحته بما وجد أنسته صلاه الفجر وهو الإنسان المؤمن الذي قلما يترك فرضا أو نافلة إلا وواظب عليها حتى حفظه للقران الكريم الذي أتمه وهو في العقد الأول من عمره أستمر في مراجعته دائما.

***

أشرقت الشمس وداعبت أشعتها عينه حين ذلك بدأ يدرك أن عليه أن يرتاح ... لا رغبه في النوم ولكن لأنه اعتاد ذلك حيث يستيقظ صباحا ليبدأ عمله في المستشفى ويظل باقي اليوم في عيادته الخاصة حتى ينتصف الليل وهكذا كانت حياته تدور في روتين شبه يومي بمواعيد ثابتة تخلو من الاستثناءات إلا قليلا ولكنه لم يتحرك من مكانه وظل متصفحا لكتب والده الدكتور محمود

أستاذ التاريخ في كليه الآداب وكتب جده العالم الازهري الشيخ مختار سيف الدين .

هذا كتاب تاريخ وأخر في التفسير وتلك موسوعة في علم النفس وذلك بحث عن أصل المصريين وأخر عن الشعر الجاهلي ومئات أخرى من الكتب والمجلات والجرائد والروايات والقصص في كل المجالات حتى انه كان يوجد مقالات مقصوصة موضوعه بعناية داخل أظرف كبيره صفراء اللون معنونه بمحتوى المقالات الموجودة بداخلها حتى لفت انتباهه ملاءة قديمه باليه مغطى بها شيء ما ... قام مسرعا نحوها نازعا إياها حتى وجد تحتها صندوق خشبي أشبه بالتابوت ذهبي اللون فأخذ ينظف سطحه من التراب الكثيف المتراكم عليه منذ سنوات بيديه العاريتين حينها بدء يسعل بشده حتى تناثر الغبار بعيدا عنه فهدا السعال وظهرت له نقوشات مرسومه ومحفورة بطريقه بديعة يتوسط تلك الرسوم تجويف صغير لقفل غير موجود فتحه دون صعوبة ليجد الصندوق من الداخل مبطن بقماش مخملي ارجواني اللون مثبت بمسامير نحاسيه كل رأس مسمار به كتابات شبيهه بالهيروغليفية ...

بطريقه لا أراديه وضع سيف الدين جسده بداخله وكأن هذا الصندوق صنع خصيصا لجسده شعر حينها بسعادة غامره سعادة طفل فى حضن أمه زادت رويدا رويدا مع كل صفحه يقراها من الكتب الكثيرة المنتشرة يمينا ويسارا حول الصندوق لم يغادر سيف الدين الغرفة حتى بدأ يتثاءب وكأن النوم ينتظر تلك الفرصة للهجوم عليه حتى غط سيف الدين في نوم عميق ... نوم مليء بالفرح والسرور وذكريات الطفولة وحنين الماضي حتى بدا وجهه مبتسما لا يعبئ بفراش وثير أو غطاء حرير ...

الفصل الثاني

استيقظ سيف الدين لا يدرى كم من الوقت مر عليه هل نام يوما أو يومين ولكنه كان مدرك انه شبع كثيرا من النوم تلك المرة.

مد يده جانبا يحاول أن يلتقط هاتفه المحمول ولكن شعر حينها بأنه يمسك حبات رمل ساخنة انتفض قائما محدقا حوله فالمكان غير المكان ومئات الكتب التي كانت موجودة اختفت وكأنها غاصت في أرضيه من الرمال حتى حوائط الغرفة ذات اللون الأبيض وما تحمله من تابلوهات زيتيه قد تحولت إلى طوب لبن مليء بالثقوب وسقف من الخشب والبوص يتدلى منه بقايا خيوط عناكب تعكس بعض أضواء النهار المحمل بالغبار حتى الصندوق الذي كان مسترخيا ساكنا داخله لم يعد موجودا كبخار ماء تباعدت ذراتة في صعودها حتى اختفي تماما

ذهب يمينا ويسارا حتى انه كاد أن يفقع عينيه وهو يفركهما بيديه محاولا أن يفيق مما هو فيه لكن دون فائدة حتى شعر انه قد إصابته الهلاوس ...

مر الوقت عليه وهو جالس القرفصاء واضعا رأسه بين ركبتيه وكأنه يتحاشى رؤية الوضع الجديد ظل وحيدا شريدا متقوقعا

على نفسه في زاوية الغرفة حتى بدء يستوعب ببطىء وتثاقل أنها ليست هلاوس بل واقع جديد وسرعان ما مرت الأسئلة في رأسه كخيول تتسابق في ملعب فروسية فلا يكاد يسأل نفسه سؤالا حتى يأتي سؤال أخر حتى انه امسك رأسه بكلتا يديه متوسطا الغرفة دائرا حول نفسه صائحا :

-أين أنا ؟

خرج من تساؤلاته متجها نحو شباك صغير أو بالأحرى بقايا شباك كان يوجد هنا منذ ألاف السنين ... رفع جسده بيديه ممسكا أسفل الشباك مشرئبا بعنقه نحو فتحته محاولا أن يرفع رأسه ليرى منه أي شيء ولكن هاله ما رأى حيث كان لا يوجد أي شيء بالخارج إلا صحراء صفراء لا نهائيه تلامس السماء على امتداد بصره ترك يديه ببطىء ليهبط بجسده على ارض الغرفة باكيا بصوت عالي متسائلا :

-أين أنا ؟ أين منزلي ؟ أين جيراني ؟ أين المدينة ؟ ماذا حدث ؟ هل حياتي السابقة كانت حقيقة وأنا احلم ألان وسرعان ما سأعود كما كنت ؟ أم حياتي السابقة هي الحلم وأنا ألان في واقعي الحقيقي؟

اخذ يصرخ و ينادى كالمجنون:

- ماذا حدث ؟ هل تعرضت البلاد لقنبلة نوويه من قبل الأعداء ؟

❊ ❊ ❊

مرت الدقائق التالية صعبه قاسيه ثقيلة على عقل وقلب سيف الدين حين انجلت شكوكه وأصبح متيقنا أنه في مكان غير المكان ... بدء يهدئ من نفسه كي يفكر فيما هو فيه حتى رأى باب متهالك في أقصى يسار الغرفة ذهب نحوه مسرعا وهو يقول لنفسه لا فائدة من المكوث هنا يجب أن اخرج لعلى أجد من يشرح لي ما نحن فيه ...

خرج سيف الدين واضعا كلتا يديه فوق عينيه محاولا حمايتهما من أشعه الشمس الحارقة ناظرا يمينا ويسارا دون أن يرى أي اثر لأي حياه عن قرب ثم عاد ينظر إلى داخل المنزل وهو يقول إن مكثت هنا في ذلك المنزل المتهالك سوف اهلك مثله ... ربما بلدغه أفعى أو بقرصه عقرب أو أموت بنزله شعبيه من برد الشتاء وإن نجوت من هذا كله فربما اهلك جوعا وعطشا ... لا مفر من المغادرة فربما نجوت بنفسي ...

سار سيف الدين هائما على وجهه لا يدرى في أي اتجاه يسير أو على أي اثر يقتفى.

ساعات مضاها سيف الدين تحت أشعه الشمس الحارقة دون كلل أو ملل على أمل أن يجد طريقا قريب منه أو معسكرا للجيش أو موقع من تلك المواقع التابعة لشركات البترول المنتشرة في الصحراء التي كان يراها دائما أثناء سفره المتعدد خارج مصر لحضور تلك المؤتمرات الطبية التي تعقد باستمرار.

***

دون جدوى سار حتى كاد أن يتقطع جسده من العطش والجفاف حتى انه حاول أن يبلع ريقه ليرطب حلقه لكن دون فائدة فمياه جسده كانت قد أوشكت على النفاذ توقف قليلا ليريح جسده ولكن أي راحة في درجه حرارة تصل إلى الخمسين في بحر من الرمال تغلي من تحت قدميه وعواصف رمليه تحوم حوله من كل اتجاه ؟ عواصف تعمى الإبصار وتزكم الأنوف حتى انه بدأ يشعر بحبات الرمال داخل فمه وبدأ يتسأل :

-هل امضي أم أعود ... ؟ ماذا أفعل ... ؟

ثم سجد على ارض الصحراء باكيا داعيا الله آن يخرجه مما هو فيه.

مرت الدقائق ثقيلة بطيئة وهو ينظر هنا وهناك وكأنها دبت فيه الحياة قام منتفضا ثم ركض مسرعا نحو شيء ما ... شيء يلمع تحت أشعه الشمس

صاح ضاحكا كالمجنون " قافلة " أنها اثأر قافلة مرت من هنا قالها بعد أنتشل من الرمال قطعه معدنية شبيهه بقطع النقود الأثرية القديمة التي كان يحب أن يجمعها في أيامه السابقة وجدها ملقاة وحولها اثأر أقدام تبدو لبعير مرت حديثا من هنا ولم تمحوا الرياح أثرها بعد ...

بدأ يصرخ :

-أنا هنا ...؟ هل من احد هنا... ؟

داهمه الأمل وأخذ يكرر مناداته وتسأولاتة كثيرا حتى أوشك أن يبح صوته ويتوقف قلبه كرر ندأته مرارا وتكرارا دون فائدة أو اجابة حتى ارتمى على ارض الصحراء الساخنة وهو بالكاد يفتح عينه ليرى بعض الطيور الجارحة تحوم حوله منتظره موته حتى تلتهمه استسلم سيف الدين لقدر ليس منه مفر ولا هروب.

حاول سيف الدين جاهدا أن يفكر في طريقه لإنقاذ نفسه حتى أصبح التفكير عصيا على عقله حتى انه بدأ يشعر أن الدماء في عروقه تغلي بداخله.

مر الكثير من الوقت على جسد سيف الدين الملقى في وسط الصحراء دون حراك ولكن سرعان ما أفاق على عصى غليظة تضرب قلبه وكأنها مثل سماعه طبيب تتحسس نبضه وصوت يصيح من فوقه بلغه غريبة أحس وكأنه أول مره يسمع مفرداتها ولكن الغريب في الأمر انه كان يفهمها تماما يفهمها وكأنها لغته الأم حيث كان صوت أجش يقول :

- انه حي ... انه حي

ثم دخل بعدها فى غيبوبة وكان أخر ما رأى كانت تلك الوجوه غريبة الهيئة والملامح وكأنها وجوه من عصور ما قبل التاريخ ثم ذهب مغشيا عليه.

***

بعد عده ساعات من فقدان الوعي فتح سيف الدين عينيه بصعوبة وتثاقل ليجد نفسه داخل خيمة كبيره ... خيمة كبيرة يتوسطها نخلة عظيمة استخدمت كعماد صلب يحمل سقفها يتدلى

منه أفرع خشبية مثبتة فيها معلق بها قماش سميك ملون يحجب عن أرضيتها الترابية أشعه الشمس بينما كان كان هو نائم مستلقيا على صندوق خشبي ملتحفا بقطعه قماش من الكتان الخشن لاحظ ان بجواره في الخيمة الكثير من الرجال والنساء والأطفال اغلبهم من الأفارقة ذوى البشرة الداكنة منهم من يأكل ومنهم من ينام والبقية منهم يتحدثون بلغه غريبة غير التي تحدث بها قادة القافلة لغة اقرب إلى الصياح وكأنهم قد أتوا للتو من مجاهل أفريقيا وبجوار الصندوق الذي ينام فوقه كان هناك رجل ابيض ذو لحيه حمراء كثيفة يجلس على صخره ممسكا بعصي رفيعة يداعب بها أرضيه الغرفة الرملية منتظرا ذلك النائم حتى يفيق من غيبوبته.

وما إن لمح ذلك الرجل يد سيف الدين تتحرك ليهش بها الذباب من على وجهه حتى قام مناديا لمن معه خارج الخيمة ثم دخل الرجل ومعه اثنان من بني جلدته سأله أولهما :

-من أنت ؟ من أي مكان أتيت؟ وما هذه الملابس الغريبة التي ترتديها ؟ وماذا كنت تفعل وسط تلك الصحراء القاحلة ؟

حاول سيف الدين أن يجلس ولكن خانته قواه حيث كان منهك القوى شريد الفكر وبعد مساعده احد الرجال الثلاثة له

جلس على الصندوق ممسكا ذراعه الأيمن بيديه اليسرى وهو يتأوه ويتألم ...

التزم سيف الدين الصمت وهو يحملق في الخيمة وما بها من رجال بيض وعبيد سود واخذ يفكر ويفكر فيما سوف يقوله حتى تظاهر انه فاقدا للنطق.

اخذ الرجال البيض يتناقشون فيما بينهم في أمر ذلك الغريب فقال احدهم وكان يدعى أبو :

- ربما تعرض هذا الغريب لحادث افقده الوعي وهو يصطاد

رد عليه خيان لا مباليا :

-ربما كان في قافلة وضلوا طريقهم في وسط الصحراء

نظر الثالث وكان يدعى سكن إليهما ساخرا قبل ان يقول لهم :

-يالكم من أغبياء ...قبل أن يضيف منفعلا : أنني اجزم انه جاسوس من قبل أعدائنا القوه في طريق قوافلنا ليعرف أخبار قومنا وعدتنا وعتادنا حتى أنى لأظنه يتظاهر بفقدانه النطق حتى لا يحكى لنا عن شيء ...

وقع الكلام على أذني سيف الدين كالصاعقة ولكنه التزم الصمت معطيا لنفسه وقت أكثر لكي يفكر فيما يفعل حتى سمع خيان وهو يقول :

-أيا كان ذلك الغريب سوف نبيعه عندما نصل إلى أتريب مع باقي العبيد ...

هز أبو رأسه موافقا على اقتراح خيان قائلا : نحن نخاسون لا يهمنا من نبيع والى من نبيع ثم أضاف قائلا وهو يشير بأصبعه إلى باقي العبيد :

-ربما كان ثمنه اغلي من هؤلاء الهمج فهيئته وملامحه حتى رائحته تدل على انه ذو نسب وأصل يختلف عما عرفناه من قبل فربما كان كنزا ألقته السماء في طريقنا لنبيعه لثرى من العامو أو حتى إلى احد المصريين الأغنياء القلائل أو لأحد الكهنة فلننتظر حتى نصل إلى صديقنا جار في أتريب فهو أجدر منا بتقديره و بيعه أو استبداله.

قاطعه خيان رافضا اقتراحه حيث قال :

-فلنبعه نحن ونوفر ما نعطيه لجار من عمولة ...

لكن سارع سكن برفض اقتراحه قائلا له في حزم وصرامة وهو يشير بسبباته نحوه :

- إن استخسرت ما تعطيه لجار فربما نفقد الصفقة كاملة فكما تعلمون هنا في ارض مصر لا يوجد سوق للنخاسة بينما يوجد وكلاء معتمدين من قبل الحاكم مسئول عن عمليات شراء وبيع العبيد لحفظ حقوق البائع و المشترى وحتى المباع

مر ذلك الحوار على أذني سيف الدين وهو عاجز عن النطق بأي كلمه خوفا من قتله ... واخذ يتابعهم حتي انصرفوا من الخيمة وما لبثت أن دارت في نفسه التساؤلات ...

-ما هذه اللغة التي يتحدثونها ؟ وكيف لي أن افهم لغتهم و كأنها لغتي ؟ أين أنا ؟ في أي زمان وفي أي مكان أنا ؟ كيف أتيت إلى هنا؟ من هؤلاء ؟ أتكون تلك نهايتي كعبد أباع واشترى ؟ أم تكون نهايتي خادما في بيوت هؤلاء الهمج والرعاع ؟

تحدث في سره قائلا :

-أكيد أنا احلم ... بالفعل أنا احلم ولكن ليس حلم عادى انه كابوس.

***

حاول سيف الدين جاهدا أن يفيق مما هو فيه ولكن هيهات حتى أصبح متيقنا انه في واقع جديد ... واقع سخيف يختلف كليا وجزئيا عن حياته الماضية التي عاش فيه.

بعد فترة عاد سكن الي خيمة العبيد مرة اخري صائحا فيهم مركزا نظره نحو سيف الدين : استعدوا للانطلاق كل منكم يجهز نفسه سوف تتحرك القافلة نحو أتريب بعد قليل ثم أكمل تهديده لهم قائلا في نبرة حادة :

-لا أريد أي أعمال شغب... لا أريد أي أفعال غير مسموح بها...

من سيخالف تلك التعليمات سوف يقتل دون رحمه ليكون طعاما لطيور السماء الجارحة ثم خرج من الخيمة وهو يكمل تهديده لهم حتى اختفى عن أنظارهم

بدء كل من في الخيمة يجهز نفسه واحتياجاته هذا شخص يوقظ أخر ليستعد وشخص أخر يضع ملابسه في ما يشبه البؤجه وأخر يقوم بفك الخيمة وأخر يقوم بتمشيط أرضيه الخيمة بحثا عن شيء مفقود وبدا المنظر كخليه نحل تنفذ أمر ملكتهم

***

تحركت قافلة العير في الصحراء اللامتناهية كأفعى تتلوى على رمال الصحراء الساخنة وسط دوامات الهواء اللافح يقودها سكن على ناقته يتبعها تسعه من الجمال حيث كان عنق الأخيرة مربوط في ذيل من قبلها وهكذا حتى تصل إلى ذيل الناقة الأولى التي يقودها سكن .

كانت العير محمله بالمؤن وبالعدة والعتاد اللازم لاجتياز مجاهل الصحراء كل ناقة يمتطيها شخص من بني جلدتهم حيث كانوا سبعه جنود مع سكن وأبو وخيان أشبه بفرسان محاربين وكأنهم ملوك تلك الفيافي مدججين بالأسلحة من سيوف ورماح وسهام وأقواس وبلاطي يتدلى من كسوه كل ناقة من يمناها ويسراها حبال غليظة خشنه مربوط في كل حبل أيدي العبيد ومنهم سيف الدين.

لم تكن يد واحده تكفى بل كلتا اليدين لكل عبد مربوطة تماديا في التامين حتى لا يفكر أحدا منهم في الهروب.

كان صوت دقات قلب سيف الدين اعلي من دوى الأجراس المدلاه من أعناق الإبل الممزوج بأغاني وأهازيج العبيد الأفارقة حيث كان الخوف من المجهول يعتصر قلبه وعقله كمدا وألما.

تحركت القافلة ومعها تحركت كل خليه داخل جسده وكأنها تنتفض رفضا لمصير كتب عليه أن يحياه في بحور الرمال الذهبية اللون التي تخفى داخلها الكثير من الكنوز والأسرار.

بين مسير عسير واستراحات متقطعة أمضت القافلة ثلاثة أيام بلياليها حتى بدت الأرض تكتسي بخضار الحقول الذي بدا كلوحه فنيه بديعة خلفيتها صفراء بتقطعها خطوط خضراء تلتصق بسماء زرقاء وكان اللون الأخضر يزيد رويدا رويدا ومعه يقل اللون الأصفر حتى رائحة الجو بدت هي الأخرى تتغير من هواء محمل بالغبار يزكم الأنوف إلى هواء محمل بروائح الحقول والحدائق وعبير الزهور والثمار هواء يريح الصدور والنفوس حتى أصبحت القافلة على مشارف المدينة المنتظرة أتريب.

دخلت القافلة ببطيء إلى حقول المدينة تتمايل على طرق ترابية بدائيه مليئة بالفلاحين منهم من يزرع ومنهم من يحمل محصول حقله على ظهر حماره وأخر يجلب الماء العذب من الترع والقنوات المائية المنتشرة على جانبي الطريق .

غاص سيف الدين في تلك اللحظة في ذكريات طفولته حيث خيل إليه انه يشاهد تلك المناظر للمرة الثانية حيث انه قد رآها

مسبقا عندما كان يذهب مع والديه إلى قرية جده لأبيه في محافظه المنوفية قبل أن تنقطع تلك الزيارات بعد وفاه جده قال سيف الدين محدثا نفسه : هي هي نفس الأرض ونفس الرائحة ونفس الفلاحين البسطاء المنكبون نهارا على وجوههم لمتابعه أرضهم النائمون ليلا لاستعاده قواهم ليوم جديد من العمل الشاق.

أفاق سيف الدين من ذكريات الطفولة عندما بدأت تدخل القافلة إلى قلب المدينة العامر النابض بالحياة قلب مدينه أتريب.

***

كانت المدينة مترامية الإطراف محاطة بأسوار عاليه من الحجارة الممزوجة بالطوب اللبن والطمي يتخلل تلك الأسوار أبراج عاليه يعتليها جنود الحراسة بملابس شبيهه بملابس المحاربين القدامى للمراقبة ومتابعه ما يحدث خارج وداخل المدينة.

دخل سيف الدين المدينة بجسده بينما كان عقله غائبا في حاله من الذهول والاندهاش مما يرى حيث بدء يشاهد نوعيه جديدة من البشر ... نوعية جديده لم يراها من قبل حيث كانت ألوانهم بين الأبيض والأحمر والأسمر حتى اللون الأشقر والشعر الذهبي

كانا موجودان بكثافة وكأنه في كرنفال دولي يقام اليوم وهؤلاء البشر ممثلين عن كل بقاع العالم.

كانت اغلب ملابس الرجال عبارة عن آزره طويلة تغطي الجزء السفلى تمتد من أسفل البطن حتى أخمص القدم لباس يشبه اللونجى وهو لباس أهل اليمن وجنوب المملكة العربية السعودية حينما رآهم من قبل بهذا الزى في إحدى سفرياته حينما كان يعمل هناك أما الأجزاء العلوية من الجسم كانت تغطي بقطعه قماش قصيرة واسعة ذكرته ببافته الأطفال موضعه على أكتافهم مدلاه بشكل دائري حول أعناقهم تاركين بطونهم عارية وكان آخرون يغطون نصفهم السفلى فقط دون العلوي وآخرون عراه تماما كما ولدتهم أمهاتهم.

بينما كانت اغلب النساء يرتدين ملابس شبيهه بالجلابيب ذات لفات دائرية كثيرة مصنوعة من الكتان الناعم إن كن أغنياء أو الكتان الخشن المفتل إن كن من الفقراء وكان أيضا هناك نساء أخريات يكتفين فقط بتغطيه أجزائهن السفلية حتى وسطهن تاركين أثدائهن تتمايل يمينا ويسارا دون إبداء أي حرج أو استغراب.

وسط ذهول واندهاش أكمل سيف الدين ورفقته طريقهما إلى المعبد الرئيسي تاركين الإبل في حظيرة كبيره معده خصيصا للخيل والإبل التي تأتى مع أصحابها الغرباء الراغبين في التجارة أو مقايضه البضائع مع أهل المدينة أو الاستراحة فيها .

واصل الركب المسير إلى المعبد الكبير مارين في طريقهم بالسوق الرئيسي القابع في وسط المدينة الذي كان يشبه كثيرا أسواق الريف المصري حيث كان به أماكن كالدكاكين الثابتة حوائطها من الطوب اللبن وسقوفها من جريد وسعف النخيل وأخرى كالخيام المتنقلة يعرضون فيهم مختلف البضائع فهذا محل أواني فخاريه يعرض فيها أواني من كل الإشكال والأحجام يتوسطها صانعها جالسا بأدواته البدائية يكمل صنع ما بدئه ومكان أخر للحدادة معروض بداخله شتى أنواع الأسلحة من سيوف ودروع وسكاكين ورماح وبلاطي خلفهما يقبع فرن ناري يوقده حداد اسمر لونه من لهيب النار اللافح وحانات أخرى مخصصه لبيع الذهب والأحجار الكريمة بجوارها دكاكين أخرى لبيع الإعشاب الطبية والزيوت العطرية يفترش الأرض أمامهم أناس كثيرون يبيعون أو بالأحرى يقايضون بضاعتهم من ثمار

وخضار وحبوب بما يحتاجون وكان يوجد في أخر السوق محلات مخصصه لبيع الأقمشة من أنواع وألوان متعددة كان يغلب عليها اقمشه الكتان الخشن الذي يناسب أسعاره معظم أهل المدينة البسطاء.

لم يكف سيف الدين عن تحديقه فيما حوله إلا بعدما وصلا إلى المعبد الرئيسي ذو المدخل العالي المهيب الذي يتوسط السور المليء بالعمدان والمسلات التي من علوها تكاد أن تعانق سحب السماء حتى لفت نظره تمثال كبير عرفه حتى قال محدثا نفسه : انه حورس ... أنى اعرفه جيدا ... انه حورس أنى قد قرأت عنه كثيرا في كتب التاريخ وشاهدته مرارا و تكرارا في الكثير من الأفلام الوثائقية.

انه حورس رمز الخير... هذا تمثاله المكون من جسد شاب له رأس صقر انه حورس المنتقم لأبيه اوزوريس اله البعث والحساب عند القدماء المصريين من عمه ست رمز الشر أو الشيطان الذي قتل اوزوريس وقطع جسده ووزعها في إرجاء مصر والتي جمعت أجزائه فيما بعد أمه ايزيس وجامعته حتى حملت منه بحورس حامى أبيه كما يقال حتى من جاء من بعده من الملوك والرؤساء كان يزين معابده باسم حورس الحي تخليدا ووفاء له حتى أصبح

اللقب من أقدم الألقاب المستخدمة لملوك مصر القديمة حتى انه رسم على لوحه الملك مينا ممسكا برؤوس أعدائه المهزومين

حورس والد حابى وامستى و دوموتيف وكبحسنوف التي تقول عنهم الأساطير القديمة أنهم كانوا يرسلون من قبله إلى جهات مصر الأربعة لتتويج ملوك المصريين المعتلين لعرش مصر من بعده في الدنيا الواقفون على زهره اللوتس لمحاسبه الأموات في الآخرة وها هو تمثال أخر لكنه ليس لحورس بل لعدوه ست رمز الشر قاتل ايزيس أبو حورس.

ست اله العواصف والفوضى والخراب والظلام تسأل سيف الدين في ذهول وحيرة :

-كيف يجتمع معبودين متناقضين في معبد واحد ؟ انه لمزيج غريب في عصر غريب

ثم قال في صوت غير مسموع يملؤه الشك والاستنكار :

- يا للهول أين أنا ؟! هل أنا في عصر قدماء المصريين ؟! هل اختارني القدر للرجوع إلى الوراء ألاف السنين؟! و لكن لماذا أنا؟! ولما أنا ؟! و كيف آتيت إلى هنا ؟!

صاح سكن في سيف الدين قائلا له في عنف : ها أنت تتكلم أيها العبد بالك من ماكر خسيس ... رمقه سيف الدين بنظره تحدى دون أن ينبث ببنت شفهم مما أثار غضب سكن الذي رفع يده اليمنى ليصفع سيف الدين ولكن توقفت يداه في الهواء ممسوكة من قبل أبو قائلا له بصوت عالي :

-لا تضربه يا سكن ...

صاح سكن سائلا :

-لماذا تنهاني عن ضربه ؟!

قبل أن يقول ساخرا :

-أهو أبن أمك ؟

رد عليه أبو مستهزأ :

-انه ليس أبن أمي ولكن يبدو من غضبك انه قد اغتصب أمك

ثم أردف في نبرة ود مصطنعه :

- يا سكن عبد سليم أغلى وأثمن من عبد معيوب ...

صاح سكن قائلا في غضب :

-ولكنه قد خدعنا ؟!

رد عليه أبو في هياج بعد ان أنتفخت عروق رقبته من الغضب :

-اضربه كما تشاء أو اقتله حتى وضيع علينا بيعه ثمينة احمرت عين سكن حتى كادت أن تنفجر من شده الدم المتدفق غضبا إليهما ثم نظر إلى أبو نظره استياء هو يتمتم بسباب وشتائم حتى بعد عنه

نظر أبو لسيف الدين وهو يفك بعض من أغلاله وهو يأمره قائلا : اغسل وجهك أيها العبد الماكر فقد حان بيعك لسيدك .

سار أبو وخيان يتبعهما سيف الدين الذي كان مازال مربوطا بسلسلة حديديه من كلتا يديه يمسك طرفها الأخر أبو ... كانت السلسلة تلك المرة اخف نوعا ما من السلاسل المحلولة من حول معصمه وأرجله.

سارا الجميع بجوار معبد حورس حتى اختفى من خلفهما داخلين إلى حي شبيه بالأحياء الفقيرة تلك الأحياء المنتشرة داخل قرى الريف المصري حيث كانت المنازل مبنية من الطوب اللبن مكونه من دور واحد حتى وصلا إلى المنزل المقصود كان منزلا شبيها بمن حوله من منازل يختلف فقط في انه مبنى من دورين إمامه عشه صغيره من البوص والخشب مليئة بالطيور .

وصل خيان إلى باب المنزل حيث دق عليه ثلاث دقات متتالية ثم انتظر ثم اتبعها بدقتين ثم انتظر ثم اتبعها بدقه أخرى وما إن

انتهى حتى فتح الباب وكأن تلك الدقات كانت شفره بين جار تاجر العبيد وعملائه .

فتح الباب عبد اسمر صغير الجسم يبدو عليه ملامح العجز والضعف والوهن أشار لهما بالدخول دون أن يتحدث حتى ظهر جار تاجر العبيد من خلفه الذي سرعان ما عانق خيان وابو في ود مصطنع مرحبا بهما وبعد أن انتهيا من السلام والتحية قال له خيان مازحا وهو ينظر إلى خادم جار الأسمر العجوز : أنت كما أنت لن تتغير يا جار تستأثر لنفسك بكل عبد رخيص حتى يموت أو يأتي من هو ارخص منه .

ضحك جار قبل أن يقول: التاجر الماهر هو من يحول سلعته الرخيصة إلى سلعه ثمينة فكل عبد معيوب أخذه مجانا أدربه واعلمه أشياء تنفعه وتنفع سيده حتى يصبح ماهرا في شيء ما فأبيعه بتلك الميزه ثم صمت هنيهة قبل أن يقول ساخرا :أنا أفكر جيدا في أن اترك تجاره العبيد وأتاجر فى الكلاب فهي لا تسبب لي مشاكل مثلهم كما أن مكسبها أكثر ثم انفجر ضحكا ومعه ضحك الجميع إلا سيف الدين حيث شعر حينها بعدم أدميه هؤلاء البشر

وما يكنون في صدورهم من غل وكره وعنصريه تجاه أناس مساكين لا حول لهم ولا قوه.

قدم العبد لهم الطعام في بطء وتثاقل ثم وقف منتظرا أمر سيده حيث كان الطعام مكون من لحم إوزه وخبز جاف مع بعض الخضروات ... لم تمر دقائق حتى كان ثلاثتهم قد التهما الطعام حتى كادا يلتهما معها تلك الأواني الفخارية المقدم فيها من فرط طفاستهم ثم بدأوا في تناول خمور ذات رائحة نفاذه حتى أشار جار لعبده وهو يحمل أكواب الخمر الفارغة منصرفا بإحضار طعام لسيف الدين .

* * *

اختفى العبد الأسمر لدقائق ثم عاد وهو ينظر مشفقا لسيف الدين حاملا لوح خشبي عليه رغيف خبز على حوافه أثار أسنان سبقته بأكل لقيمات منه مع طبق من الزيت ذو رائحة مقززه وبعض الملح.

أشار سيف الدين للعبد بالرفض حيث كان على وشك أن يتقيأ مما رأي وأستنشق.

ضحك جار ومن معه ثم قال موجها نظره إلى سيف الدين : يا لك من عبد وقح غير باقي العبيد التي تأكل بنهم ما يلقى إليهم من فتات الطعام ثم أردف قائلا وهو ينظر إلى خيان و أبو في أستنكار : لا بأس...لا بأس هذا النوع من العبيد أيضا مرغوب لبعض الناس وقهقهه ضاحكا حتى كادت جدران المنزل أن تهتز من ضحكاته

ثم نظر في صرامة إلى خيان و أبو سألا إياهم عن ثمنه.

فرد عليه خيان في تحدى :

-نحن لن نتنازل عن زوجين من الخيول مقابل ذلك العبد

ضحك جار ساخرا منه قائلا له :

-زوجان من الخيول...!!

ثم أكمل ضحكه وفجأة تغيرت ملامح وجهه حتى اكتست بتعابير حنق وغضب قبل أن يقول لهم :

-أن تلك النوعية من العبيد التي دائما ما تجلبونها تثير المشاكل مع أسيادهم من ناحية ويثيرون غيرهم من العبيد على عدم طاعة الأوامر ومن ناحية أخرى يفعلون ما هو أكثر.

ثم استطرد قائلا :

-كم حاولوا القيام بثورات على من يطعمهم ويؤويهم والتي دائما ما تنتهي تلك المحاولات بقتلهم ورميهم جيف تأكله السباع والطيور.

ثم أردف متسائلا :

- أهذا يصح ؟ أترضون أن يدفعون لكم من اجل إطعام السباع والطيور ؟

ثم أضاف وهو ينظرا ساخرا إلى خيان وأبو قائلا :

- أن صح منهم عبدا فلن أتحدث عن مدى إرهاقي في تكاليف مأكله ومشربه ومأواه قبل أن يباع .

بدت على وجه أبو وخيان تعابير الموافقة على ما يقوله جار وانتهز تلك التعابير التي رسمت على وجوههم قائلا لهم ألا تتذكرون العبدان الكوشيان اللذان اشتريتهم منكم ؟ لم تخبروني أنهم مرضى ثم قال في غضب مصطنع :

-لقد ماتوا بعد ثلاثة أيام من شرائهم وألا تتذكرون ذلك العبد العربي الذي جئتم به من على ضفاف البحر وهو يستعد للهرب إلى خارج الديار؟

ألا تتذكرون ما فعله في حق سيده عندما هرب منه بعد أن حاول قتله بالبلطة ثم قدم إلى منزلي محاولا قتلى لولا شجاعة العبد الأسود الذي قتله حماية لي ؟

سأله خيان :

- أين ذلك العبد الهمام ألان يا جار؟

نظر جار إلى خيان وهو يجاوبه قائلا :

-هذا العبد اشتراه عزيز مصر عندما عرف ما فعله من أجلى لكنه للأسف مات غرقا في النيل وهو يحاول إنقاذ خادم أخر لسيده.

سكت برهه ثم سألهم :

-هااااه ماذا قررتم ؟

رد عليه خيان وهو ينظر إلى سيف الدين :

- الرأي رأيك يا جار

جار: اتفقنا سوف أقايضه بزوج من النعاج .

خيان : ياله من ثمن بخس .!!

جار : الثمن ليس بخسا ولكن أنت كما أنت تخاف من غضب سكن .

عقب خيان علي ما قاله الاخير منفعلا :

- أنا لا أخاف من أحدا يا جار .

جار : هدئ من روعك يا صديقي ولا تغضب أنا فقط امزح معك ثم أضاف في نبره ود مصطنعه : ابلغا سكن وقولوا له أنى انتظركم الليلة هنا مع ثلاثة من الجواري البيضاء ذوى اللحم الممتلئ كبيرات الأثداء عظيمات الأرداف ... فأنا اعرف أي نوع من النساء تحبون أيها الأوغاد ...

رد عليه سكن ساخرا :

- لن تنسى أبدا مهنتك القديمة كقواد محترف ثم دخل الثلاثة في هستريا من الضحك

***

خرج أبو و خيان من منزل جار بعد أن تمت الصفقة تاركين سيف الدين وحيدا لكن الغريب في الأمر أن سيف الدين قد شعر براحه نفسيه بعد مغادرتهم وكأنه سجين نقل من حبس انفرادي إلى حبس جماعي وكما تقل مشاعر الولع والحب بالاعتياد كذلك تقل مشاعر القهر والذل بالاعتياد أيضا ... مرت دقائق من

الصمت المطبق على المكان ولكن سرعان ما انتهى بصوت جار مناديا على سيف الدين سائلا إياه دون أن ينظر اليه :

-ما اسمك؟

سيف الدين : سيف

جار : سيفى

سيف الدين : ليس سيفى بل سيف ...

جار:آيا كان... ياله من اسم مفعم بالقوة والصلابة خلاف ما يظهر عليك من ضعف ووهن ثم بدء يضحك مستهزئا من منظر سيف الدين والذي بدا عليه الهزال

سيف الدين : نادني كما تشاء واستهزئ منى كما تريد ولكن بربك اخبرني أين أنا .. ؟وفى أي زمان أنا..؟

رد عليه جار ساخرا :

-أي رب تستعطفني به ..؟ هل بعل أم عشتاروت ؟أم تقصد آلهه هؤلاء الفقراء المصريين حورس وست وايزيس واوزوريس؟

ثم أضاف مستنكرا :

-ما معنى سؤالك عن الزمان والمكان ؟

ثم صاح منفعلا :

-يا لك من عبد ملعون تتظاهر بالجنون

سيف الدين :

-أنا لست بمجنون ولكنى لا استبعد أن أكون .

رد عليه جار في حزم :

- كنت سأبيعك غدا أو بعد غد ولكنى سوف أبيعك ألان

امتعض وجه سيف الدين ثم قال جار محدثا نفسه :

-أنت عبدا لست كبقية العبيد ولا ادري أستكون خيرا لي إقامتك معي أم شرا لي ثم أمر سيف الدين قائلا : انهض ألان سوف نذهب إلى سيدك لعله يقبلك ثم أضاف محذرا : سر معي طواعية بدلا من أن تسر معي غصبا قالها وهو يرفع عصاه غليظة في وجه سيف الدين الذى حماهما يكلتا يديه ... فضحك جار كالمخبول من خوف سيف الدين منه ثم أمره قائلا : هيا بنا قبل أن يحل الظلام ويدخل سيدك في خلوته الليلية الطويلة هيا بنا هيا ...

***

خرج جار ممسكا طرف السلسلة المربوط بها سيف الدين مخترقا حواري القرية الطويلة الضيقة وأزقتها الفقيرة الخانقة حتى دلفا إلى

بعض الحقول التي كان يتوسطها بعض المنازل التي تبدو نوعا ما أفخم من منازل باقي المدينة حتى وصلا إلى المنزل المطلوب.

طرق جار باب المنزل حتى فتحه خادم المنزل وما أن فتح الباب حتى استنشق سيف الدين رائحة لم يستنشق مثلها من قبل فكانت رائحة بخور اقرب إلى رائحة المسك الأبيض الممزوج بالعنبر الأشهب مما أعطاه شعور براحه نفسيه نحو قاطني هذا المنزل الذي لا يعرفهم .

بعد تحيه الخادم لهما أشار إليهما بالدخول طالبا منهم الانتظار في المكان المخصص للضيوف انتظارا لمقابله سيده الكاهن .

***

الفصل الثالث

حدق سيف الدين في المنزل شبرا شبرا وقال محدثا نفسه : انه منزل ليس كغيره من المنازل فتلك الشبابيك الزجاجية الملونة المطعمة برسومات زهره اللوتس شبيهه بشبابيك الكنائس وتلك القبة التي تعتلى سقف المنزل المرسوم عليها فروع النباتات وأوراق الشجر كقبة المساجد ...

كان يتدلى من نهايات تلك القبة أحبال رفيعة يتدلي منها أطباق زجاجيه ملونه موضوع داخل كل طبق منهم عده شموع أعطت اضائتها الخافتة بعدا روحيا للمكان.

خرج سيف الدين من تفكيره عندما سمع صوت الخادم قادما وهو يحمل لهما طبق كبير مليء بالفاكهة مع أكواب من الماء المثلج

لم ينتظر جار إذن الخادم لهم بتناول الطعام حيث قد قام بالبدء فيه بالفعل وكأنه لم يأكل منذ سنوات أوكأنه في مسابقه يفوز بها من يأكل أكثر حيث اخذ في التهام كل ما يقع تحت عينيه تحت نظرات احتقار واستنكار الخادم وسيف الدين حيث كان يأكل الموز قبل أن يبتلع التفاح وقبل نزول الموز إلى جوفه كان يسارع بقذف عنقود من العنب يدخله في فمه كاملا ويخرجه على هيئه هيكل

ليفي منزوع الثمار مع تفتفة وبصق حول المائدة تحت نظرات اشمئزاز من الخادم وسيف الدين أكمل طعامه ثم أشار الخادم لسيف الدين لكي يقوم هو الأخر بتناول طعامه أو بالأحرى بقايا الفاكهة التي لم يتناولها جار ضاربا كفا على كف من منظر جار المقزز .

بدء سيف الدين في تناول طعامه وبالرغم من جوعه كان يأكل كشخص ممتلئ البطن قام للتو من على مائدة عامره بكل ما لذ وطاب حيث كان يأكل كما تعود بأدب مغلقا فمه دون إصدار أي صوت من فمه عكس جار القواد تاجر العبيد أكل سيف الدين حتى شبع وشرب حتى ارتوى بينما جار كان يأكل حتى ينهي على الطعام وليس لكي يشبع حتى الماء شربه حتى فرغت الأكواب حيث كان يأكل هو الأخر أيضا كما تعود.

***

دارت الذكريات برأس سيف الدين وهو ينتظر الكاهن متذكرا ما قراه من قبل في كتب التاريخ عن وصف المؤرخين للكاهن حيث كان رجلا ذو مكانه عاليه بين الخاصة و العامة فهو ممثل الإله وخليفة الملك في رعيته صاحب العلوم الدينية الغزيرة

وعلوم الدنيا الوفيرة ذو شرف خدمه الملك وهو حي من مأكل وملبس ومشورة وذو شرف خدمته ميتا بتحنيطه وتكفينه وتجهيزه إلى الدار الآخرة إلى جانب أنهم المهندسين والأطباء والصيادلة وعلماء الفلك والحساب والمعالجين الروحانيين طاردي الأرواح الشريرة جالبي الخير والأمطار بصلواتهم وترانيمهم العالمون بالعلوم العلوية والسفلية منها وهم المسئولين عن جلب وتقديم القرابين وحتى توزيعها .

يغدق عليهم الملوك والأمراء الأموال والذهب لكسب دعمهم حيث كان منهم من يستخدم إما لإلهاب حماس الشعب تارة او لإسكاتهم تارة أخرى فكلمتهم إلى الشعب بمثابة الأمر الألهى المقدس الذي لا يقبل الجدل أو النقاش.

هكذا كان الحال في مصر القديمة شعب محبا للدين والتدين بطبعه مهما اختلفت الأديان فهي الحصن الحامي من ظلمات الإلحاد ... شعبا يبجل ويحترم رجال الدين سواء كانوا على نفس دينه أو دينا غيره هكذا كانوا منذ فجر التاريخ وهكذا سيظلون إلى نهاية الزمن.

❋ ❋ ❋

مر الوقت عليهم في صمت إلا من أصوات زقزقه العصافير والبلابل القابعة على الأشجار المحيطة بالمنزل حتى أتاهم صوت الخادم قائلا في ترحاب :

-تفضلوا لمقابله السيد حابى في الغرفة الأخرى

قام جار يتبعه سيف الدين حتى دلفا إلى الكاهن حابى حينها اعترى سيف الدين شعور غريب أحس به عندما لاقاه و كأنه يقابل صديق قديم باعدت بينهما السنين كان حابى قمحي اللون حليق الرأس والذقن والحاجبين كعادة الكهنة في ذلك الزمن تجنبا لحمل أي حشرات داخل شعرهم ممشوق القوام ذو جسم رياضي يلمع تحت أضواء الشموع الخافتة من تأثير الزيوت الملكية المدهون بها جسده ذو ابتسامه عريضة لا تغادر وجهه كحيل العينين ذو نظرات ثاقبة تدل على ذكاء حاد يرتدى إزارا ملفوف حول جسده كله إلا ذراعيه ذو رائحة ذكيه كرائحة بخور العود الكمبودي.

ظل حابى محدقا في سيف الدين متجاهلا التاجر جار بنظرات كلها حنان وشفقه واهتمام شعر خلالها سيف الدين بالأمان الذي

افتقده خلال رحلته التي كتبت عليه دون أن يكون له فيها أي حول أو قوه.

تحدث حابى إلى جار دون أن يعتريه بنظره واحده قائلا له :

-من الممكن أن ينصرف تاجرنا الأمين جار الآن.

رد عليه جار وهو ينظر إلى الأرض قائلا بصوت اقرب إلى الخنوع :

-ولكننا لم نتفق على الثمن يا سيدي الكاهن

نظر إليه حابى نظره احتقار ثم قال له مستنكرا :

-منذ متى اختلفنا على السعر يا جار ؟!

ثم أردف قائلا للخادم :

-أعطه ما يريد ثم دعه ينصرف

شكره جار واخذ يلوح بكلتا يديه نحو صدره ورأسه تبجيلا و احتراما لسخاء الكاهن حتى انه أثناء خروجه كان منحنيا موليا وجهه لحابى متراجعا بظهره نحو الباب دون أن ينظر إلى وجه الكاهن حتى انه كاد أن يسقط على الأرض عندما ارتطم بكرسي خلفه ولكن سرعان ما خرج وهو يتمتم بكلمات شكر وثناء

للكاهن تاركا سيف الدين وحيدا مع الكاهن ... الكاهن المصرى حابى.

❊ ❊ ❊

أخذ كل من حابى وسيف الدين يحدقان في بعضهما البعض دون حديث وكأن كل واحد منهم يحاول استكشاف شخصيه الأخر حتى تحدث حابى سألا سيف الدين في استغراب :

- من آنت؟

سيف الدين : انا سيف

حابى : من أين أنت ؟

سيف الدين : مصر

حابى : من أي مقاطعه في مصر

رد عليه سيف الدين مستغربا:

- مقاطعه ؟ تقصد محافظه ؟

حابى : مقاطعه او محافظه أيا ما كان اسمها ؟

سيف الدين: القاهرة ... محافظه القاهرة

حابى : القاهرة ....!!!

حابى : منذ متى وأنت هنا ؟

سيف الدين : منذ عده أيام لا اذكر كم يوما بالتحديد ولكنها أيام رأيت فيها ما لم أراه طوال حياتي...

حابى : وماذا رأيت ؟

سرح سيف الدين في افكاره قبل ان يقول في ذهول :

-يااااه رأيت عالم غير عالمي وزمن غير زمني كل شيء مختلف ... كل شيء عما كنت أعيشه وكان الزمن قد عاد بي ألاف السنين

ابتسم حابى ضاحكا ثم قال لسيف الدين :

- قم ألان و خذ قسطا من الراحة وسوف نكمل حديثنا غدا وسوف أنبه على الخادم بعدم إيقاظك حتى تهنئ بنومك ...

سيف الدين : لن استطيع النوم إلا بعد أن اعرف أين أنا ؟و كيف أتيت إلى هنا ؟

نظر اليه سيف الدين مستغربا قبل أن يقول :

-لماذا أنت الوحيد الذي لم تستغرب حالي وتدعيني بالجنون مثل الباقيين حتى في مقابلتك لي لم تغادر الابتسامة وجهك كأننا صديقين حميمين؟

حابى : سأجيبك على سؤالك الأول والثالث أما الثاني فلا اعلم أجابته ...

رد عليه سيف الدين متحمسا :

- بالله عليك اخبرني بما تعرف ...

حابى : أما عن سؤالك الأول فأنت في مصر أما بالنسبة لسؤالك الثالث فسأخبرك عنه ولكن ونحن نتناول العشاء ثم نادي على خادمه أمرا إياه بجلب العشاء الذي احضره في التو واللحظة حيث تم إعداده مسبقا لتقديمه في الوقت المحدد مثل كل ليله وكان العشاء مكون من دجاجه مشوية مع خبز و طبق مليء بالخس والخيار والبصل ...

بدأ كل منهما في تناول الطعام ولاحظ سيف الدين أن حابى لم يأخذ شيء من الدجاجة تاركا إياها كاملة له مكتفيا بأكل الخيار والخس.

قال سيف الدين في أستنكار:

- لماذا لا تتناول الدجاج يا سيدي ؟

فرد عليه حابى وهو يشير إلى أسفل بطنه مبتسما وهو يقول ملعون تلك التقلصات التي تأتيني دائما عندما أنشغل في تفكيري حيث تحرمني من اغلب ما أشتهيه خاصة في الليل ثم أضاف :

-ولكن مع ذلك فمن الأفيد لي أن أنام فارغ البطن فهذا يقويني على أداء صلواتي وخلوتي ...

ابتسم سيف الدين ثم قال في توسل : سيدي حابى ألن تجيبني على سؤالي لك بعدم استغرابك منى ومن هيأتي؟

ابتسم حابى قائلا :

-سأخبرك يا سيف سأخبرك ثم تنهد قبل أن يقول : منذ عده ليالي وأنا أرى في منامي رؤيا لازمتني عده مرات كان أخرها بالأمس حيث كنت أرى أنى أقف في منتصف طريق عن يمينه جنان وحقول وعن يساره نيران وأشواك وأرواح شريرة وكل منهما محاط بأسوار عاليه دون أبواب وأنا أسير وحيدا غير عابئ بشيء إلا الهروب من ذلك الطريق وأنا لا اعرف تحديدا في أي أتجاه أسير ؟ أأذهب شمالا أم جنوبا ؟ حتى قابلتك في الرؤيا .

قاطعه سيف الدين مستغربا:

-أنا ... قابلتني أنا ؟

اومىء حابى برأسه قائلا :

-نعم قابلتك أنت وطمأنتني وقلت لي لا تخف يا حابى أنا سأكون رفيقك في رحلتك وسألتك مضطربا من أنت ؟ أجبتني

بأنك منى وأنا منك ثم قلت لي أنا حفيدك يا جدي وانك ستكون رفيق رحلتي وأشرت لى بالمسيرنحو ضوء خافت لم أكن أراه حتى وصلنا إلى مكان أشبه بربوه عاليه مع أرواح طيبه ...

ساله سيف الدين في لهفة :

-وماذا حدث بعد ذلك يا سيدي؟

حابى : إلى هنا كانت تنتهي الرؤيا كل مره ثم أردف أمرا إياه : قم ألان أرح جسدك وعقلك وغدا نكمل حديثنا قام سيف الدين مقبلا رأس حابى متمنيا له نوما هنيئا وذهب إلى غرفته تاركا حابي في خلوته.

مرت ساعات وسيف الدين يحاول أن ينام ولكن كانت الأفكار والتساؤلات تدور في نفسه كدوار الرحى طاحنه عقله مسببه له صداع رهيب حتى استطاع النوم أخيرا بعد مجاهدته بصعوبة.

❋ ❋ ❋

الفصل الرابع

مرت الليلة الأولى لسيف الدين في منزل الكاهن حابى حتى بدأ يحل النهار ومعه بدأ سيف الدين في الاستيقاظ على جلبه خارج الغرفة وكان يشعر انه لبث سنين في نومه مثل أهل الكهف .

قام سيف الدين من نومه فاردا ذراعيه محركا جسده يمينا ويسارا كما تعود مسبقا أن يقوم ببعض التمارين الرياضية كل صباح ثم انتظر لحظات حتى ساد الصمت في الخارج ثم خرج من غرفته فوجد حابى جالسا في بهو المنزل فالقي عليه التحية ثم دخل إلى الحمام وعندما خرج وجد مائدة عامره بكل ما لذ و طاب أشار إليه حابى بالجلوس لتناول الطعام و بعد أن انتهوا قال حابى سألا إياه : ماذا تريد أن تتناول في الغداء ؟ حتى آمر الخدم بتحضيره ...

رد عليه سيف الدين شاكرا ممتنا له قائلا: أنت تذكرني بجدي حينما كان يسألني دائما في كل فطور هذا السؤال ثم مسك رأسه...

ضحك حابى قائلا أرأيت..؟ أنا جدك بالفعل كما أخبرتك في رؤيتي ثم سأله : ماذا بك هل تعانى من الصداع ؟

سيف الدين: بالفعل ثم أضاف: صداع يلازمني كل ليله و لكنه أول مره يأتيني نهارا ...

حابى : امضغ ذلك العشب سيجعل الصداع يزول في لحظات قالها وهو يخرج عشب من جعبة كانت قريبه منه

سيف الدين : شكرا سيدي ولكن عمرنا يكاد يكون متقارب فكيف أكون حفيدك

حابى : ولكنك من زمن قادم هل نسيت أم أعجبتك حياتنا قالها وهو يبتسم لكنه لاحظ عبوس وجه سيف الدين فسأله ماذا بك ؟

لا شيء... لاشيء يا سيدي انك فكرتني فقط بحياتي السابقة و فيها ما اشتاق من أبنائي وأصدقائي ثم استطرد قائلا حتى قبر زوجتي الراحلة اشتقت إلى الجلوس بجواره ثم اجهش بالبكاء ...

* * *

الفصل الخامس

نيويورك ٢٠١٨ منزل ادهم سيف الدين

بينما كان ادهم سيف الدين غارقا في نومه بعد ليله طويلة قضاها في المركز الطبي الذي يعمل به أيقظته زوجته بعد أن أفاقت من نومها على رنات هاتفه المحمول الموضوع بعيدا عنه لكي لا يقلقه احد حيث أخبرته بأن الهاتف لم يكف على الرنين طيلة ساعتين متواصلتين من الزمن وبينما كانت تحدثه رن الهاتف مره أخرى فالتقطه مسرعا كأنما يترقب خبر كارثي يستدعى كم تلك المكالمات الفائتة.

تغيرت تعابير وجه ادهم وهو يتحدث مع المتصل حتى انتهى من مكالمته تاركا الهاتف يقع من يده على أرضيه الغرفة مصدرا صوت ارتطام شديد تبعه تهشم الهاتف.

سألته زوجته في توتر وأضطراب عن فحوى تلك المكالمة ولكنه لم ينتبه اليها حيث كان غارقا في التفكير فيما قاله له المهندس جلال صديق والده الحميم الذي اخبره بان والده قد اختفى في ظروف غامضة ولا يوجد له أي اثر حيث سأل عنه كل زملائه وأصدقائه

وجيرانه وسأل عنه أيضا فى كل أقسام الشرطة والمستشفيات حتى مستشفيات الإمراض النفسية و العقلية دون أي فائدة ...

ذلك الاختفاء الغامض الذي لا يوجد فيه اثر لخاطف أو مخطوف حتى انه لا توجد أي أثار لسرقه أو اقتحام أو فقدان أي شيء من محتويات المنزل ثمينة كانت أو وضيعه حتى أوراقه وبطاقته الشخصية وجواز سفره وكارنيهات النادي والعمل وبطاقات البنك كلها في مكانها حتى سيارته كما هي في ألمراب لم تمس ومفاتيحها مدلاه هي الأخرى مع باقي مفاتيح المنزل والعيادة في ميدالية والدهم الملقاة على منضده غرفه البدروم .

حكي لزوجته عن فحوي المكالمة بكل تفاصيلها

مرت عليهم دقائق من الصمت المشبع بالتفكير حتى قال لزوجته في حزم وصرامة :

-احجزي لي أول طائره ذاهبة إلى مصر فلابد أن اذهب الآن قبل الغد.

الزوجة : حسنا سأفعل ولكن هدئ من روعك حتى تستطيع التفكير في تلك المشكلة.

الفصل السادس

حابى : هون عليك يا صديقي ... ثم قال محاولا إخراج سيف الدين من خضم ذكرياته الحزينه وهو ينظر إلى شباك المنزل شاخصا ببصره الى السماء يا له من يوم مشمس يدعو للخروج و التنزه

سيف الدين :هل تريد الخروج ... ؟

حابى : كما تشاء ...ثم سأله قائلا :هل ذهب الصداع ... ؟

سيف الدين : بالفعل انه لعشب سحري ثم سكت هنيهة قبل أن يقول :

اخبرني أولا لمن كانت تلك الأصوات العالية أثناء نومي ...؟

أبتسم حابى قبل ان يجبه قائلا : أنهم بعض الكهنة أتوا لمناقشتي في بعض الأمور التي تمر بها البلاد ثم تحدثنا عن أحوال الناس والمعابد والعباد

سيف الدين : وهل يأتون هنا يوميا؟

حابى : عندما يكون هناك مسأله ما نجتمع هنا سويا ونحاول حلها

سيف الدين : يبدو لى أنك مهموم ! أليس كذلك ؟

حابى : الناس نوعان نوع يَحْمل هم بلاده ونوع يُحَمْل بلاده همه وقد جعلني رب السماء الواحد الأحد من هؤلاء الناس الحاملين هم بلادهم

سيف الدين : يا لك من حكيم يا سيدي ...

حابى: عندما نكون سويا لا تناديني بسيدي بل نادني فقط بأسمى حابى دون تكليف ثم أردف مناديا الخادم أمرا إياه بجلب بعض الملابس الجديدة لسيف الدين ...

ابتسم سيف الدين ثم قال:

-كم أنت متواضع يا سي....

قاطعه حابى قائلا له :

- هاااه ماذا طلبت منك ...؟

قال سيف الدين : وهو كذلك يا حابى كما تريد

حابى : كم عدد السنين بين هذا الزمن الذي نحياه و بين ذلك الزمن الذي أتيت منه ؟

سيف الدين : من الأولى أن تخبرني أنت فأنت الكاهن الحكيم العليم ...

حابى : ولكنك أنت من أتيت إلى الماضي أي تعلم ما كتبه التاريخ عنا .

اومئ سيف الدين برأسه وهو يقول :

-بالفعل أنا أحب قرأه التاريخ ولكن لا استطيع تحديد عدد السنوات بالضبط كل ما اعلمه أنى قد أتيت من مصر الحديثة إلى مصر القديمة.

ثم أضاف قائلا :

-عليك فقط أن تخبرني بأحداث عصرك أو ملوك هذا الزمن الموجودين حاليا هنا في مصر حتى نستطيع معرفة وتحديد في أي زمان نحن الأن ...

تنهد حابى تنهيده مليئة بالحزن والحنق ثم قال ساخرا وهو يحرك يديه في غضب :

-ملوك عصري أي ملوك ... ملوك الجنوب أم ملوك الشمال؟

سأله سيف الدين :

-وهل يوجد أكثر من ملك ؟

حابى: يوجد العديد والعديد.

ثم سكت هنيهة قبل أن يقول :

- بعد توحيد الملك مينا للقطرين الشمالي وهو مصر السفلى والجنوبي وهو مصر العليا واستقرار الأمور في بلادنا لقرون من الزمن انتشرت المجاعات في البلاد المجاورة حتى أصبحت مصر قبله لكل البشر منهم من جاء لاجئا مسكينا عاش بيننا وهو يحمد رب السماء ولا ينسى جميل هذه البلاد عليه هو وأبنائه ومنهم من جاء محتل يحمل الضغائن والشرور يريد النيل من خيراتها وكنوزها نحن ألان يا سيف الدين في اشد عصور المعاناة والذل والقهر فمصر مقسمه إلى مقاطعات كل ملك بها لديه فرح غير عابئ بغيره فالأرض التي نحن بها ألان يحكمها " العامو " هؤلاء البدو الأسيويين الذين اخترقوا أراضينا من قبل " سيناء " .

ثم أضاف في حزن :

-استغلوا ضعفنا ووهننا حتى أصبحت أجزاء مصر الشمالية الشرقية تحت حكمهم اتخذوا من السلب والنهب وسيله لتجويعنا.

ثم سكت برهة قبل أن يقول وقد ارتسمت على وجهه علامات الأسى والتعجب :

-لبسوا ملابسنا وتسموا بأسمائنا حتى ألهتنا مزجوها بآلهتهم الوثنية .

سيف الدين :عذرا حابى ولكن لي سؤال ...

حابى : تفضل يا سيف الدين...

سيف الدين:هل "العامو" هم "الهكسوس" كما وردت إلينا في كتب المؤرخين ...؟

حابى : لا أدرى ماذا كتب المؤرخين اللاحقين عنهم ولكنه بالفعل فكلا اللفظين واحد " العامو" هم " الهكسوس " هم " الهاك سوس " أو كما يحبوا أن يطلق عليهم " الملوك الرعاة "

قاطعه سيف الدين في أندهاش :

-سؤالا أخر يا حابى ....أنت تقول أنهم مزجوا ألهتكم بآلهتهم الوثنية فانا اعلم إنكما الاثنين وثنيين متعددي الإله ...

أمتعض وجه حابي قبل ان يقول في غضب :

-لم ولن تكن مصر أبدا وثنيه ولا متعددة الآلهة

سيف الدين : ولكن ما قرأته في كتب التاريخ عندما كنت في الماضي ثم وقف عن كلامه مصححا ولكن ما قرأته في كتب التاريخ عندما كنت في المستقبل كان غير ذلك ... فتلك تماثيل الآلهة المنتشرة في كل المعابد الباقية والتي رأها كل الأجيال التي جأت من بعدكم شاهده للأسف على وثنيتكم

ضاقت عيني حابي وهو يقول في صرامة :

- هاأنت قد أجبت على سؤالك

سيف الدين مستغربا :

-كيف ؟

حابى : أنت قلت تماثيل وليست أصنام وهناك فرق شاسع بينهما ... ثم أردف قائلا :

-أن الوثنية هي عباده الأوثان والأصنام من دون رب السماء الإله الواحد الأحد أما التماثيل فكما تعلم إنما هي تخليدا لذكرى ما ...

ثم أضاف قائلا :

-التماثيل ما هي إلا رموز للآلهة أو لملوكنا وعلمائنا وكل فذ منا أما تعدد الآلهة فليس عندنا ذلك فان عبدت من بعدنا أو من قبلنا أو أفتروا علينا بهتانا وزورا بعبادتها فليس لنا ذنب في ذلك فكل الأديان من الممكن أن يدخل عليها الخزعبلات والتخاريف التي تنحرف بها عن العقيدة الصحيحة وكما تعلم عندما يدخل الدين على قوم أو شعب يحدث أن يخلط الناس بين عاداتهم وتقاليدهم وأساطيرهم وعقائدهم حتى يظهر دين جديد ... دين جديد مليء

بأشياء لم ينزل بها الإله من سلطان ثم قال في صرامة: لو أن رب السماء حرم تلك التماثيل لمنعناها ولكن لم يأتي في شريعتنا او شريعة من قبلنا شيء يذكر تحريمها ...

تذكر سيف الدين حينها قول الله تعالى " يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍۚ ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًاۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ۝١٣ " وقال لنفسه : التماثيل كانت إلى عهد سيدنا سليمان غير محرمه وكذلك في العهود السابقة ولكن الأجيال اللاحقة هي التي أدخلت فكره عبادتها.

خرج سيف الدين من تفكيره سائلا حابي : ولكنك قد ذكرت من قبل لفظ الآلهة والآن تقول الإله الواحد قالها سيف الدين مبتسما ظنا منه انه قد أنتصر في حواره على حابى ولكن لم تغادر الابتسامة وجه حابى هو الأخر ثم قال له : ملاحظه قويه أنت تجدها مختلفة وأنا أجدها واحدة ...

سيف الدين : كيف ؟

أمتعض وجه حابى من كم الأفترأت التي يسمعها من سيف الدين وشعر حينها بجهل الأجيال اللاحقة بعقيدة جدودهم المصريين القدماء الموحدين قبل أن يقول :

-يا سيف عندما أقول الإله فالمقصود هو الرب الواحد الأحد المتعالي في السماء ليس له صاحبه ولا ولد بينما حينما أقول الآلهة المقصود بها هو " نيثرو " أي خليفة الله في أرضه أو المنتسب إلى الإله فعندما نقول اله الخير أي انه خليفة الإله في تلك المسألة مع العلم انه ليس عجزا من الإله حينما يحدد ملك ما لأمر ما إنما هو تفويض لملك معين في مسالة معينه وحين نقول اله الموت أي انه خليفة الإله في تلك النقطة وهكذا فالإله واحد تحت منه عدد كثر من الخلفاء أو المنتسبين إليه كل منهم مسئول فيما أوكل إليه دون عجز أو نقص أو تقليل من رب السماء ولكن تعظيما وتقديسا لهم نقل ألهه وهم ليسوا كذلك فأنت تشاهد كم التقديس الذي يحظى به الكاهن بين الشعب تقديس يصل للتأليه فما بالك بمن هم اعلي منه مكانة ومنزلة ومرتبة أنهم الموكلون من قبل الإله بتنفيذ مشيئته.

قال سيف الدين مبتسما:

-ياله من تفسير مطمئن لقلبي فما تقوله لا يختلف كثيرا عما جاء في عقيدتي فالله عز وجل أوكل إلى ملائكته مهام لا يعصونها أبدا فعندنا إسرافيل هو احد الملائكة المقربين من الله وهو الموكل بالنفخ في الصور يوم القيامة وجبرائيل وهو الملاك الذي تظهر فيه وبه قوه

الله وقدرته وعزرائيل ملك الموت المكلف بنزع الأرواح من الأجساد و ميكائيل وهو أيضا من الملائكة المقربين

بدت علامات الاستغراب علي وجه حابى قبل ان يقول :

- إن الأسماء التي تقولها شبيهه بأسماء إسماعيل بن إبرام

سيف الدين : طبقا لما قرأته مسبقا فأن أيل هو اسم الله في اللغات القديمة وانتساب صفه إلى اسم الله شرف للمسمى فمثلا إسرائيل هو لقب يعقوب الذي انعم الله عليه به بعد أن اختصه بالنبوة فمعناها هو عبد الله وجبرائيل معناها قوه الله وإسماعيل بمعنى معبود الله.

ثم سأله سيف الدين في نبره أقرب إلي التوسل والرجاء:

-اخبرني بربك... ماذا تعرف عن إسماعيل يا حابى..؟

حابى:هو رجل صالح ابن رجل صالح نحن المصريين أخواله فأمه هاجر المصرية وهو أبو العرب الموجودين في شبه الجزيرة ولكن هناك سؤال يطرح نفسه ويثار تلك الأيام كثيرا خاصة من قبل العبرانيين هل هو الذبيح أم اسحق أخوه فالعرب تقول انه إسماعيل والعبرانيين يقولون انه اسحق ...؟

هز سيف الدين رأسه وهو يقول محدقا في عينيه :

-إن كان لديك ولدين فأيهما اقرب إلى قلبك البكر أم الثاني؟

حابى: في الأغلب البكر؟

سيف الدين: وما بالك إن جاء البكر هذا بعد ولع ودعاء وتذوق مرارة العقم ووهن الجسم ... أيكون الاختبار اشد قسوة في البكر أم في الثاني؟

حابى : بالطبع سيكون البكر هو الاختبار الأصعب ...

سيف الدين : كذلك هم العبرانيين يريدون أن ينسب إلى أجدادهم كل شيء عظيم ويختزلون تاريخ الآخرين ويطمسونه ثم قال مضيفا : لك أن تتخيل أن هذا يحدث مع عمهم وجدهم إسماعيل اخو اسحق والفرق الوحيد بينهم أن اسحق أمه عبرانيه وإسماعيل أمه مصريه فما بالك بما يقولونه على أبناء الأمم الأخرى الغريبة عنهم التي ليس بينهما صهرا ولا نسبا أو أخوه ؟

صمت سيف الدين هنيهة قبل أن يقول في حنق :

-هذا هو نهجهم ومنهاجهم حتى مع أبناء جلدتهم.

ثم اخرج زفرة مليئه بالغضب قبل ان يقول في حسرة :

- اه يا حابي إن كنت في زمني لعلمت ما فعلوه وما يفعلوه ... لك ان تتخيل يا حابي انه حتى الأنبياء لم تسلم من شرهم .

تعجب حابى مما يقوله سيف الدين ثم قال مستغربا :

-أنبيائهم ؟

سيف الدين: نعم أنبيائهم ... فأنا دائما أهوى القراه في التاريخ وبخاصة تاريخهم القذر فلقد قرأت عنهم كثيرا فقد فعلوا مع أنبيائهم الأفاعيل الشنيعة والأساليب الوضيعة من قتل وتعذيب حتى مع موسى النبي عندما نجاهم الله من فرعون عبدوا عجلا من ذهب حتى غضب نبي الله منهم ملقيا الألواح التي بها وحى الله إليه و فاوضوا الله في بقره ...

حابي في تلهف :

-اكمل يا سيف الدين

سيف الدين : لقد نشروا نبيهم أشعبا بمنشار الخشب إلى نصفين بعدما كان يعظهم وينصحهم وحبسوا نبيهم ارميا و عذبوه حتى انتهى الأمر بقتله حتى دانيال النبي الذي هرب إلى هنا في ارض مصر خوفا من بطشهم قدموا خلفه حتى قتلوه وكذلك فعلوا مع يحيى النبي المسمى عندهم بيوحنا حيث قتلوه مقدمين رأسه على طبق من فضة كقربان من ملكهم لإحدى البغايا وعندما علم والده زكريا النبي هرب منهم خوفا من بطشهم حتى تخفى

داخل شجره فتبعوه حتى وصلوا إليه وقاموا بشق الشجرة إلى نصفين وهو بداخلها وكذلك حاولوا مع عيسى المسيح نبي الله ورسوله حيث حاولوا قتله بالصلب لكن الله رفعه إليه ... هكذا فعلوا مع أنبيائهم فلك أن تتخيل ماذا فعلوا بأعدائهم من قتل وبطش وتعذيب لا يفرقون بين رجل وشيخ أو أمراءه أو طفل حتى إن سلموا من القتل فلن يسلموا من التهجير من قراهم .

سكت لفترة قبل أن يقول في حزن:

-هل تعلم يا حابى أنه سيكون في أرض مصر مدرسه تسمى بحر البقر وسيقتل عشرات الأطفال داخلها دون هوادة أو رحمه على أيديهم ...؟

امتعض وجه حابى وزاد تدفق الدم إلى وجهه حتي كاد أن ينفجر غضبا مما يقوله سيف الدين قبل أن يقول :

-فلنشرب بعض الجعة لعلها تنسينا ما أخبرتني به ...

سيف الدين : هل تسكر؟

حابى : بمعنى ؟

سيف الدين : هل هي تذهب العقل ؟

حابى : القليل منه لا والكثير منه مسكر ..

سيف الدين :هي حرام فى ديني ..

حابى : كيف ؟

سيف الدين : في شريعتي ما كان كثيرة مسكر فقليله حرام

نادي حابى على الخادم أمرا إياه بأخذ الجعة حيث حملها الخادم مستغربا من سيده حابى المحب لها

استغرب سيف الدين سائلا :

-لماذا أمرته بأخذها ؟

حابى : احتراما لك ولعقيدتك ثم ابتسم حابى قائلا له هل نخرج نتنزه قليلا ؟

سيف الدين : هيا بنا ولكنك لم تخبرني تحديدا في أي الأعوام نحن ألان ؟

رد عليه حابى :

-نحن هنا في زمن ما بعد الطوفان ب٣٠٠٠ عام تقريبا.

سيف الدين : ماذا تقول ؟

حابي : نحن الان فى العام ٣٠٠٠ بعد طوفان نوح.

بدا سيف الدين مندهشا يعتريه الذهول مما قاله حابي واخذ يتمتم ببعض الكلمات والارقام وكأنه يحسب كم سنه عاد به الزمن

وأخذ يحسبها مرارا و تكرارا وهو يقول لنفسه أنا كنت أعيش في عام ٢٠١٨ منذ ميلاده المسيح وبين عيسى وموسى و بين موسى ونوح ثم امسك رأسه وأغمض عينيه عاصفًا ذهنه للوصول إلى أجابه عن تساؤله وقال بصوت عالي يا للهول لقد عدت إلى الوراء ما يقرب من ٣٥٠٠عام ظل مندهشا وهو يكرر ٣٥٠٠ عام ثم ألقى جسده مسترخيا على كرسي وثير وبقى ساكنا بعض الوقت وهو يمسك رأسه بكلتا يديه وكأنه يحمي رأسه من شلالات الاسئلة التي بدأت تدفق في راسه حتى سمع صوت حابى يقول له في نبره عطف وحنان وهو يربت على كتفه : حاول أن تصفى ذهنك يا سيف الدين ودع الأمور تسير فلا مفر من المحتوم ثم أضاف :

-ما تفعله بنفسك سوف ينهكك ويعجل بهلاكك فلنخرج الآن ربما ينعش الهواء الطلق عقلك وقلبك.

نظر إليه سيف الدين نظره دافئة كنظره طفل تائه عاد للتو إلى حضن أبيه بعد غياب ثم قال في نبره صوت لا تخلو من الخوف والفزع :

-أقسم بربي أنك أنت الوحيد الذي تصبرني على ما أنا فيه ثم قام من كرسيه قائلا هيا بنا لعلي أجد في الخروج فرصه للهروب من ذلك الكابوس وحتى أن لم استطيع فلعلي أريح عقلي قليلا لكي يستطيع التفكير فيما تحمله الأيام التالية من مفاجآت.

***

عدل كل منهما ملابسهما قاصدين الخروج من المنزل ونادي حابى على الخادم أمرا إياه بإحضار حمارين من الحظيرة مع جعب البرية حيث كانت أحداها جعبة كبيره من القماش الملون بها أحبال من الناحية الأمامية تتدلى يمينا ويسارا و أخرى صغيره يتوسط أعلاها حبل تمسك منه حيث قام الخادم بوضعهما فوق ظهري الحمير وركب كل منهما حماره متجهين إلى مكان حابى المفضل للتنزه.

خرجا متحمسين حيث كان الجو ربيعي مليء برياح لينه تداعب وجهيهما والشمس مختبئة خلف سحاب ابيض مع بعض قطرات المطر الصغيرة على الأشجار والحقول وكأن السماء أمطرت خصيصا لتغسل أتربه يوم أمس حيث كان يوما مليء بالعواصف الترابية المنتشرة في ذلك التوقيت من كل عام.

بدء يسيران في طرق ضيقه بين الحقول الخضراء حتى توارت من خلفهما أثار المنازل والبيوت.

اخذ سيف الدين شهيقا عميقا ثم قال محدثا نفسه:

-ياله من هواء منعش بكر خالي من رائحة الوقود المحترق والمخلفات المنتنة

حابى : ماذا تقول يا سيف الدين؟

لم يجبه سيف الدين وكأن عقله قد سحر من ذلك الهواء المنعش

قال حابى وهو يشد حبل الحمار نحو صدره بشده قبل ان يركله بكلتا قدميه في بطنه كي يلتفت إلي طريقه بعد محاولة فاشلة منه لألتقام بعض العشب من الحقل الملاصق للطريق: سوف نذهب يا صديقي إلى أحب الأماكن إلى قلبي ...

سيف الدين متعجبا :

- إلى أين ؟

حابى : إلى ضفة النهر حيث المنظر أبهج والهواء أنقى

ثم أردف قائلا :

- انه أكثر الأماكن المريحة إلى نفسي.

ابتسم سيف الدين قائلا :

- لقد أغريتني فلنسرع قليلا

حابى: لا تتعجل يا سيف الدين وحاول أن تستمتع بكل لحظه من حياتك فلما العجله ولما السرعه ؟ فنحن الأن في نزهه فكما تعطي التفكير حقه اعطي ايضا التنزه حقه عش كأنك ريشة يتقاذفها الهواء يمينا ويسارا أترك همومك وحزنك علي الارض وطر بعيدا عنها لفتره لعلك عندما تعود تكون قد نسيتها أو وجدت لها حلا لم يكن بخاطرك ...

ثم أشار بسبابته اليمنى الي أحد التلال قبل أن يقول :

- النهر خلف هذا التل الصغير ... سارا حتى وصلا إلى التل حيث كان طريق صعودهما صعبا نوعا ما ولكن الحمير كانت معتاده عليه صعدوا الي قمته بعد عناء وساروا حتى نهاية التل حيث كان يوجد كوخ صغير من بقايا خشب تغير لونه من اللون الخشبي إلى اللون الرمادي الشاحب بفعل عوامل التعرية به بعض السواد من أثار أدخنه ولهيب النار التي توقد بجواره باستمرار مغطى سقفه بالبوص والطين ... ربطا حماريهما في وتد بجوار الكوخ وسارا حتى حافة التل حيث يوجد جرف أملس تحتهما كأنه

مقطوع من الضفة الأخرى تحته غابه من البوص الكثيف والنباتات المائية الكثيرة كأنها حبال تربط اليابسة بماء النيل خوفا من افتراقهما

اخذ سيف الدين شهيقا عميقا حيث كان الهواء بكرا عليلا ثم قال في أعجاب :

-اللـــه ياله من منظر بديع نطقها سيف الدين مدليا فكه السفلى من فرط إستمتاعه بالمنظر ثم نظر إلى حابى وسأله هل تأتى هنا كل يوم ؟

حابى : قليلا ولكن أشعر بغربه عندما أغيب عنه كثيرا.

سيف الدين : أنا لو كنت مكانك كنت سأتي إلى هنا كل يوم.

ابتسم حابى قائلا :

-فلنجلس هنا وأشار إلى جذع نخله مبتور ما فوقه وبجواره بعض الصخور الصالحه للجلوس.

جلس حابى على صخرة وبجواره سيف الدين على جذع النخلة متخذين من نهر النيل قبله لوجوههم داخلين في لحظات من الصمت المطبق حيث اخذ حابى يفكر في أمور بلاده وكيفيه الخلاص من الظلم الواقع على كاهل أبناء بلده بينما سيف الدين

يسترجع ذكرياته وطال الوقت حتي بدأ يحل الظلام رويدا رويدا حينها قال حابى :

-أتريد المكوث هنا أم نعود إلى المنزل ؟

فرد عليه سيف الدين طالبا منه المكوث تلك الليلة في ذلك الكوخ إن لم يكن يمانع.

حابى : فلنوقد أذا النار ونتناول الحلبة الساخنة.

قالها وهو يهم بإشعال النار ثم اخرج دلوا ذو حبل كان مخبئ بجوار الكوخ قائلا لسيف الدين :

-هل تستطيع أن تجلب لنا بعض الماء؟

هز سيف الدين رأسه موافقا واخذ الدلو قاذفا إياه في النيل ثم أسرع بالتقاطه ولكن دون جدوى وكأن ذلك الدلو يتحداه حتى نادي على حابى الذي جاء مسرعا مذعورا قائلا:

- ماذا بك يا سيف الدين.

سيف الدين : لا استطيع سحب الدلو لقد علق في حافة الجرف ... عاد حابى إلى الكوخ جالبا منه قطعه خشب صغيرة ثم أمر سيف الدين بإرخاء الحبل قليلا ثم وضع القطعه الخشبية بين حافة

الجرف والحبل لتقليل إحتكاكهم المانع لصعوده ثم طلب منه سحب الدلو فخرج ممتلئ بكل يسر.

أبتسم سيف الدين قائلا يا لك من ذكى يا حابى أجابه حينها وهو يشير بسبابته نحو رأسه :

-انه ليس ذكاء بل هو التعود فكل مشكله مهما أن كانت كبيره فلها حل ولكن علينا أن نفكر ... فقط نفكر ونستخدم المتاح حتى وأن كان هذا المتاح قليل.

قالها وهم عائدون ناحية الكوخ الخشبي ولكن توقف سيف الدين فجاه قائلًا له:

-إن كان لكل مشكله حل فحل لي مشكلتي إذا.

حابى مستغربا :

- ما هي مشكلتك يا سيف الدين ...؟

سيف الدين: مشكلتي هو أنى أصبحت في لحظه أو اقل في زمن غير زمني.

ضحك حابى ثم قال:

-كوني لا استطيع حل تلك المشكلة لا يجعلني انفي أن هناك بالتأكيد حلا لتلك المشكلة ولكنى لا أعرفه ثم أضاف مبتسما ربما

سفرك إلى زمن غير زمنك هو خير لك لإنقاذك من مشكله اكبر أو من الممكن أن يكون القدر قد اختارك أنت لتوصيل رسالة ما من زمنكم إلى زمني أو من زمني إلى زمنكم ثم أكمل كل منهم المسير حتى دلفا إلي داخل الكوخ.

بدء حابى في فرش قطعتين من الكليم فوق أرضيه الكوخ الترابية بعد كنسه بينما كان سيف الدين موجها نظره نحو النار المشتعلة بجوار باب الكوخ مستغرقا في ذكرياته لم يرد حابى أن يخرجه من شروده إلا بعد أن لاحظ الدموع تتجمع في عينيه فتحدث معه لا رغبه في الحديث ولكن لكي يخرجه من أحزانه قائلا له :

-هل تريد ان تشرب؟

هز سيف الدين رأسه بالموافقة دون أن ينظر إليه وأرتشف من القارورة التي أعطاها له حابى ثم قال :

-هل هذه من مياه النيل ؟

رد عليه حابى قائلا :

-نعم ثم سأله ماذا بها ؟

سيف الدين :إني لم اشرب ماء من قبل بمثل تلك العزوبة والنقاء

استغرب حابى من كلامه ثم تابع سيف الدين قائلاً:

- مياه النيل في زماني تختلف عن مياه النيل في زمانك

حابى:في أي شيء تختلف؟

سيف الدين : في الطعم وفي اللون وحتى في الرائحة .

ثم أستطرد مضيفا :

-يكفى أن أخبرك أننا لا نشرب من مياهه مباشره بل تقوم الدولة بعمليات تطهير وتكرير لأزاله ما به من ملوثات وقاذورات ونفايات.

بدت علي حابى علامات الاندهاش وهو يقول:

-ماذا تقول يا سيف الدين ؟ من هؤلاء المجانين الذين يلقون قاذوراتهم في النيل ؟

سكت سيف الدين لحظات قبل أن يقول:

-نحن من نلوثه

ضاقت عيني حابى غضبا ثم قال :

- نحن ؟! ماذا تقصد بنحن يا سيف الدين ؟!

نظر سيف الدين الي ألارض من تحت قدميه وهو يقول في حسرة :

-نحن أحفادكم المصريين

حابى : هل أصابكم العته ؟ ثم سأله مستنكرا كيف تلوثون ما تشربون وتلقون قاذوراتكم في مياهه وأكمل حديثه منفعلا تهينون ما يروى ظمأكم ويروى حيواناتكم انه نهر الحياة انه سبب وجود تلك الحضارة على جانبيه وتلك الزراعة على ضفتيه وتلك الأمم التي تحسدنا عليه وهؤلاء الأعداء الذين قدموا من كل حدب وصوب لينهلوا من خيراته وخيرات أراضيه هذا النهر نقدسه ونتلوا له الصلوات والترانيم.

ثم أضاف قائلا في تأفف :

-آه لو كنت إنا الحاكم فى زمانك...!

سيف الدين : ماذا كنت ستفعل ؟

حابى: كنت سأقتل كل من يحاول تلويثه مجرد فقط إن يحاول

سيف الدين : كلهم... كلهم ؟

حابى : كل الرعية سواسية أمام الحاكم

بدء سيف الدين يحكى له عن مياه النيل في زمانه وما يلقى فيه من ألاف الأطنان من مخلفات المصانع في المدن وجيف الحيوانات في الأرياف وجثث القتلى التي يلقيها المجرمين في النيل لإخفاء جريمتهم حتى الحكومة وما تلقى فيه من مياه الصرف الصحي وقال متمتما لنفسه من الأفضل لك يا حابى انك لست في زماننا فربما جننت مما كنت ستراه ...

حابى : كفى يا سيف أن سوف أتقيأ مما تقول.

ثم صمت كلاهما وبعد قليل أخرجه حابى من تفكيره قائلا:

-هل تعلم يا سيف الدين أن اسمي حابى وهو اسم اله النيل أو خليفة الله المسئول عن النيل حتى لا تقول إننا نعبد أكثر من اله

ثم أضاف قائلا :

- النيل عندنا له عيد كل عام يأتي في أول الربيع فنقذف فيه الكحك والقرابين من الحيوانات الصحيحة والفاكهة لتثير قوه فيضانه.

ثم ابتسم قائلا :

-نحن نلقى في النيل ما نحب وليس ما نكره عكسكم تماما حتى تماثيل الإناث الجميلة بل الإناث نفسها في بعض الأماكن

لتثير قوه إخصابه وعنفوانه معطيا لأراضينا الحياة وفى عيده المقدس نلقى عجل ابيض وثلاث من الإوزات في وسط احتفالات مبهجه الشعب يشاهد والفرق الموسيقية تعزف والراقصات ترقص والكهنة يرتلون ويترنمون والوزراء والحاشية يتقدمون المشهد انتظارا لملك البلاد الذي يأتي في المركب الملكي ومن حوله المراكب الشراعية المزينة بأعلام البلاد

سيف الدين: بالله عليك كفى أنا استصغرت نفسي واستصغرت قومي مما فعلوا ومما يفعلون في النهر المقدس

حابى: دعني القي عليك إحدى ترانيمه ... لم ينتظر حابي السماح من سيف الدين كى يفعل لأنه بالفعل قد بدأ حيث وقف ناظرا نحو النيل وقال بصوت عذب ناشدا:

الحمد لله يا نيل

يا من تخرج من الأرض و تأتى لتغذى مصر

ياذا الطبيعة المخيفة

ظلام في وضح النهار

انه هو الذي يروى المراعى

وهو المخلوق من رع

ليغذى كل الماشية

و هو الذي يسقى الصحراء البعيدة عنه

إن مائه هو الذي يسقط من السماء

انه حابى اله النهر

حابى الذي يغذى ويطعم ويجلب المئونة لمصر كلها

الذي يهب كل فرد الحياة

و يأتي بالخير في طريقه

و الغذاء يأتي من نباته

و يجلب مجيئه إلى كل إنسان

انك فريد

أنت الذي خلقت نفسك من نفسك

دون أن يعرف أي احد جوهرك

ثم نظر لسيف قائلا : له حتى فيضانه يا سيف له ترنيمه اسمع

أيها الفيضان المبارك

أقيمت لك الأعياد

و قدمت لك القرابين

فتقبل منا الشكر والاعتراف بفضلك

أنتهي حابى من ترانيمه ثم نظر إلى سيف الدين قائلا له في استفسار :

- هل جف النيل أو قل منسوبه ؟

سيف الدين : انه لم يجف وإن شاء الله لن يجف ولكن لماذا تسأل؟

حابى: لأن جفافه هو النهاية الطبيعية لعدم اهتمامكم به ولن تعرفوا قيمته إلا بعد فوات الأوان فلن يفيد البكاء علي اللبن المسكوب حينها وأن كنت لا أتمنى ذلك.

أبتسم سيف الدين وهو يقول :

-وكأنك قارئ جيد للمستقبل يا حابى بالفعل هناك بعض المحاولات من قبل بعض الدول التي تعمل على ذلك من أجل مصالح شعوبهم على حساب شعبنا فهناك دوله تسمى إثيوبيا في الجنوب تقوم ببناء سد عظيم لحجز المياه وستقل نسبه المياه الواصلة إلى أراضينا.

حابى : هل تعلم أن أي مملكه من ممالك الجنوب في حال محاوله التفكير فقط محاوله التفكير في فعل ما تقوله نحرك قواتنا إلى هناك

وندك ما يصنعون من سدود أو موانع هل تسمع عن حروبنا المتعددة مع الأحباش في الجنوب ... ؟

سيف الدين ضاحكا :

-أنهم بالفعل هؤلاء الأحباش جيراننا في الجنوب هم من يشيدون السد العظيم

حابى : ولماذا لم تمنعوهم ؟

سيف الدين:

-هم استغلوا فتره عدم الاستقرار ونفذوا مشروعهم بالتعاون مع بعض الدول مثل إسرائيل ثم أنهم لديهم جيش قوى وأن دخلنا معهم في حرب فستكون وبالا على بلادنا نحن الاثنين

أنعقد حاجبي حابى للأسفل وهو يقول :

- بني إسرائيل ؟!

سيف الدين : هم بالفعل

حابى : وهل ما زالوا موجودين فوق ارض مصر كما هم ألان؟؟ّ!

سيف الدين مندهشا :

-وهل هم موجودين هنا ألان ؟!

حابى : أنهم موجودين في ارض جاسان القريبة من هنا

سيف الدين : ماذا يفعلون ؟!

حابى : سأحدثك عنهم ولو أردت الذهاب عندهم لذهبنا هناك و لكن اخبرني عن النيل والأحباش؟

تثأب سيف الدين وقد بدا يغلب عليه النعاس فقال له حابى :

-فلتنم أنت ألان ولنكمل حديثنا غدا قالها بعد أن أتخذ كل منهم مكانه المعد للنوم و بدء كل منهم في نوم عميق ...

***

الفصل السابع

مر الليل عليهما سريعا وهم نائمين في الكوخ حتى إنهما لم يشعرا بأنفسهم إلا وأشعه الشمس المخترقة فواصل خشب الكوخ تلفحهما حتى استيقظا من حرارتها وبدء كل منهما يغتسل من دلو الماء خارج الكوخ حتى انتهيا ثم اخرج حابى برسيما قدمه إلى الحمير المربوطة في الخارج مع بعض الماء ثم دخل إلى الكوخ مخرجا من جعبته بعض كسرات الخبز مع طبق من العسل وضعهما أمامه هو وسيف الدين وبدء كل منهما في تناول الطعام.

أغمض سيف الدين عينيه وهو يقول :

-ياله من طعام شهى.

عقب حابى مستنكرا :

-أي لذة بعد ما قلته بالأمس ..؟

سيف الدين : أي شيء أفقدك لذة الطعام ..؟

حابى : سدود الأحباش في منابع النيل وسكت هنيهة قبل أن يقول في حزم : عندما تعود إلى زمانك انصح قومك وقل لهم أن العدو الذي لا تستطيعوا أن تنتصروا عليه في الحروب اكسبوا ودهم ... ساعدوهم بما يريدون أرسلوا لهم الاطباء والعلماء

والمعلمين ... تزوجوا منهم اجعلوا بينكم وبينهم نسبا وصهرا حتى تكون أفراحكم واحده ومصائبكم واحده عندها فقط سوف يأتمرون بأمركم

ابتسم سيف الدين محركا رأسه بالموافقة على كلام حابى وغاص في بحر ذكرياته حين تذكر عندما شاهد أوبرا عايدة في دار الأوبرا المصرية تلك الملحمة التي كتبها "مارييت باشا" مدير الآثار المصرية ليتم عرضها في افتتاح قناة السويس سنه ١٨٦٩في عهد " الخديوي إسماعيل " حيث تحكى عن وقوع القائد المصري " راداميس " في غرام " عايده " الحبشية إثناء حمله من حملات الجيش المصري فى منابع النيل حيث حكم عليه بالإعدام بتهمه الخيانة العظمى و الذي تم دفنه حيا في القبر الذي سبقته إليه جثه " عايدة " حبيبته

حابى : بماذا تفكر يا سيف الدين ؟

سيف الدين : لاشيء يا حابى .

حابى : هيا بنا لنعود إلى المنزل قبل أن تشتد أشعه الشمس فوق رؤوسنا .

ثم نظر الي سيف الدين قائلا له :

-قبل أن ناتىء إلى هنا في المرة القادمة ذكرني بالإتيان بصنانير الصيد كي نصطاد بعض اسماك النيل حتى نتمتع بطعمها وهى طازجة ابتسم سيف الدين ثم قال إن شاء الله سوف أذكرك ... أن شاء الله

بدء كل منهم في تجهيز حاجاته للعودة ووضعوها فوق الحمير ثم امتطياها قاصدين منزل حابى كان منظر الطريق في الذهاب غير منظره في الإياب حيث قد بدء الفلاحون في مباشره أراضيهم مع بداية اليوم فهذا فلاح يزرع وأخر يرمى البذور وأخر يجلب مياه النيل إلى الأعلى وكان المشهد كخليه نحل فى ساعة الذروة وكان يجوب الطريق معهم إناس آخرين ممتطين حميرهم أو سائرين على الأقدام وكان كل من يقابل حابى ورفيقه ينحنون لهم تبجيلا واحتراما حتى راكبي الحمير كانوا يترجلون احتراما وتقديسا لمكانه حابى الدينية عندهم حتى وصلا إلى المنزل وما أن وصلا حتى هم الخادم على سيده حابى هامسا في أذنه وكان يبدو عليه انه يحدثه في أمر جلل حتى تغيرت ملامح وجهه بالعبوس والغضب والقنوط ... دخل حابى غرفة الصلاة يتبعه سيف الدين الذي سأله في إستغراب :

-بماذا حدثك الخادم يا حابى ؟

فقال له حابى وهو يصطنع ابتسامه على شفتيه :

-لا شيء يا سيف الدين لا تشغل بالك هيا بنا أولا لنتناول الغذاء ...

جلس حابى وسيف الدين لتناول الغذاء ولاحظ سيف الدين أن حابى يتظاهر بتناول الطعام دون أن يأكل منغمسا في أفكاره فسأله في ولع :

- ماذا بك يا حابى؟ أخبرنى بما يدور في راسك بالله عليك ... أخبرنى ؟

أشار له حابى بان يتبعه إلى أحدي الغرف وبعد أن دلفا إلى الداخل نظر حابى في أرجاء الغرفة وعند شباكها ثم قال حابى لسيف الدين بصوت هامس إن فرعون قد علم من بعض جواسيسه أن هناك ثوار يجتمعون سرا لإنهاء حكمه وطغيانه ؟

أبتسم سيف الدين قبل أن يقول مستنكرا :

-وماذا يغضبك ؟

اخذ حابى شهيقا عميقا ثم اتبعه بزفير مصحوبا بتأوه طويل ثم قال هامسا بصوت منخفض :

-أنا من أولئك الناس الذين يريدون إنهاء سلطته هو وأعوانه بل أنا المسئول عن تنسيق ومتابعه ثوار أتريب وضواحيها.

استغرب سيف الدين وقال مستنكرا:

- أو ليس هو من بني وشيد تلك لمعابد أو لم تقسموا له بالولاء والطاعة في السراء والضراء أو ليس يكفى انه مصري مثلكم؟

قاطعه حابى قائلا في غضب :

-تبا لكتبه التاريخ ... تبا لمزورى الحقائق ...

ثم أردف غاضبا :

-انه ليس مصريا انه من " العامو ".

ثم أشار بيده نحو الشرق قائلا بصوت مختنق :

- تلك القبائل الرعوية التي قدمت من أسيا خلف الكلاء والملاء ثم انه لم يشيد شيء أو يبنى هو قام فقط بوضع اسمه على معابد من سبقوه وان شيد فشيد لنفسه تلك المعابد الوثنية

أتدهش سيف الدين حتي غر فاه قبل أن يقول :

-كيف ذلك يا حابى ؟كيف لك أن تقول انه ليس مصريا ؟

كل ما تقوله عكس ما درسناه كيف تقول أن فرعون ليس مصريا...؟! لقد تسمينا به وأصبح لقبا لكل المصريين ... بالله

عليك قل كلام غير ذلك ... ثم أضاف مستغربا حتى إننا نفتخر ونقول أننا أحفاد الفراعنة ومن منا ينبغ في عمل أو يتقن فنا ما او رياضه ما يطلق عليه الفرعون حتى انه هناك كثير من الإباء الذين سموا أولادهم باسم فرعون بل وأصبح لقبا لكثير من الأسر و العائلات ...

سأل حابى سيف الدين في ضجر :

-من أين أخذتم تاريخكم يا سيف الدين ؟

سيف الدين : على حد علمي من مؤرخين كثر مثل مانيتون السمنودى المصري ويوسف بن متى المشهور بيوسيفوس الإسرائيلي ومن توراة بني إسرائيل فهي مصدر التاريخ المعتمد من قبل العالم أجمع خاصة بعد حريق مكتبه الإسكندرية التي كانت زاخرة بكل العلوم الثمينة من تاريخ وفلك وفن.

حابى : من منهم منكم ومن منهم من أعدائكم ؟

سيف الدين : مانيتون مصري ولكن كتاباته كلها أحرقت تماما كما قلت لك في حريق مكتبه الإسكندرية في العصور اللاحقة ويوسف بن متى وكتاب التوراة من بني إسرائيل ثم أضاف هم ليسوا منا و لسنا منهم و لكن كتبهم هي الباقية.

أمتعض وجه حابى قبل أن يقاطعه قائلا :

-كيف تأخذون تاريخكم من أعدائكم ؟ هل انتم معاتيه أم أصابكم الخبل ؟ وهل عقمت البلاد عن الإتيان بمؤرخين ثقات يكتبوا الحقائق دون زيف أو تحريف؟

ران الصمت عليهم لفترة ثم سأله حابى مستغربا:

-ما هي الأسكندرية ..؟! اهى منطقه مصريه..؟!

سيف الدين : هي مدينه ساحليه تقع في أقصى شمال مصر ناحية الغرب قليلا مشهورة بالصيد والزراعة ...

حابى : تقصد (را قدت) ..؟

سيف الدين : لا اعرف ماذا كان اسمها قبل أن يطلق عليها الاسكندر المقدونى ذلك الاسم.

امتقع وجه حابى غضبا قبل أن يتسأل ساخرا:

- هل احتللتم من قبل المقدونيين ... ؟ ويحكم ... ويحكم

ثم قال لنفسه متمتما لقد صدق تحوت حين قال :

-ستصبحين مهجورة موحشة محرومة من وجود الملائكة ومحتله من الأجانب الذين سيتنكرون لتقاليدنا المقدسة

ثم أكمل حابى تسأولاته ممتعضا :

-أيا كان اسمها ماذا قال مانيتون السمنودي فيها وصلكم من أخبار؟

سيف الدين : كما قلت لك لقد حرقت كل كتبه في حريق مكتبه الإسكندرية ولم يبقى إلا كتب يوسيفوس وتوراة اليهود فاتخذها العالم اجمع مرجعا و دليلا ...

حابى : ما هي التوراة ؟ ومن هم اليهود ؟ ومن احرق مكتبه الأسكندرية ؟

نظر إليه سيف الدين قبل ان يقول :

-هل سنتناقش في تلك الامور الان ونترك التفكير في مصيبتنا الحالية ؟

رد عليه حابى في حنق قائلا :

-لان ما تقوله أنت هو الشئ نفسه الذي نحاربه ألان هو تزييف الوعي والتاريخ ثم كرر سؤاله مره أخرى ما هي التوراة ؟ ومن هم اليهود ؟ ومن احرق مكتبه الأسكندرية ؟

سيف الدين : بالنسبة لمكتبه الأسكندرية فمن الأرجح أنها أحرقت في إحدى المعارك بين البطالمة والرومان على ارض الأسكندريه وهناك من يقول انه تم إحراقها عمدا من بعض

المندسين الذين استغلوا تلك المعركة لطمس علوم المصريين القدماء وتاريخهم وكتابه تاريخ جديد وفقا لمعتقداتهم وسياستهم أما بالنسبة للتوراة فهي كتاب الله المنزل على موسى ولكن إتباعه من اليهود قد حرفوه ليشتروا بآيات الله ثمنا قليلا واليهود هم أتباع موسى وسموا باليهود نسبه إلى يهوذا بن يعقوب احد الأسباط الأثني عشر الإسرائيليين ...

حابى : و لماذا لم يطلق عليهم الموسويين نسبه إلى موسى أو اليعقوبيين نسبه إلى يعقوب لماذا يهوذا بالذات ...؟!

سيف الدين : لا اعلم لماذا تحديدا يفتخرون بيهوذا دون غيره ثم أضاف سائلا نفسه ولكنه سؤالا جديرا بالبحث لماذا أطلق عليهم يهودا نسبه إلى يهوذا ولم يطلق عليهم موسويين نسبه إلى موسى و هو أجدر وأحق بالانتساب إليه

حابى : يالهم من أوغاد

قاطعه سيف الدين متسائلا :

- من هم ؟

حابى : لا شيء......لاشيء يا سيف الدين ثم أردف قائلا :

لقد أخذنا الكلام حتى أنساني ما كنت اخطط له أن الملك ألان

يتتبع كل من يشك في أن ولائه لطيبه وحكامها ثم أكمل حديثه و قلبه يعتصر حرقا وكمدا وألما من أفعال فرعون.

ثم أضاف في غضب :

-ان فرعون يقتل ويصلب ويحرق كل من يشك انه على صله بأهلنا في الجنوب حتى بني إسرائيل المقربين من حاشيته يفعل فيهم الويل والثبور وعظائم الأمور.

قال سيف الدين مستنكرا قول حابى :

-بني إسرائيل ؟بني إسرائيل مقربين من حاشية فرعون ؟

ثم سأله قي استغراب :

- ماذا تقول يا حابى ؟

حابى : سنؤجل الكلام مؤقتا دعنا نفكر فيما يجب علينا فعله في الأيام القادمة.

دخل الخادم عليهما دون ان يستأذن وهو يلهث قائلا :

-سيدي ... سيدي

استدار له حابى قبل أن يقول في لهفة :

- ماذا بك ؟

رد عليه الخادم وهو يضع بده اليمني علي قلبه محاولا تهدئه دقاته المتسارعة من الخوف والجزع :

-بينما كنت أنظف سطح المنزل لاحظت وجوه غريبة تراقب المنزل ذهبت حولهم لأستطلع أمرهم اعتقادا منى أنهم لصوص ولكنى وجدتهم من جنود الفرعون بلباسهم المميز يراقبون المنزل عن قرب ...

انتصب حابى واقفا وهو يتمتم بالسب واللعن قائلا :

-اخرج ألان أيها الخادم وتأكد من إغلاق أبواب المنزل جيدا

ثم نظر إلى سيف الدين قائلا له :

-لقد علموا بأمري يا سيف الدين ولن يألوا جهدا في قتلى وان كان القدر رحيما بى فسيكتفوا فقط باعتقالي و سجني

سأله سيف الدين وهو يرتجف:

- هل هم "العامو"؟

هز حابى رأسه مؤكدا كلام سيف الدين ثم أردف قائلا :

- لك الأختيار يا سيف الدين بين البقاء في المدينة أو أن تصاحبني في رحلتي للهروب إلي مكان أخر أكثر أمنا حيث قد فضح أمري هنا.

قاطعه سيف الدين غاضبا :

-كيف أتركك يا حابى بعد كل ما فعلته معي انك ونعم الأخ ونعم الصديق قالها وهو يبكى حتى احتضنه حابى باكيا هو الأخر وكأن المستقبل والماضي يتعانقان هذا يبكى على ماضي تم تحريفه وذاك يبكى على مستقبل تم تجريفه.

ثم قال حابى متحمسا :

-هيا لنعد عدتنا لابد أن نغادر اليوم قبل غدا.

سيف الدين : هيا و لكن إلى أي مكان سنذهب ؟

حابى : لا اعرف تحديدا ولكن كل الطرق المؤدية إلى الجنوب والجنوب الغربي كلها مؤمنه لمنع اختراق تلك المناطق من قبل الجنود المصريين ومنع هروب الثوار بالأخبار عن تجهيزات جيش فرعون والطرق من هنا إلى الشمال إلى ارض جاسان مفتوحة دون حراسه وهكذا أيضا طرق المشرق المؤدية إلى سيناء فنحن داخل الأراضي المسيطر عليها منهم ...

ثم اضاف :

-هنا يكتفون فقط بحراسات قصور فرعون وحاشيته.

سيف الدين : في أي اتجاه سنسلك طريقنا ؟

رد حابى بعد دقائق من التفكير العميق قائلا سوف نذهب إلى جاسان تلك الأرض التي يسيط رعليها فرعون وجنوده حيث بها الكثير من العامو والكثير من المصريين وأيضا يوجد معهم بني إسرائيل حيث من السهل التخفي بينهم خاصة أن حدودنا معهم مفتوحة.

سيف الدين: وهل سنتحرك الليلة ؟

رد حابى في صوت حازم : بل الآن .

سيف الدين: ولكن الليل أفضل فيسهل فيه التخفي عن أعين الجنود.

حابى: هكذا هم أيضا يفكرون ولن يتوقعوا منا الهروب في وضح النهار .

سيف الدين : كما ترى يا حابى أنا معك قلبا وقالبا

حابى مناديا الخادم سوف نتحرك ألان حضر لنا ملابسنا وطعامنا فربما تمتد الرحلة لوقت أطول مما نتخيل.

الخادم: حالا يا سيدي الكاهن قالها وهو يخرج مسرعا من الغرفة وسرعان ما قام حابى بالتقاط كل ما تقع عليه عينيه من برديات وأشياء أخرى ثمينة كانت مخبئه داخل إحدى الصناديق

ممسكا إياهم بحرص شديد واضعا كل برديه داخل اسطوانة منفصلة حيث كان لديه الكثير من الاسطوانات المعدنية والورقية وأخرى من القماش المخملي لتحافظ على ما بها من علوم ثمينة قام بجمعها طوال حياته والحفاظ عليها وحين انتهى كان الخادم هو الأخر قد انتهى من تجهيز ما يحتاجون من ملابس وطعام.

ثم سأل سيده حابى :

- هل أجهز لكم الحمير ؟

هز حابى رأسه نافيا وهو يقول :

- لا بل اتركها مكانها فسوف نمشى سيرا فربما ما يطمئن الجنود ألان بالخارج أن الحمير مازالت مربوطة في مكانها ولكن إن اختفوا فسرعان ما سيعرفون بأننا قد غادرنا .

الخادم : ولكنهم يا سيدي في كل مكان يختبئون خلف الأشجار وحول المنزل وفي الحقول.

حابى : سوف نصعد السطح وننزل من الخلف بالسلم الخشبي الموضوع على سطح المنزل وحينما ننزل اسحبه مجددا إلى مكانه وأمكث بالمنزل هنا حتى الصباح مشعلا الشموع في غرف المنزل كلها وبالأخص غرفه الصلاة.

ثم أضاف في صرامة :

-لا تنسى إشعال البخور حتى يطمئنوا أكثر لمكوثي فيها وغادره صباحا وأحمل معك بعض الأوز وإن تعرض لك احدهم أو سألك أحد منهم قل لهم : أنى ذاهب إلى السوق لمقايضه الأوز ببعض الحنطة .

رد الخادم : كما ترى يا سيدي ثم قال وهو يجهش بالبكاء أفديك بروحي يا سيدي وخر على الأرض ساجدا مقبلا قدمي حابى الذي رفعه من سجوده مقبلا رأسه.

نجحت خطه حابى في الهروب حيث لم يشعر أحدا من الجنود بمغادرتهم للمنزل حيث كان كل شيء بالمنزل وخارجه كما خطط له حابى مما جعل الجنود مطمئنين أن الكاهن بالداخل وأن الأمور على أكمل ما يرام حيث كانت الأوامر الصادرة لهم بمنع حابى من المغادرة دون اقتحام المنزل نظرا لمكانته داخل المدينة فربما يؤدى موته داخل منزله إلى ثوره الكهنة ومريديه من الشعب.

***

اختفى حابى وسيف الدين وسط الحقول الممتدة خلف المنزل حتى وصلا إلى طريق ترابي يحاذى فرع من فروع النيل وهنا قال

حابى : سوف نتخذ من هذه الترعة مرشدا ودليلا ليوصلنا إلى النهر الكبير المؤدى إلى ارض جاسان.

أومئ سيف الدين برأسه موافقا على خطه حابى للهروب فلا حيله له من أمره حيث انه لا يعرف أحدا سواه وأصبح من طول مرافقته مطمئنا لتفكيره فهم ألان بعيدون نوعا ما عن قبضه جنود المراقبة.

سارا الاثنين كثيرا حتى أوشك ضوء النهار على الذبول ليحل مكانه الليل والظلام حيث اسرعا حتي بعدا كثيرا عن المدينة دون كلل أوملل فالفرق بين الحياة والموت ألان ربما يكون لحظه.

أسدل الليل ظلامه حتى القمر والنجوم لم يظهرا في تلك الليلة وكأنهم يتكاتفون على إخفائهم عن أعين الأعداء ...أعداء الأرض والدين ...أعداء مصر.

هل نسترح قليلا يا حابى قالها سيف الدين وهو يمسك بأسفل ظهره متألما...

حابى : ماذا بك يا سيف هل أرهقك المسير؟

سيف الدين : نعم يا حابى هل معك بعض من تلك الأعشاب المسكنة للألم لكي تساعدني على أن أتخلص من الامي ؟

حابى : نعم وبدء يتفحص جعبته حتي اخرج منها بعض الاعشاب معطيا إياها لسيف الدين يمضغها قبل أن يقول :

-هيا بنا الآن لنجد مكانا أمنا

بدء حابى في البحث عن مكان امن حتى لمح شجره جميز ضخمه أشار نحوها قائلا :

-هنا يا سيف الدين سوف نتخذ من تلك الشجرة ستارا لنا .

ثم أضاف قائلا :

-هيا بنا ...

دخل حابى إلى وسط البوص الكثيف قاصدا الشجرة يتبعه سيف حتى وصلا إليها وسرعان ما ارتمي سيف الدين على الأرض ساندا ظهره على جزعها لكن زجر حابى غضبا ثم قال بصوت خشن لا يخلو من لهجة أمر :

- قف يا سيف الدين لا تجلس إلا عندما أذن لك ...

قام سيف الدين مذعورا منتظرا أمر حابى لكن حابى قام بالسير دائريا حول الشجرة ثم سرعان ما أخرج بعض من الأعشاب وألقاها حول الشجرة وهو يتمتم سرا ببعض الكلمات التي لم يعرف سيف الدين فحواها ثم قال :

-ألان المكان امن استرح أينما تريد ...

جلس سيف الدين وبجواره حابى ثم سأله سيف الدين :

- ماذا كنت تفعل حول الشجرة؟

حابى : ارش بعض الأعشاب الطاردة للأفاعي والثعابين والعقارب فهذا هو مكانهم المثالي

ذهل سيف الدين وقال وهو يبتلع ريقه بصعوبه :

-وهل نحن ألان في أمان ؟

حابى : نعم يا سيف الدين لا تخف ...

سيف الدين : يا لك من خبير ماهر ...

حابى : كما قلت لك مسبقا يا سيف الدين يجب على الإنسان منا ان يتكيف مع البيئة التي حوله حتى يستطيع أن يعيش ويتعايش ثم قال له مبتسما يبدو أن الأعشاب لم تأتى بنتيجة بعد ... سوف اعد لك مشروبا أقوي يخلصك من ألامك.

ابتسم سيف الدين قبل أن يقول مازحا:

-ربما أن أعددت لى مشروبا يخلصني من حياتي سيكون أفضل.

صاح حابى غاضبا :

-لا تقل ذلك مره أخرى إن حياتنا لا ينزعها إلا خالقها ...

سيف الدين : والله إن ما تقوله يا حابى لا يختلف كثيرا عما أؤمن به ...

لاحت إمارات الغضب على وجه حابى متسائلا :

-ومن قال لك أننا لا نؤمن بالله ؟من أخبرك أننا ليس لدينا شرائع ؟هل لاحظت تلك البرديات التي أخبئها معي ... ؟

سيف الدين : بالفعل رأيتها وكنت سوف أسالك عنها ولكنى نسيت ...

قال حابى وهو ينفخ في النار محاولا اشعالها :

- أنها بعض مما استطعت العثور عليه من كتابات " خنوخ "

سيف الدين مستغربا :

- نخنوخ من ؟

حابي : قلت لك أسمه خنوخ وليس نخنوخ

سيف الدين : معذره ولكن من هو خنوخ

حابى : هل هذا هو الأخر تم طمسه من تاريخنا !؟

سيف الدين : أنا بالفعل لم اسمع عنه من قبل

حابى : انه خنوخ بن يارد ين مهلائيل بن قينن بن انوش بن شيث بن ادم أبو البشر

ظل سيف الدين يعصر عقله ليتذكرهم ثم قال :

- أنى اعرف ادم وقابيل وهابيل أولاده لكن خنوخ هذا لا اعرفه حتى مهلائيل قرأت عنه وأتذكر إن لقبه كان ملك الأراضين السبع والبحور السبع.

بدء حابى في صب المشروب الساخن في الكوب دون تعقيب على ما قاله سيف الدين ثم ناوله إياه ثم قال له :

-حاول أن تشربه ساخنا لان مفعوله العلاجي يقل كلما برد

بدأ سيف الدين في آرتشاف المشروب الساخن ذو الطعم المر ثم أردف حابى مكملا قصه "خنوخ" قائلا "خنوخ" بن "يارد" بن "مهلائيل" بن "قينين" بن "انوش" بن "شيث" بن "اتوم" او "ادم" كما يناديه غيرنا ولد فى عهد جده "اتوم" كان عابدا تقيا ذو قلبا طاهرا نقيا طويل البنية كثيف اللحية كثير النظر إلى الأرض في مشيته ... في عينيه مسحه حزن إذا غضب احتد وإذا تكلم حرك سبابته أرسله الإله الواحد للقضاء على الشر والفساد والخراب الذي خلفه قوم قابيل في الأرض فكان أول من شرع القتال في سبيل الله وأول من سبى وأول من جهز الجيوش فكان سببا في تقليل شرورهم في الأرض ثم أضاف مبتسما انه أول من

خط بالقلم ويقال انه عاش في كنف جده أدم ٣٠٠ عام في بابل وعندما كبر رحل منها قاصدا مصر واستقر بجوار النهر العظيم قائما مصليا داعيا الله حيث كان مستجاب الدعاء مكث هنا لأكثر من ٥٠٠ عاما يدعوا الناس بالحكمة والموعظة الحسنه فهو من له الفضل من بعد الإله الأعظم في نشر التوحيد في ربوع مصر حتى انه أمر أجدادنا بالصلاة والصيام والزكاة والطهارة وحرم كل شيء يضر بالإنسان وهو من علم أجدادنا إنشاء المدن وتنظيمها وله صحف أنزلت عليه من الله حتى انه من فرط ورعه وعبادته كان تسبيحه مثل مياه النهر لا تنقطع وهو من أكمل شريعة جده "شيث"

استغرب سيف الدين سائلا:

- "شيث" ؟

حابى : نعم "شيث" الم تسمع به من قبل ؟

سيف الدين : لا أتذكر انه مر على من قبل ...

حابى : شيث هو النبي الأول بعد وفاه والده ادم بعد مقتل أخاه هابيل المقتول حسدا واستكبارا من أخوه قابيل حيث اصطفاه الله لإكمال رسالة أبوه فحينما حضرت الوفاة ادم عهد لولده شيث بأمر

بنيه وأوصاه على أمورهم والقيام بها حتى عندما ماتت أمه حواء بعد موت أبيه بسنه دفنها كما علمته الملائكة ثم اخذ يشرع للبشرية أمور دينهم ودنياهم ويبين لهم الحلال والحرام وصار الناس يمتثلون لأوامره حتى انه شرع لهم عدم الاختلاط بقوم قابيل لفساد أمرهم وسوء أخلاقهم وقبل أن يتوفاه الله عهد إلى ابنه "انوش" الذي التزم وألزم غيره بأتباع سنه أبيه وجده حتى مات ثم بدء العصيان في الأرض والخروج عن أوامر الإله الواحد الأحد حيث اختلط أبناء شيث وأحفاده من ضعفاء النفوس مع أبناء قابيل وكانوا يذهبون إلى أولاد قابيل في عيدهم الذي تتبرج فيه النساء ويستمعون الى مزاميرهم ويبتعدون شيئا فشيئا عن شريعة " ادم " و" شيث " و" انوش " ودب الفساد في الأرض والزنا والفحش حتى بدأوا يهجمون على المؤمنين في بيوتهم فيؤذونهم ويقتلونهم حتى بعث الله "خنوخ"

سيف الدين : أين قبر خنوخ النبي يا حابى ؟

حابى : لا تعرف له قبرا ولكن من عاصره قال انه رفع إلى السماء وهو حي عند ربه يرزق.

سيف الدين : انه إدريس والله انه إدريس فأن كل ما حكيته لا ينطبق إلا على سيدنا إدريس ...

بدأ حابى يخرج بعض البرديات من الاسطوانات المعدنية يعطيها بحرص شديد إلى سيف الدين قائلا إليه:

- إقراء يا سيف الدين ...

بدأ سيف الدين يمسك بالبردية ويقراء :

خلق الإله وحده

لم يكن بجانبه احد

خلق ولم يخلق

هو الأب وهو الأم وليس له ولد

إن الله واحد غير مرتبط بزمان أو مكان

فهو الذي أرسل الزمان وخلق المكان

اله واحد عرشه في السماء

ظله في الأرض فوق المحسوسات

محيط بكل شيء

موجود بلا ولادة ابدي بلا موت

أنهى سيف الدين قرأه البردية الأولى معطيا إياها لحابى ليضعها في مكانها داخل الاسطوانة ثم بدأ في قرأه البردية الثانية التي أعطاها إليه حابى أيضا والتي كان مكتوب بداخلها ...

يقول الإله خلقت كل شيء وحدي

ولم يكن بجواري احد

بكلمتي خلقت ما أريد

خلقت الأرض وما تحتها

والسماء وما فوقها

والمحيطات وما في أعماقها

والجبال وما في بطونها

واخذ برديه أخرى قرأ فيها

في تلك الأيام سترد الأرض ما اؤتمنت عليه

و سترد جهنم ما أخذته

سيقوم المصطفى ويختار الصالحين والقديسين من بين الموتى

قد جاء اليوم الذي فيه ينقذون

المصطفى في هذا اليوم سيجلس على عرشي

وسينطلق لسانه بأسرار من الحكمة والمحاماة

قد أعطاها له رب الأرواح ومجده

وفى هذه الأيام ستتحرك الجبال كأنها خراف

وتثب التلال كأنها نعاج أرضعت بالحليب

ويشع بالغبطة كل وجوه ملائكة السماء

ستبتهج الأرض

الصالحون سيعيشون عليها

وسيمشى هناك المختارون

وسيحكمهم رب الأرواح

وسيأكلون مع ابن الإنسان

ويرقدون ويقومون إلى الأبد

المختارون والصالحون سيقومون من الأرض

وتختفي عنهم قسمات الانكسار

أنهى سيف الدين قرأه أوراق البردي معطيا إياها إلى حابى الذي اخذ هو الأخر في لفها مرة أخري كي يضعها كما كانت داخل الاسطوانات ثم سأله حابى مستنكرا :

- هل لديك شك ألان في أننا موحدين مؤمنين برسالات سماويه لا يعتريها الزيف ولا الكذب ؟!

سيف الدين : إني قد تخيلت كما قيل لنا إنكم غير ذلك حتى أنى كنت مقتنع تمام الاقتناع أن نبي الله يوسف ومن بعده نبي الله موسى هم أول الأنبياء الذين وطأت إقدامهم ارض مصر ...

حابى : ويحك ... وهل ترك الله ارض مصر وشعبها تأهين في ظلام الكفر والوثنية طول تلك السنين الطوال ؟!

ثم أضاف مجيبا على سؤاله : كلا يا سيف الدين إن الله أرسل رسلا ليكونوا حجه على البشر منهم من نعرفهم ومنهم من لا نعرفهم وكل شريعة تأتى من قبل الله نؤمن بها ولكن لن أنكر أن هناك شرائع مزجت بعادات وأعراف وطقوس وتقاليد أقوام ما انزل الله بها من سلطان حتى خرجت عن منهجها منهم من ادخل تلك العادات عن عمد ومنهم من ادخلها عن جهل ثم أردف قائلا : نحن ألان في طريقنا إلى جاسان ارض فرعون الجبار وموسى المختار الذي ذاع صيته في كل الديار

قاطعه سيف الدين : هل نحن فى أيام موسى وفرعون ؟

حابى : نعم الم يحدثك أحدا بخبرهم ممن قابلت ؟

سيف الدين : كلا ....!

حابى : عندما نصل إلى ارض جاسان سنحاول مقابله موسى

رد عليه سيف الدين وهو يشعر بالفرح:

- أتمنى ذلك يا حابى أتمنى ذلك ...

حابى: أتعلم قصه " إبرام " ذلك الرجل الصالح الذي قدم إلى مصر ليباركها كما كنت تجهل قصه " خنوخ " ؟

سيف الدين : إبرام هو إبراهيم أليس كذلك ؟

حابى : هي أسماء تنطق في كل بقاع الأرض وكل شعب وله لهجته فمنهم من يقول إبرام ومنهم من يقول إبراهيم وكلاهما واحد ثم انهي كلامه طالبا من سيف الدين الخلود للنوم حتى يريح عقله وظهره ولكن سيف الدين طلب منه أن يعد له مشروبا أخر ولكن هذه المرة مشروبا يقويه على السهر ويطرد النوم من عينيه فكيف ينام بعد ما سمعه من تلك القصص التي يسمعها لأول مره وكيف ينام ونبي الله وكليمه موسى موجود على مسيره أيام منه وكيف ينام دون أن يلقاه ...

***

الفصل الثامن

مطار القاهرة الدولي ٢٠١٨

عاد ادهم سيف الدين من الولايات المتحدة الأمريكية منتظرا في مطار القاهرة الدولي مع صديق والده المهندس جلال طائره مصر للطيران القادمة من ماليزيا والتي سوف تأتى بعد ساعتين من ألان والتي تقل أخوه عمر قادما من هناك لبحث أمر اختفاء والدهما حيث وصلت طائره ادهم في الساعة الواحدة ظهرا وطائره عمر ستصل في الثالثة ظهرا

ظلا منتظرين طائره عمر وهم يتبادلون إطراف الحديث وكان كل الحديث حول والده وأخذ يسأل المهندس جلال عن أخر مره التقيا ؟وفيما تحدثوا؟ وهل كان غريب الأطوار قبل أن يختفي ؟ وهل كان يأخذ أي أدويه مؤثره على الحالة النفسية او العقلية ؟ حتى مر الوقت سريعا عليهما حتى وصلت طائره عمر .

التقي الثلاثة المهندس جلال وادهم وعمر سيف الدين وبعد تبادل القبلات والتحيات اتجهوا نحو منزل المهندس جلال تناولا طعام الغذاء ثم نزلا مسرعين متجهين إلى منزلهما حيث وصلا في السادسة مساء مع بعض الأصدقاء القدامى لهما حيث دخل كل

منهم إلى المنزل في محاوله منهم لاقتفاء أي اثر يدلهم على اختفاء والدهم ولكن كان كل شيء في مكانه حتى أن رجال الطب الشرعي عندما جاؤا لم يجدوا أي بصمات غريبة حتى أن الباب لم يفتح عنوه بل فتح بمفتاحه الأصلي وأخر من رآه كان احد الجيران قعيد الحركة يجلس على كرسيه المتحرك في تلك الناحية من المنزل ليل نهار لا يغادر شرفة منزله إلا قليلا نظرا لظروفه الصحية حيث اخبرهم انه لم يشاهد والدهم منذ دخوله المنزل أخر مرة وأخبرهم أن أكثر ما لفت نظره هي تلك الغرفة حيث كان نورها يشتعل وينطفئ عده مرات قبل أن يعتريها الظلام حتى وقتنا هذا ...

بعد أن عاين الجميع المنزل قال المهندس جلال هيا بنا إلى منزلي لترتاحوا قليلا ولنكمل البحث غدا.

غادر الجميع المنزل تاركين كل شيء خلفهم صامتا إلا من مذياع صغير حيث قام عمر بتشغيله على أذاعه القرآن الكريم أخذا بنصيحة احد أصدقائه لكي تحل البركة وتطرد أي أرواح شريرة من المكان ... خرج الجميع ولم يكن خلفهم إلا صوت القرآن الكريم وغرفه البدروم التي أضأت نورها فجأة حينما خرجوا.

* * *

عم الظلام جسدي حابى وسيف الدين تاركين بعض النار بينهما لكي تطرد الحشرات والهوام ناسين أن هناك من يتعقب أثرهم حتى استيقظوا على صوت بعيد يصيح : هاهم ... أنهم هناك حول تلك النار ...

فزع حابى وسيف الدين وسرعان ماهم حابى بسكب الماء فوق النار حتى انطفأت ثم قام مسرعا بالتقاط سيفين كانا مخبئين داخل جعبته أعطى إحداهما لسيف الدين والأخر ظل معه ممسكا إياه بكلتا يديه قائلا في حزم وصرامة :

-لا تتوانى في قتل أي احد منهم يا سيف الدين ... لا تتوانى.

مر الوقت دون سماع أي أصوات غير نقيق الضفادع وعواء الذئاب والكلاب في الحقول المترامية الأطراف حولهم حتى قال حابى :

-لقد ضلوا طريقهم هيا بنا ألان نكمل مسيرنا.

حمل كل منهم جعبته سائرين مسرعين بين الحقول متخذين طريقا أخر غير الطريق المخطط له من قبل حتى وصلا إلى ضفة النيل ثم وضع حابى جعبته واخرج منها شعرا مستعارا ارتداه وحواجب مصنوعة وضعها فوق عينيه حتى تغير شكله تماما

خاصة عندما خلع ملابس الكاهن التي كان يرتديها مبدلا إياها بلباس أقرب للباس الفلاحين البسطاء

نظر إليه سيف الدين بإعجاب قائلا له :

-يا لك من فنان عظيم لقد غيرت ملامحك حتى أنى لو لم أراك وأنت تقوم بذلك لأنكرتك

ضحك حابى قبل أن يقول له :

- لقد أضحكتني رغم كل ما نعانيه ثم استطرد قائلا هيا بنا لنكمل مسيرنا ...

❊❊❊

سار كل منهما بجوار ضفة النهر دون أن يلتفت أي حد لهما فكأنما اعتاد أهل تلك البلاد ملاقاة أولئك الغرباء الذين يأتون مرارا و تكرارا إما للتجارة أو لنيل البركات من كهنه المعابد أو حتى لملاقاة الملك لإيصال شكاويهم إليه.

حابي : لا تمعن النظر فيمن تقابل حتى لا يشك احد بنا ثم أكملا مسيرهما دون أن يرتاحا مره أخرى واستمر كلاهما في السير حتى انحنى سيف الدين ممسكا بقدميه التي تورمت قائلا لحابى لن استطيع إكمال المسير مشيرا إلى قدميه ...

عنفه حابى قائلا له :

-ماذا بك يا سيف الدين؟

ثم اخرج من جعبته بعض العشب أمرا إياه بمضغه.

وقفا هنيهة حتى بدء مفعول العشب يسرى في دمائه ثم قال له :

-عذرا على ما اسببه لك من متاعب فأنا من الناس التي تستطيع أن تتحمل أي ضغط أو إرهاق نفسي أو حتى ذهني لكن الألم الجسدي لا استطيع تحمله فحياتي السابقة كنت لا احتاج فيها لبذل أي مجهود يذكر ثم أضاف : ولكن العشب الذي أعطيتني إياه بدء يسكن ألامي المبرحة ويعطيني نشوه داخل عقلي ...

قال حابى مبتسما قليل من الأعشاب المخدرة لا تضر ولكن حذاري أن تتعاطاها دون استشارتي ...

سيف الدين : لا تقلق يا حابى ...

ثم أردف قائلا:

-ورب السماء يا حابى انك لطبيب ماهر أفضل من أطباء كثر قابلتهم في حياتي.

ابتسم حابى له ثم قال:

- فلنذهب ألان ... هز سيف الدين رأسه بالموافقة ورجعا مره أخرى لإكمال رحلتيهما.

مرت الساعات حتي بدت لهما أطراف ارض جاسان بحدائقها وحقولها وترعها الكثيرة كانت تختلف بعض الشيء عن اتريب من حيث مبانيها الطينية العالية المخلوطة بالصخور والأحجار ومن حيث نوعيه قاطنيها حيث يغلب عليهم البشرة البيضاء والشعور الملونة ...

دلفا داخل الحقول الكثيرة الملتفة حول مدينه اواريس حتى اقتربا من أسوارها وكان المنظر جد رهيب حيث كانت أشبه بالحصن العسكري أكثر منها كمدينه حيث أسوارها الشاهقة العلو يعتليها الحراس وكأنهم متأهبون لمعركة قريبه...

قال سيف الدين متعجبا :

-ياله من حصن منيع

رد عليه حابى أمرا إياه بالسكوت أو التظاهر بالخرص حتى لا يلفت انتباه الجنود الحراسه المنتشرين حولهم في كل مكان.

قال سيف الدين هامسا :

-هل سنعبر تلك الأسوار من بوابتها الرئيسية؟

حابى : لا تقلق ... أن أمن طريق هو بوابه المدينة الرئيسية فهم لا يفتشون إلا على البضائع التي من الممكن أن يخبئ بداخلها الأسلحة ولا يعبئون إلا بالجيوش أو الحركات المسلحة وليس بالأفراد العزل مثلنا قالها وهو يضحك مقتربا من البوابة الرئيسية.

مشى حابى يتبعه سيف الدين في طرقها الضيقة ودهاليزها الملتوية كالأفاعي وكأنه ابن تلك الشوارع ولاحظ حابى أن المدينة اليوم تختلف عما سبق حيث كانت الحشود تملئ الشوارع ذهابا وإيابا فانتفض قلبه قائلا في نفسه:

-ياله من أمر جلل فهذه الحشود لا تنبئ بخير ؟

دخل احد الدكاكين متظاهرا بالبحث عن شيء يشتريه وقبل أن ينطق بكلمه قال له التاجر:

-أنها هناك فقال له حابى مستغربا أي شيء هناك؟

قال التاجر:أنها باقات الزهور .

ثم أضاف قائلا بصوت لا يخلو من السخرية :

-وهل احد يبتاع اليوم أحد شيئا إلا الزهور...!

رد عليه حابى: ولماذا ؟

التاجر : يبدو عليكم أنكم غرباء ثم أضاف : اليوم سينطلق الموكب الملكي لفرعون حيث سيحضر زواج احد أقربائه والناس تأتى لتشترى الزهور احتفالا وابتهاجا خاصة أن فرعون أمر بتجهيز وليمه كبيره للشعب بحيث لا يغادر احد من الشعب إلا وهو ممتلئ البطن شكره حابى بعد أن اشترى منه الزهور ثم ذهبا مسرعا يتبعه سيف الدين حتى وصلا إلى المعبد الكبير المليء بالحشود الآتية من كل حدب وصوب.

كان المعبد مكونا من منطقتين منطقه خارجية دون أسقف ذو عمدان تيجانيه شاهقة من الرخام مخصصه لعوام الشعب و الطبقات الدنيا الذين أتوا منتظرين عطايا فرعون وهداياه ومنطقه المعبد الداخلية العالية بسلالمها الرخامية المرتفعة المغطى سقفها والتي كانت مخصصة لحاشية فرعون وأهله وعشيرته و كبار جنوده وللكهنة وخواص الناس.

مسك حابى يد سيف الدين شاقين طريقهما وسط الناس حتى أصبحا على مقربه من منتصف البهو الخارجي وماهي إلا لحظات حتى انطلق صوت بوق عالي كاد ان يصم الأذان فأنشق الجميع

خارج المعبد وداخله إلى نصفين بفعل الجنود الذين حركوهم يمينا ويسارا ومعه انفصل حابى عن سيف الدين .

اصطف الجنود صفين تاركين طريقا في منتصف البهو حيث أصبح سيف الدين في يمين الطريق وحابى في يساره حتى غابا عن أنظار بعضهما البعض ولأول مره منذ رحلته يشعر سيف الدين بأنه طفلا صغيرا فقد أباه في غفلة من الزمن وما هي إلا لحظات حتى سمعا نفخ البوق مره أخرى وكأنها ساعة المحشر لدرجه أن أرجل سيف الدين لم تصل إلى الأرض حيث أن جسمه كان محمولا من باقي الأجسام التي حوله فتماسك جيدا حتى لا يقع على الأرض فيموت تحت أقدامهم ومع أخر صوت صادر من البوق سجد كل من في المعبد وخارجه وبطريقه لا إرادية فعل مثلهم وساد الصمت المكان حتى خيل له أن العصافير والحمام التي تملئ المكان قد توقفت هي الأخرى عن الزقزقة والتغريد خوفا من القادم المجهول .

مرت لحظات من الصمت المطبق علي المكان حتى بداء يسمع صوت أقدام خيول أتيه ممتزجة بأصوات عجلات خشبية تدك الأرض دكا ومع اقتراب الصوت أكثر وأكثر اختلس النظر حيث

رأى خيولا كثيرة يمتطيها فرسان مع كل فارس رمح فضي اللون معلق بطرفه العلوي أعلام متعددة الألوان يسير خلفهم عجله حربيه عظيمه المنظر ذهبيه اللون يقودها زوجين من الخيول اقرب إلى الفيلة في أجسادها وإلى الفهود في سرعتها يعتليها شخص عظيم الهيبة والهيئة ثم سرعان ما أنزل سيف الدين رأسه نحو الارض مغمضا عينيه متمنيا أن لا يكون أحدا من الحراس قد شاهده.

مر فرعون وجنوده وما تبقى منهم إلا غبار خيولهم وبعد لحظات نقر في البوق مره أخري ولكن هذه المرة كانت بنغمه أخرى كان الناس ينتظرونها حيث دبت الحياة فيهم صائحين مهللين داعين لفرعون وجنوده كان الجمع كله فرحا فقد عادوا للعب والمرح منتظرين الطعام وعطايا فرعون إلا حابى وسيف الدين افترقا للحظات وكأنه دهرا مرا على كلاهما وفي غمره الزحام لمح سيف الدين حابى فأشار إليه بكلتا يديه وهو ينادي عليه بصوت عالي حتى لمحه حابى فذهب كل منهما الي الاخر حتى وصلا إلى بعضهما فسحبه حابي بقوه وعنف وعانقا بعضهما البعض

بعد أن ظنا انه لا تلاقيا ثم أنحني سيف الدين مقبلا يد حابى وهكذا فعل حابى ثم اخذ حابى يد سيف الدين قائلا له :

-هل تريد أن تتناول وليمه فرعون ؟

سيف الدين: لا أريد شيئا ... أريد فقط أريد أن اذهب من هنا

قاطعه حابى هامسا في اذنه :

-إن غادرنا ألان سوف نلفت أنظار الجنود فكيف لاثنان يبدوا عليهما الفقر يتركا تلك الوليمة العامرة والعطايا الفاخرة ؟ سوف نثير الظنون والشكوك حولنا.

ثم أضاف قائلا :

-هيا نجلس يا سيف الدين مثل باقي الشعب حتى نأكل مثلهم ونخرج معهم قطع كلامه حيث نفخ في البوق مره أخرى معطيا أمرا للجنود والخدم بحمل صواني الطعام من البهو الداخلي إلى عامه الشعب الفقير في البهو الخارجي الذي جعلهم فرعون كالأموات الذين يبحثون عن ترياق الحياة الغائب عنهم منذ سنوات.

انتهى الجمع من الطعام ثم بدأت الحشود في الخروج وسط تنظيم صارم يصل إلى الضرب أحيانا من قبل جنود فرعون حتى انتظمت الحشود خارجه كما يجب أن يكون.

خرج سيف الدين ممسكا يد حابى خوفا من تكرار فراقهما مره أخرى حتى بعدا تماما عن حرم المعبد تاركينه خلفهم قاصدين وجهه أخرى كانت على نقيض الاتجاه الذين جاءوا منه حيث سارا غير عابئين بتعب أو إرهاق ...

***

يا لها من رحله كتبت عليه تارة يسترجع ذكرياته التي عاشها في المستقبل وتارة أخري يخرج من خضم ذكرياته ليعيش واقع جديد في الماضي وبين هذا وتلك تمضى الأيام و قد بدء يعتاد شيئا فشيئا حتى عندما سار خارجا خلف حابى لم يعد يستغرب منظر الناس أو أزيائهم وحتى العادات الغريبة التي تمر عليه لأول مره فقد ألفها هي الأخرى كان كل ما يتمناه أن يعود إلى منزله وأصدقائه وولديه كان يفكر فيهما تحديدا وأخذ يسأل نفسه :

-هل انتبهوا إلى فراقي عن عالمهم أم كل منهم مازال مشغول بما لديه ؟ وهل جاء إلى الدنيا حفيده سيف الدين ادهم الذي

قررت والدته أن يولد في الولايات المتحدة الأمريكية حتى يتسنى له اخذ جنسيتها بسهوله ؟ لابد أنهما قاد عادا للبحث عنه هو يريد فقط أن يطمأنهم حتى ولو للحظه واحده... لحظه واحده يقبلهم ويطمئنهم عليه ولكن كيف؟

بماذا تفكر يا سيف الدين ؟ قالها حابى حيث أراد ان يخرج سيف الدين من تفكيره الشارد.

رد عليه سيف الدين في نبره حزن :

-وهل هناك شيئا أخر أفكر فيه سوى عالمي الأخر ؟

حابى : حاول أن تهدئ من روعك يا صديقي نحن ألان في طريقنا إلى المعلم العظيم أتوم ولعل عنده إجابات شافيه لأسئلتك وأسئلتي ...

رد عليه سيف الدين في أستغراب قائلا :

- أسألتك ؟ عن أي اسأله تريد أن يجيبك عليها المعلم أتوم ؟

حابى: ما نحن فيه الان يا سيف الدين ... ماذا سنفعل ؟ هل سنظل مطاردين من قبل هؤلاء الرعاع الهمج ؟ وما أخبار أمرائنا في طيبه هل اعدوا العدة والعتاد أم أن الوقت سيطول ؟

سيف الدين: لقد شوقتني لرؤياه ثم أردف سائلا هل هو على مقربه من هنا ؟

قال حابى وهو يشير إلي الاتجاه الشرقى من المدينة : انه قريبا من هنا في ضواحي المدينة ...

تابعا سيرهما قاصدين منزل اتوم فهو من سيخبرهم عن كل جديد لا يعرفونه و قديم يريدون أن يسألونه عنه ...

***

لم يمضى من الوقت الكثير حتى غابت خلف ظهورهم المدينة العتيقة بأسوارها الشاهقة حيث اختفت خلف غابه من أشجار النخيل الكثيفة سارا طويلا حتي بدا عليهما التعب والارهاق حتي لاح لهما من على بعد بعض البيوت المتباعدة عن بعض المفصولة بحقول القمح ذات اللون الذهبي اللامع تحت أشعه الشمس والجداول المائية المليئة بالأسماك التي تتلاقى مع بعضها البعض لتكون بحيرات حول أرجائها خضار كثيف مليء بالطيور من كل الأنواع حتى أن سيف الدين أندهش من فرط جمال المنظر قبل أن يقول بصوت عالي :

-ماأبدع صنع الخالق.

قالها بعد أن توقف ناظرا حوله ابتسم عندها حابى قائلا :

- هل تعلم أن تلك الأرض هي أرض جاسان التي باركها يعقوب وأولاده وقومه قادمين من البداوة من أرض كنعان إلى يوسف وحياه التمدن والزراعة ؟

ابتسم سيف الدين ثم قال :

- وكأنها جنه الله في الأرض لا يدخلها إلا عباده الصالحين .

قاطعه حابى قائلا :

-وأيضا الطالحين فالأغلب هنا من العامو.

ثم قال مشيرا بأصبعه نحو احد المنازل البعيدة :

-انه منزل سيدي... هيا بنا.

سارا سريعا حتى وصلا إلى المنزل المقصود المزين بابه ببعض الرسومات النباتية من ورق البردي وزهور اللوتس المتصاعد من داخله روائح البخور المقدس الذي استنشقه من قبل داخل منزل حابي ولكن كان هذه المرة أجمل واشد عبقا.

قام حابى بطرق الباب عده طرقات حتى فتح لهما الخادم الباب مشيرا إليهم بالدخول دون أن يتحدث معهما حتى دلف ثلاثتهم إلى الداخل وقام علي أثرها الخادم بغلق الباب مره أخري ثم رحب

بحابي ورفيقه معتذرا بان أوامر سيد المنزل انه لا كلام مع احد خارج المنزل خاصة مع الغرباء ثم طلب منهم أن يجلسوا في الغرفة المخصصة للضيوف ثم ذهب مستأذنا ليحضر لهما بعض الطعام لكن حابى قال له :

-لا تجهد نفسك فقد تناولنا طعامنا.

ثم سأله مستغربا :

- أين سيدي اتوم ؟

الخادم : انه بالأعلى ... لحظات وسينزل فكما تعرف انه عندما يختلي بنفسه لا يحب أن يخرجه احد من خلوته ثم أردف قائلا : تناولوا بعض الفاكهة مشيرا بيده إلى طبق كبير مليء بكل ما لذ وطاب من الفاكهة قبل أن يضيف :

-سأذهب قليلا لأجهز لكما الحمام مع بعض الملابس الجديدة قالها وغادر الغرفة مسرعا.

❊❊❊

جلس حابى و سيف الدين منتظرين السيد اتوم الذي لم يتأخر كثيرا حيث دخل عليهم مبتسما بجلال وجمال كان اتوم ذو قامة ممشوقة مفتول العضلات قمحي اللون يشع منه ضياء وبهاء أول ما

رآه حابى سجد أمامه مقبلا قدميه لكن سرعان ما انحنى اتوم ماسكا كتفي حابى معانقا إياه وحينها ابتسم سيف الدين ناظرا إلى اتوم نظره احترام وإجلال وبعدها صافح اتوم سيف الدين مرحبا به ثم أشار إليهم بالجلوس ...

جلس الثلاثة حول طاوله الغرفة المليئة بالفاكهة والشراب ثم سأله حابى قائلا :

-سيدي لماذا يبدوا عليك القلق هذه المرة ؟

أجابه اتوم مبتسما :

-ما يقلقني هو ما يقلقك يا حابى ؟

حابى : ومن أين علمت أن هناك ما يقلقني يا سيدي ؟

اتوم : يبدو عليك تعب الطريق خلاف كل مرة تأتينى فيها ففي كل مره تأتى إلى هنا ... الكاهن حابى صاحب المقام والهيبة التي تذل كل الصعاب في طريقه أما اليوم فيبدو عليك تعب الهروب حتى انه رغم براعتك في التنكر إلا انه لم يصمد طويلا ...

حابى : لهذا جئت إليك يا سيدي

اتوم : حللت أهلا ونزلت سهلا يا حابى أنت ورفيق سفرك قالها وهو ينظر إلى سيف الدين

حابى: سامحني يا سيدي فقد نسيت أن أخبرك عن أمر صديقي سيف الدين ...

أبتسم اتوم ملىء شدقيه قبل أن يقول : صديقك هو صديقي وضيفك هو ضيفي ولكن قم ألان أنت وصديقك غيرا ملابسكما وخذا قسطا من الراحة فلا كلام قبل الراحة والطعام ثم نادي على خادمه الذي جاء في التو واللحظة ملبيا نداء سيده

اتوم: هل تناولا الضيوف طعامهم ؟

الخادم: لا... لقد أخبراني أنهم قد تناولا طعامهم

قال حابى وهو يشير إلى بطنه الممتلئة:

-بالفعل ... لا مكان داخل بطوننا لتناول أي شيء ...

استدار اتوم الي الخادم قبل أن يقول في حزم :

-خذ حابى وسيف الدين لكي يرتاحا من وعثاء الطريق ...

بعد أن اطمأن اتوم لنوم ضيفيه جلس في خلوته بين صلاه ودعاء يناجى ربه بترانيم مقدسه أضاف صوته العذب لها بعدا روحانيا حتى أن طيور المنزل وحيواناته الأليفة بدا عليهم الإنصات حتى أوراق الشجر قد سكنت حركتها معارضه قوه

الرياح وكأنهم جميعا قد التزموا الصمت لسمع ترانيمه وصلواته ودعائه الشجي ...

مرت الليلة عليهم اثنان نائمان وثالثهما يقظا متعبدا حتى أوشك الليل أن ينجلي ويبدأ يوما جديدا فوق ارض جاسان الخضراء

استيقظ سيف الدين تبعه حابى بعد ان شبعا من نومهما حتي أنهما قد استيقظا بعد أن أنتصف النهار ... بدلا ملابس نومهما بملابس جديدة احضرهما الخادم ليله أمس خرجا من غرفتيهما متبادلين أطراف الحديث عن تلك الليلة الدافئة المليئة بالأحلام الوردية ثم اتجها إلى وسط المنزل حيث كان يجلس اتوم وهو يقرأ ورقه من البردي ممسكا إياها بيده اليسري وبيده الأخرى يمسك كوب ساخن تتصاعد أبخرته نحو الأعلى حتى لاحظ مجيئهما فانتصب قائما مرحبا بهما وسألهما عن نومهما وليلتهما ثم نادي خادمه ليجهز لهما طعام الإفطار واخذ حابى يقص عليه قصه سيف الدين منذ لحظه اقتياده من قبل العامو من الصحراء حتى تلك اللحظة وما زاد من استغرابه أيضا ما قصه عليه حابى حول تلك الرؤيا التي كان يراها بصوره شبه يوميه حتى عرف اتوم عن سيف الدين

كل شيء ثم تطرقا بعدها إلى مناقشه أمور البلاد وأحوال العباد حتى سأله حابى بصوت منخفض حتى لا يسمعه الخادم :

-ماذا ترى في أمر هذا الجبار ... فرعون مصر يا سيدي ؟

أمتعض وجه اتوم قبل أن يقول :

-أنا على اتصال بأمراء طيبه وثوار جاسان واتريب وسخا وبوباستيس باذلين الغالي والنفيس كي نطردهم عن أرضنا ولكنها مسألة وقت لا أكثر ...

سأله حابى في حماس قائلا :

-هل وضعتم خطه لذلك أو وقت محدد ؟

اتوم : الخطة تبدأ من هناك مشيرا بيده الي الجنوب.

قبل أن يضيف في ثقة :

-هناك حيث مصر العليا وعاصمتها طيبه والمدة مرتبطة بانتهاء تجهيزاتهم خاصة تلك العجلات الحربية اللعينة والخيول والفرسان ثم أضاف كما تعلم يا حابى فهم لم ينتصروا علينا بجيوش تقليديه بل بالأسلحة الحديثة فكل من هنا يعرف تلك الحقيقة ويعملون بسرعة على صناعه تلك العجلات اللعينة التي كانت سبب نصرهم وتدريب الخيالة إلى جانب باقي فرق الجيش من مراكب

حربيه ومشاة ورماه وتطوير أسلحتهم من سيوف ورماح وبلاطي هذا من الناحية العسكرية ومن الناحية السياسية فأمرائنا في الجنوب يعملون ليل نهار على توحيد الشعب بكل طوائفه وألوانه وأطيافه خلفهم بدلا من التناحر والتنافر الذي أوصلنا إلى تلك المرحلة من الخنوع والتخلف والجهل والاضمحلال.

ثم أضاف في نبره صوت لا تخلو من الصرامة والحزم :

- لن تنتصر أي بلد تفرقت أجزاؤه إلى ممالك وأقاليم صغيره متناحرة لا يجتمعون علي كلمة سواء وكل أقليم منهم منغلق على نفسه وسكت هنيهة قبل أن يضيف وحتى أن فشل جيلنا في أن يحتفل بطرد العامو فيكفينا شرفا أن نضع الخطة للأجيال القادمة بدلا من أن يبدءوا من نقطه الصفر فكل منا يبذل الغالي والنفيس من اجل بلاده ثم أستمر في الحديث وحابى وسيف الدين منصتين إلى ما يقوله ... أسترسل في كلامه كثيرا قبل أن يضيف قائلا في تخوف وشك :

-لقد ابلغني احد رسل فرعون أول أول أمس بأن فرعون يجمع كل كهنه وسحره مصر السفلى ليأخذ رأيهم في أمر جلل فذهبنا بالأمس إليه.

حابى : في شأن من يا سيدي ؟

اتوم : موسى النبي العبراني ...

وهنا دخل سيف الدين معهما في الحوار سألا اتوم:

- وهل يا سيدي أنت مؤمن بموسى النبي وبرسالته ؟

قال اتوم مبتسما :

-أنا لم أقابله بل اسمع عنه ولكن قلبي ينشرح عند ذكر اسمه ثم أنها سنه الإله في خلقه أن يرسل رسولا عندما ينحرف الخلق عن شرع الخالق وعندما يبتدعون في دين الإله أشياء لم ينزل بها من سلطان.

تقوست حاجبي حابى وهو يسأل :

-لماذا يريد اخذ رأيكم في شأن موسى النبى العبراني هل هو بعاجز عن اتخاذ قراره بمفرده ؟

ضحك اتوم بصوت عالي قبل أن يقول :

-بالطبع لا ... أنها عقيدة كل جبار عنيد يريد أن لا يحمل ذنب احد بمفرده وليشيع دمه بين الناس خاصة عندما يكون ذلك الفرد ذو شان ومكانه عند الله وعند الناس.

سيف الدين : ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين.

أوميء اتوم برأسه موافقا قبل أن يعقب :

-صدقت يا سيف الدين

حابى : وماذا اتخذ فرعون من قرارات ؟

اتوم : بعد ان انتهى من لقائنا قال ذروني اقتل موسى وليدع ربه .

ثم أضاف معللا لأهله وعشيرته انه يخاف عليهم من أن يبدل موسى دينهم أو أن يظهر في الأرض الفساد.

قال حابى ساخرا :

-وهل يخاف على الدين الوثني من دين التوحيد أم انه يستأذن أتباع موسى في قتله حتى لا يثوروا ؟

اتوم : انه فقط يتظاهر بذلك استخفافا بعقول قومه ... فهو في الحقيقة يخاف على ذهاب ملكه وسلطانه لأنه لو خاف حقا على قومه لأمرهم بأتباع موسى وربه ...

سيف الدين : وماذا فعل موسى بعد ذلك ؟

اتوم: عندما سمع موسى بذلك استعاذ بالله من كل متكبر لا يؤمن بالله ولا يؤمن بيوم الحساب

حابى : و هل اتفق القوم على قتله ؟

اتوم : الخوف ساد عليهم وكأنهم لا يريدون قتل موسى وفي نفس الوقت لا يريدون عصيان أوامر فرعون

حابى : وهل هناك من امن بموسى من قوم فرعون ؟

اتوم : نعم فتلك أمراه فرعون حبيبته واقرب الناس إلى قلبه "أسيا بنت مزاحم بن عبيد بن الريان بن الوليد" الذي كان ملك مصر في عهد "يوسف" أمنت بموسى منذ أول يوم ومؤمن أل فرعون" حزقيل بن صبورا " الشهير " بسمعان " الذي نهى قومه عن قتله قائلا :

- لهم أتقتلون رجلا يقول ربى الله و" ماشطة ابنه فرعون " و قصتها معروفه للجميع

حابى مقاطعا اتوم قائلا له:

- اعذرنى ربما لم تمر على مسامعي تلك القصة فهل تقصها على؟

اتوم : بالطبع يا حابى يقال أن هناك خادمه كانت تعيش في كنف فرعون لكي تنفق على أولادها الخمسة بينما كانت تمشط شعر بنته إذ وقع المشط من يديها فصاحت الماشطة بسم الله فقالت ابنه فرعون الله....أبى ؟ فقالت الماشطة كلا بل الله ربى وربك

ورب أبيك فتعجبت البنت أن يعبد غير أبيها ثم أخبرت أباها بما حدث فتعجب من أن يوجد داخل قصره من يعبد غيره فأمرها بالرجوع عن دينها وحبسها وضربها فلم ترجع عن دينها فأمر فرعون بقدر من نحاس فملئت بالزيت ثم أحمى عليه وأوقفها أمام القدر النحاسي أمرا إياها بان تؤمن به كرب لها ولكنها تيقنت من أنها هي نفس واحد يخرج تلقى الله تعالى به فعلم أن أحب الناس إلى قلبها أولادها الخمسة الأيتام الذين تكدح عليهم ليل نهار كي تطعمهم وتربيهم فاحضر فرعون الأطفال الخمسة فلما رأوا أمهم تعلقوا بها يبكون فانكبت عليهم تقبلهم وتشمهم وتبكى وأخذت أصغرهم وضمته إلى صدرها وأرضعته فلما رأى فرعون هذا المنظر أمر بأكبرهم فجره الجنود ودفعوه إلى الزيت المغلي وهم يصفعونه ويضربونه وأمه تنظر إليه باكيه تودعه فما هي إلا لحظات حتى القي الصغير في الزيت المغلي والأم تبكى وتنظر وأخوته يغطون أعينهم بأيديهم الصغيرة حتى ذاب لحمه من على جسده النحيل وطفحت عظامه البيضاء فوق سطح الزيت فنظر إليها فرعون وأمرها بالكفر بالله فأبت عليه ذلك فغضب فرعون وأمر بولدها الثاني فسحب من عند أمه وهو يبكى ويستغيث حتى ألقى في الزيت

واختلط لحمه بلحم أخيه والأم ثابتة على أمرها ثم أمر فرعون بالولد الثالث والرابع وفعل معهما ما فعله بالأول والثاني وأمهما ثابتة على إيمانها رافضه الكفر بالله حتى جاء الجنود لينتزعوا منها الطفل الخامس الرضيع من على صدرها فلما رأى الله ذلها وانكسارها وفجيعتها بولدها انطق الله الصبي في مهده قائلا لها :

-" يا أماه اصبري فأنك على الحق "

ثم انقطع صوته وذاب جسده هو الاخر في القدر مع أخوته ثم أضاف بصوت لا يخلو من الحزن ألقى في الزيت وفى فمه بقايا من حليبها وفى يده شعره من شعرها وعلى أثوابه بقيه من دمعها وذهب الأولاد الخمسة وها هي عظامهم يلوح بها القدر ولحمهم يفور من الغليان تركوها وحيده فلما حملها الجنود ليقذفوا بها في القدر فالتفتت إلى فرعون قائله له في ثبات :

-لي إليك حاجه ...

فقال لها فرعون : ما حاجتك ؟

قالت في صوت يملؤه الرجاء :

-أريدك أن تأمر بجمع عظامي وعظام أولادي فتدفنها في قبر واحد ثم أغمضت عينيها وألقيت في القدر واحترق جسدها الطاهر وطفت عظامها مع عظام أولادها الخمسة.

امتعض وجه حابى ثم قال في استنكار :

-أن الحيوانات أفضل من هذا المعتوه المتغطرس.

سيف الدين : يا لها من قصه يشيب لها الولدان ولكن اسمح لي يا سيدي أن اطرح عليك سؤال ...

اتوم : تفضل يا سيف الدين اسأل ما تشاء ...

-سيدي اتوم إن كل الأسماء التي قلتها هي ليست أسماء مصريه أليس كذلك ؟

رد عليه اتوم مستغربا :

- ومن قال أنها مصريه ؟

ثم أردف قائلا:

- إنما هي أسماء غريبة علي اسماعنا كمثل أصحابها فلم يتسمى احد منا بها من قبل.

ثم أضاف قائلا :

-هي أسماء أسيويه منتشرة بين الكنعانيين وأيضا بين من يجاورهم من أقوام أكاديه وأراميه وعبريه وأيضا بين عرب الجزيرة وعرب الشام.

كنعانية رددها سيف الدين في ذهول !!

اتوم : نعم لغة كنعان وبلستين واليوبسيين الذين عاشوا بجوارنا منذ فجر التاريخ في شرق ارض سيناء والذين انصهروا مع بعضهم البعض حتي اصبحوا شعبا واحدا لغتهم واحده وأرضهم واحده ثم سأله مستغربا أسمعت بكل تلك اللغات و استغربت الكنعانية ؟

سيف الدين : لا يا سيدي ولكن في الزمن الذي عشت به مسبقا هناك حرب تدور ليل نهار بين الكنعانيين والعبرانيين عن من منهم هو الأحق بالأرض ؟ ومن منهم الأقدم في المنطقة ؟ فلهذا استغربت عندما ذكرت لغتهم لان العبرانيين اختزلوا كل حضارات المنطقة فيهم هم وحدهم محاولين مسح تاريخ تلك الأقوام وممالكهم من خريطة الزمن خاصه الكنعانيون ...

اتوم : الكنعانيون هم الأقدم بالطبع فحتي قبل أن يولد يعقوب النبي والذي بدل الله اسمه فيما بعد إلي إسرائيل حين انزل عليه

النبوة مر جده أبرام والد أبوه اسحق بتلك الاراضى وقابل ملكها حينذاك ملكى صادق ذلك الملك المؤمن التقي الذي بارك ابرام ودعى له حين استقبله هناك ... ملكى صادق ذلك الملك ذو الاسم الكنعاني الذي يدل علي أنهم هم اصل المنطقه فكان هناك في تلك الأرض فبل أن يولد اسرائيل نفسه وقبل ان تظهر كلمه اسرائيل الي الوجود ...

ثم اضاف حتى اللغه الكنعانية التي استغربتها هي أصل الكتابة العبرانية وإن أخبروك بغير ذلك فأعلم أنهم لا يقولون الحقيقة ويقولون فقط ما ينفعهم ويعلوا من شانهم فقط ...

ثم أردف قائلا:

- لقد سرقنا الوقت حتى أن النهار قد أوشك على الذهاب.

ثم أردف قائلا :

-حان ألان موعد خلوتي ثم نظر إلى حابى قائلا له:

- هل ستأتي معي يا حابى أم ستخلد إلى النوم ...؟

أجابه حابى قائلا في ثقة :

-سآتي معك إلى غرفه الصلاة ووجه نظره إلى سيف الدين الذي كان شاردا في تفكيرا قائلا له:

-يبدو عليك الارهاق يا سيف الدين ...

رد عليه سيف قائلا وهو يتثأب :

-نعم اني مرهق بعض الشىء سوف أخلد قليلا للنوم ...

قالها وهو يقوم من مجلسه متجها إلى غرفه نومه شريد الفكر والوجدان وبعد أن دلف إلى الغرفة أغلق بابها وفتح شباكها الزجاجي الملون المطل على الحقول الخلفية للمنزل وأطفئ الشمعة الموقدة داخل الغرفة وعم الصمت المكان إلا من نقيق الضفادع وأصوات صراصير الحقل وهو ينظر إلى السماء التي ارتسمت عليها صوره زوجته الراحلة تذكر حينها عندما كان في بداية زواجهما عندما قضيا شهر العسل في إحدى فنادق الفيوم حيث كان دائما يحب أن يترك شباك الغرفة مفتوحا وهى تنهره قائله له :

-لن نستطيع النوم من ذلك الشباك الذي يجلب علينا الناموس وهوام الحقول وكان يقول لها سوف نفتح الناموسية على السرير لمنعه

وتقول غاضبه له :

- الناموسية ستحمينا من الناموس فمن يحمى أذاننا من نقيق الضفادع وأصوات الصراصير وكان ينهى كل مره ذلك الجدل

وهو يغلق الشباك وفعل مثلما تكون معه فقام بغلق شباك الغرفة وهو يبتسم مترحما عليها أو بالأحري محاولا استرجاع ذكرياته الجميلة معها ثم استلقى على السرير محاولا النوم مقلبا جسده يمينا ويسارا دون فائدة ساعات من الوقت مرت عليه دون أن يغمض له جفن فقام من على فراشه خارجا من غرفته متجها إلى غرفه الصلاة طرق بابها حين وصل إليها عده مرات دون أن يجبه احد فخفق قلبه سائلا نفسه :

-أين ذهبا ؟

ثم سمع صوت مبارزه بالسيوف فخرج نحوها مسرعا متتبعا صوت صليل السيوف حتى وصل إلى أخر المنزل في غرفه مكشوفة السقف حيث وجد اتوم وحابى يتبارزان بالسيوف دون هوادة حيث شعر حين رأهما بان واحد منهم سوف يقتل الأخر فصرخ طالبا التوقف فنظرا إليه كلاهما في استغراب.

وقال اتوم مستغربا :

-ما بك يا سيف الدين ؟ ولكن سيف لم يجبه حيث كان قد فقد وعيه في تلك اللحظة ...

استيقظ الخادم وجاء مسرعا وقام الثلاثة بحمل سيف الدين متجهين به إلى غرفته حيث جلس اتوم على يساره يصلى ويتلو ما يحفظ من ادعيه وترانيم وحابى على يمينه يمسك بقماشه بيضاء بجواره طبق ملىء بالماء حيث كان يضع القماشة في المياه الباردة ثم ينشفها قبل أن يعاود وضعها مره أخرى فوق جبين سيف الدين محاولا تقليل درجه حرارة جسده الأخذة في الازدياد سريعا والخادم يقف خلفهما على أهبه الاستعداد.

مرت ساعات طويلة وسيف الدين لم يفق من غيبوبته حتي أنه كان يتمتم ببعض الاسماء والكلمات الغير مفهومه حتى دق باب منزل اتوم فأسرع الخادم نحو الباب لكن دون أن يفتحه مكتفيا بالحديث مع الطارق من خلال شراعه صغيره في أعلى الباب ثم رجع إلى اتوم هامسا في أذنه مخبره بشيء ما وهنا نهض اتوم نحو الباب ورجع بعض لحظات مخبرا حابى بان فرعون قد علم بأمره وبأتصالاته بثوار المدن وأمراء طيبه وانه سوف يقوم في الليل بحمله تطهير لكل من اخبر بأمره وان عليهم تدبير أمر خروجهم في أسرع وقت ...

***

كان سيف الدين في هذه اللحظة قد بدء يفيق من غيبوبته وبتثاقل حاول ان يفتح عينيه وهو يحاول القيام من فراشه حتي شعر حينها انه اصبح افضل قليلا ... قدم الخادم لسيف الدين مشروب ساخن أعده سيده اتوم مخصوصا له ...

بدء سيف الدين يرتشف المشروب ومع كل رشفه كان يشعر بالقوة تسرى في جسده حتى فاق تماما وقال:

- ماذا حدث ولماذا يبدو عليكم الحزن والجزع هكذا ؟

أجابه اتوم وهو يربت على كتفيه قائلا :

-لقد فقدت الوعي عندما رأيتنا نتدرب على المبارزة والقتال.

وهنا تذكر سيف الدين حيث قال وهو يمسك جبينه بيده مغمضا عيناه :

-نعم نعم لقد تذكرت ... لقد هالني ما رأيت قاطعه اتوم قائلا وماذا رأيت يا سيف الدين ؟

سيف الدين : لم أتحمل منظركما وأنتما تتقاتلان وانتم من لي في هذه الدنيا فكيف أتحمل فراق أحدكما ...

ضحك اتوم وحابى في صوت عالي ثم قال له حابى يا سيف الدين كيف أتقاتل مع معلمي الأول وآخى الأكبر ثم أردف قائلا :

-نحن كنا نتدرب على بعض التمارين الدفاعية.

ثم تنهد بعمق قبل ان يقول :

-نحن لا نعلم ماذا ينتظرنا في الأيام التالية ويجب أن نكون مستعدين لكل ما هو طارئ .

وهنا تدخل اتوم قائلا لسيف الدين في نبره تشجيع :

-يجب أن تكون أنت الأخر على أهبه الاستعداد وقص عليه أمره الذي افتضح عند فرعون لكي يكون هو الأخر محتاط غير متفاجيء لكل ماهو قادم وطلب منهما التفكير في الخطوة القادمة وأولها الهروب من المدينة.

دبت القوه في سيف الدين وكأنه لم يمرض جسده قط حيث كان أكثر حماسا من اتوم وحابى بل ومن خادمهما أيضا في تحضير حاجات السفر فقد تعلمها مسبقا من حابى عندما ارتحلا من اتريب إلى جاسان حتى أنه في خلال دقائق قليله كان كل منهم قد جهز نفسه بعدته وعتاده خارجين من المنزل بعد أن استقرا على الذهاب إلى بوباستيس القريبة منهم ذات الكثافة السكانية العالية بوباستيس ملتقى التجار وملتقي المرتحلين شرقا وغربا حيث يسهل لهم التخفي فيها...

خرجا من الجهة الخلفية للمنزل مخترقين حقول القمح يتقدمهم الخادم يليه اتوم ثم حابى وأخيرا سيف الدين حيث تحركا كسيف انطلق داخل الحقل يتحركون بسرعة دونما صوت إلا صوت الآلة الحادة التي يحملها الخادم تلك الاله الشبيهه بالسيف ولكن تختلف عنه في انها ليست ملساء بل ذو رؤس مدببه كان الخادم يتقدمهم يلوح بها يمينا ويسارا محركا القمح بعيدا عنهما وكأنه يمهد لهم المسير راسما لهما طريق ضيق وسط الحقول المترامية الأطراف دون كلل أو ملل غير عابئين بشيء سوي الهروب ...

كان يقفون كل فتره حيث يقوم اتوم بتشبيك أصابع يديه مع بعضهما ناظرا من خلالهما للكواكب والنجوم ليحدد لهما الاتجاه الصحيح .

كان الجو ساكنا إلا من بعض النسمات الربيعية اللطيفة ولكن بعد فتره سرعان ما شعرا الجميع بحرارة غير طبيعيه في هذا الوقت حتى إنهما بدأوا يتصببون عرقا وهنا قال سيف الدين لافتا أنظارهما إلى الخلف قائلا لهما :

-انظرا هنا مشيرا بيديه إلى الطريق الذين جاؤا منه وكانت المفاجئة حيث وجدوا نيرانا كثيفة تكاد ألسنتها تصل إلى عنان السماء.

فقال لهم اتوم في نبره تحدى :

- لقد بداء فرعون الاحتفال.

ثم أردف قائلا :

-فلنكمل طريقنا ...

❊ ❊ ❊

بدأ الركب مرة أخرى في السير متجها إلى بوباستيس لكن تلك المرة كانوا اشد سرعه ونشاطا حيث كانت ألسنه اللهب المشتعلة خلفهم كضربات سياط تكوي ظهورهم وتجبرهم على الرحيل سريعا من تلك المنطقة حيث أعطتهم قوه إضافية لإكمال المسير حتى بعدا تماما واختفت النيران من خلفهم تاركة أعمده من الدخان الأسود المتصاعد في سماء المنطقة ...

تركا حقول القمح عابرين الجداول المائية حتى دلفا إلى غابه من أشجار النخيل حيث مرت عليهم الساعات وهم دون هوادة

يسيرون مسرعين ورويدا رويدا بدأ التعب والإرهاق يدب فيهما واحد تلو الأخر حتى قال لهم اتوم وهو يلهث :

-فلنسترح هنا قليلا لم يكمل كلمته حتى ألقي كل منهم جعبته على الأرض طارحين أجسادهم هي الأخرى على الأرض.

ثم قال اتوم :

-فلنعد شيء لنأكله ثم نقسم أنفسنا الي قسمين جزء ينام و جزء يحرس.

بدء الخادم ينظف الأرض بجريده نخل أشيه بالمقشة ثم فرش بعدها قطعه من القماش وعندما انتهى اخرج حابى من جعبته بعض الخبز وقارورة من العسل وبعض قطع الجبن المالح مناديا على سيف الدين الذي غط في نوم عميق فقال اتوم لحابى والخادم في حزم : اتركوه ينام وعندما ننهى طعامنا اخلد أنت والخادم إلى النوم وانأ سأحرسكما حتى تستيقظا فقال له حابى :

-سيدي أبدء أنت بالنوم ...

أشار إليه اتوم بالسكوت قائلا له :

-أنا هنا القائد فلا تناقشني ... اعتبر ما أقوله لكما أوامر عسكريه لا تقبل الجدل أو النقاش هز حابى رأسه بالموافقة وبدء

كل منهم في تناول الطعام ثم خلد حابى والخادم في نوم عميق تاركين اتوم يحرسهم حيث كان يشعر تارة انه ذئب يراقب فريسته وتارة أخري كصيد يتم مراقبته من صياد أخر حتى مرت أول ليله لهما وهما مطاردين من قبل فرعون وجنوده ...

***

بدأت أشعه الشمس في السطوع ومعها بدأت ترتفع درجه حرارة الأرض معطيه الإشارة ببدء يوم جديد ومع أشعتها الحارقة بدأ يستيقظ الجميع وكان أولهما سيف الدين الذي جلس بجوار اتوم قائلا له : قم ونل قسطا من الراحة يا سيدي...

اتوم : لن استطيع النوم إلا بعد أن نكون في مأمن تام من فرعون وجنوده.

قاطعه سيف الدين مستنكرا :

-وهل هذا المكان ليس بمأمن عنهم ابتسم اتوم دون أن يرد عليه وهو يشعل نارا في كتله من الحطب قد جمعها أثناء نومهم.

ثم قال له :

-ما رأيك بهذا ؟

قالها وهو يريه أرنبا مذبوحا حتى شهق سيف الدين متعجبا ثم قال من أين حصلت عليه يا سيدي ...؟

بدأ اتوم في وضع قطع لحم الأرنب فوق النار لشوائها وهو يقول هنا الكثير من الأرانب البرية الشهية سوف نصطاد منها ما استطعنا ونأكلها أنها أفضل طعما من أرانب المنزل ثم بدء إعطاء سيف الدين قطعه من اللحم ...

تناول سيف الدين قطعه اللحم متلذذا ثم قال وهو يغمض عينيه :

- ياله من شهي ...!!

أنتهي اتوم من تناول طعامه هو ومن معه سريعا ثم بدء الأربعة في تناول المشروب العشبي الذي جهزه حابى وما إن انتهيا حتى بدء الجميع في السير مرة أخرى سارا كثيرا من حقل إلى حقل ومن قرية إلى قرية حتى بدأ كل منهم يشعر بالتعب وهنا قال حابى :

-هل اقتربنا من بوباستيس ؟

اتوم : عند منتصف الليل سنكون هناك...

حابى : عند من سننزل هناك ؟

اتوم : عند آخى سيفي

أندهش سيف الدين متسألا : سيفي !؟

اتوم : نعم سيفي آخى ...

أبتسم سيف الدين ثم قال :

-إن اسمه قريب من اسمي ثم أردف قائلا يا لها من صدفه جميله أن يكون إسمي على اسم أخيك ايها المعلم العظيم ...

اتوم : كلنا آخوه فى الوطن قبل أن يضيف في صوت مليء بالحزن والألم كلنا أخوه ... كلنا إخوة حتى في الاضطهاد والظلم الواقع علينا من قبل فرعون وحاشيته.

ثم أردف قائلا في لهجة مليئة بالتحدي :

- إن وضع كل منا ذلك المبدأ نصب عينيه وقوينا من أنفسنا فلن يرهبنا أي عدو ولن يغلبنا أي قوى ...

حابى: وهل أخوك سيفي معروف عنه انه من المعارضين لفرعون ؟

اتوم : حتى ألان لا ...

ثم أضاف قائلا :

-بحكم أنه من كبار تجار بوباستيس فأنه يتعامل مع حاكم المدينة مباشره ومع كل الأعراق من البائعين والمشترين من التجار

الذين يحلون هناك وأظن انه لو كان هناك مجرد شك ... فقط مجرد شك فيه فأنهم لم ولن يتهاونوا معه ثم توقف عن حديثه ناظرا يمينا ويسارا و كأنه يشعر بأن هناك من يراقبه فأشار لهم بالجلوس صامتين ثم تركهم وأختفي خلف أشجار النخيل وجلس الثلاثة بجوار بعضهم مشكلين حلقه دائرية محلقين في أشجار النخيل المحيطة بهم .

وقال لهم حابى هامسا :

-كل منا يمسك سيفه ويكون على استعداد ثم ساد الصمت المكان دون أن يتحرك احد منهم حتى سمعا صوت صراخ ولكن لم يعلموا لمن هذا الصراخ ومن أي اتجاه يأتي.

حتى جاء إليهم اتوم مسرعا ممسكا برأس رجل احمر الوجه كثيف الشعر رافعا رأسه إليهما ثم ألقاها عند أقدامهم قائلا لهم :

-أن هذا الخنزير كان يراقبنا ثم أمرهم بالتحرك سريعا من تلك المنطقة ...

تحرك الجميع مسرعين كانوا يسيرون عكس إتجاه الرياح حتى أنهم من شدتها كانوا يحسون أنها تلطم وجوههم لطما وكان كلما تقدما في المسير تشتد الرياح ومعها تقترب رائحة الصحراء أكثر

وأكثر حتى بدت بالفعل لهما أرض الصحراء الرملية التي يخرج من بطونها صخور كثيرة متفاوتة الأحجام حتى بدت لهم هضبة صخريه شاهقة الارتفاع تتوسط الصحراء بعيده عنهم وهنا قال لهم اتوم سوف نذهب إليها ونستقر فوقها وبدأ كل منهم السير في رمال الصحراء الساخنة حتى وصلا إليها بعد جهد وتعب وعناء شديد وبدأ كل منهم في تسلق الهضبة من الاتجاه المدرج لها حيث كانت الصخور متراصة فوق بعضها جاعله طريق الصعود سهلا نوعا ما حتى اعتلوها جميعا ....

كانت الهضبة مرتفعه كثيرا عن الأرض سطحها منبسط في منتصفه الكثير من الأعشاب والحشائش الصحراوية التي تتحمل شح المياه وقحط الطبيعة ... متناثر على سطحها بروزات صخريه كبيره هنا وهناك أشبه بجبال صغيره لم تنموا بعد ... بطن أكبرها مليء بشقوق شبيهه بالكهوف الصغيرة التي لا تسع أكثر من شخصين للاختباء فيها وكانت نهابة الهضبة متباعدة شديدة الانحدار من كل الاتجاهات عدا الجهة التي تسلقوها ...

***

بدأ الأربعة في وضع جعباتهم وهنا نظر اتوم إلى سطح الهضبة قائلا بصوت عالي : أنتي كما أنتي لم تتغيري...! سأله حابى مستغربا :

-من تكلم يا سيدي ؟

فقال اتوم : إن الهضبة لم تتغير منذ سنوات حيث كنت احضر هنا أنا وآخى سيفي نختلي بأنفسنا ونتدرب على فنون القتال ...

قاطعه سيف الدين سألا:

-هل كنتما تمكثا هنا طويلا ؟

اتوم : أيام طويلة كنا نجلس هنا لنتعلم الصبر والجلد والقدرة على التحمل ...

سيف الدين : وهل سنمكث هنا نحن أيضا طويلا؟

اتوم : لم يكن ضمن خطتنا المكوث هنا أو المرور حتى من هنا قط ... ولكن ذلك الجندي الذي قتلته في غابه النخيل كان يلبس ملابس مختلفة عن ملابس جنود جاسان واواريس فربما يكون من جنود بوباستيس ومعنى هذا أنهم يترقبون وصول الثوار من الخارج أو هروبهم من الداخل فيضيقون الخناق على كل المارين فقررت بعد تفكير عميق أن نصعد هنا على تلك الهضبة حيث

سنتخذها مقرا ومستقرا حتى يهدئ الوضع قليلا او نرتب طريقا أخر للهروب ...

سيف الدين : و من أين سنأتي بالماء ...؟

قاطعه حابى حيث قال في ثقة وهو يشير بسبباته الي بعض العشب :

-وجود تلك الحشائش وتلك الشجيرات القليلة دليل على وجود مياه هنا ... ثم أن السيد اتوم يعلم أين الماء قالها وهو ينظر إلى اتوم الذي كان يبحث بين أشيائه عن شيء.

ثم سرعان ما وجده ماسكا إياه حيث كان يمسك بجزع شجره خشبي على شكل حرف **(Y)**

قائلا في حماس :

-بتلك العصي ثم قام واضعا العصي على الأرض من طرفها المفتوح ماسكا الطرف الأخر ماشيا على ارض الهضبة.

حتى اقترب من بعض الحشائش وهنا صاح:

- فلنحفر هنا

ثم أردف قائلا :

- إن الماء قريب من السطح ...

بدء كل منهم بالحفر بالبلاطي وماهي إلا دقائق حتى ظهر الماء واضحا جليا للناظرين ثم ذهب بعيدا عن عين الماء حتى أقترب من جبل صغير صاعد من سطح الهضبة فرسم لهم على الأرض شكلا مستطيلا وقال فلنحفر هنا أيضا فسأله سيف الدين :

-أهذا الحفر أيضا للمياه ؟

قال له اتوم وهو يحرك رأسه بالنفي :

-لا بل هذا الحفر للاختباء والحماية ودفن أشيائنا الثمين إن اضطررنا لذلك ...

***

بدأ كل منهم في الحفر وطال الوقت كثيرا عليهم حتى انتهوا منه وكان أكثرهم همه ونشاطا اتوم وخادمه حتى ذهل سيف الدين من منظر الحفرة وقال لهما : وكأنكما تحفرون قبرا رد عليه اتوم مازحا أعتبره كذلك ثم أضاف ضاحكا وهو ينظر إلى خادمه العجوز ممازحا أياه:

- لكننا لا ندرى من سيدفن فيه ؟

رد عليه الخادم العجوز في نبره ساخره وهو يضحك : أنا سوف أدفنكم جميعا ... قالها مازحا وهو يفرد عضلاته مستعرضا

إياها كبطل من أبطال رياضة كمال الجسام ثم أضاف مبتسما : كما ترون أنا أكثر منكم قوه ... فضحك الجميع على جمله الخادم العجوز الأخيرة ...

بدأ اتوم في جلب بعض أغصان الشجر رابطا إياها بقطع من قماش واضعا فوقها خليط من رمل وماء وصنع ما يشبه تعريشه أو سقف يغطى ثلثي الحفرة تاركا الثلث الأخر دون غطاء وقال :

-هذا هو منزلنا الجديد ننزل من هنا مشيرا إلى الجزء الغير معرش وننام هنا مشيرا إلى الجزء الأخر المعرش أو هنا قالها وهو يشير إلى احد الشقوق الكبيرة في الصخور القريبة.

نظر إليه حابى وسيف الدين نظره كلها تقدير واحترام حتى إن حابى قال له :

-انك بالفعل تستحق لقب المعلم الأكبر يا سيدي اتوم

ورد عليه اتوم بابتسامه مشيرا إلى خادمه قائلا :

-وهذا بما يلقب ؟

قال حابى : انه بالفعل يستحق أن يكون مساعد المعلم الأكبر وهنا ابتسم الجميع وقال الخادم هل أجهز لكم الطعام أم ستخلدون للنوم ؟

قال اتوم موجها كلامه إلى حابى وسيف الدين الأمر لكما كما تريدان وهنا قال حابى :

– أنا سأنام بينما قال سيف الدين أنا سأحرسكم ... فأمر اتوم خادمه بالنوم هو وحابى وحيث يظل هو و سيف الدين متيقظين للحراسة

❊ ❊ ❊

بدأت الشمس في الغروب ومعها بدء الليل يسدل أستاره حتى دخل المكان كله في ظلام دامس ظلام غير ظلام المدينة أو ظلام الحقول بل ظلام الصحراء المتوحش المليء بالمخاطر الجمة كان اتوم وسيف الدين أعينهم مفتوحة ومع ذلك فاقدين القدرة على الأبصار في ذلك الظلام السرمدي ... مرت اللحظات وغرق كل منهم في أفكاره وذكرياته حتى سأل سيف الدين اتوم قائلا : ألن نذهب إلى موسى النبي ؟

قال له اتوم وهو يرفع كفيه بالدعاء فليباركنا رب السماء في سفرنا وترحالنا حتى نصل إليه مبايعين له ...

سيف الدين : هل تعلم انه فى زمني نلقب نحن المصريين بالفراعنة ؟

رد عليه اتوم معنفا اياه قائلا : ويحك ... ماذا تقول أتنتسبون لمن هو ليس مصريا وفوق ذلك تتفاخرون بمن يكفر بالإله ويتحداه ويذبح البشر ويتجبر ويفسد في الأرض ... !

تقوس حاجبي سيف الدين قبل أن يقول في نبرة يعتريها الاستنكار والاستفسار: منذ فتره وأنا اسأل نفسي نفس الأسئلة ... ألم يكن في مصر حاكم أخر صالح غير طالح ننتسب إليه لكن فى كل مرة لم أكن أجد ما يشفى غليلي من تلك الأسئلة ...!

سأله اتوم في ضيق :

-أسمعت بقارون وهامان أم لم تسمع بهما ؟

سيف الدين : سمعت عنهم بالطبع وعلى حد علمي فان قارون وهامان هم كبراء وزراء فرعون وهم من يشجعونه على اضطهاد موسى وقومه...

قال اتوم ساخرا :

- أيشرفك أن تنتسب إليهم ؟

رد عليه سيف الدين مستنكرا :

- بالطبع لا...

رفع اتوم سبابته في وجه سيف الدين قبل أن يقول في حزم :

-هذا هو ثالوث الكفر فان وافقت على الانتساب لأحدهما فمن الأولى أن تنتسب إلى الباقي ... فهم على نفس دينه ونهجه ومنهاجه أنهم ليسوا مننا ونحن لسنا منهم ففرعون من العامو المحتلين لديارنا وارضنا ... العامو الذين جاؤا الي هنا بدو رحل أتوا من صحراء كنعان على فترات متتابعه رويدا رويدا ومن ثم أرسلوا قواتهم لاحتلالنا في وقت ضعفنا وانحلالنا.

ثم أضاف في ضيق :

-هل تعلم يا سيف الدين أن مصر الآن بها أكثر من إقليم كل إقليم يحكمها أمير يسمى نفسه ملك مصر وكل واحد منهم فرح سعيد بما لديه غير عابيء بغيره فهنا اواريس في ارض جاسان معقل العامو وحلفائهم من العبرانيين و في الشمال خاسوت وفى جنوبها صاو وبجوارنا تانيس وساس و سبيتيتوس وفى الجنوب اون ومنف واهنيس و طيبه ثم حرك راسه سريعا يمينا ويسارا مستنكرا قبل ان يقول متحسرا على ذلك الوضع :

-الكل خالف أوامر نارمر الذي وحد ارض مصر وجعل شعبها على قلب رجل واحد إذ اشتكى احد في مصر السفلى

تحركت جيوش مصر العليا لأغاثته والعكس بالعكس ثم تنهد تنهيده مليئة بالأسى والحزن مما وصلت إليه ارض مصر .

ثم أضاف قائلا :

-فها هو ذلك المعتوه فرعون الذي استولى على تلك الأرض التي نحيا فيها الآن هو وقومه وعلى رأسهم قارون وهامان ...

سيف الدين : أنهم في ديني من المجرمين المتكبرين.

ثم سكت هنيهه قبل أن يقول مستنكرا :

-ولكن ألا يمكن أن يلين قلبه ...؟

اتوم : كل ما يأتينا من أخبار انه عندما يلين قلب فرعون لموسى بالإيمان يتراجع عن رأيه امتثالا لرأيهما مع العلم أن قارون هو ابن عم موسى فهو قارون بن يصهر بن قاهث بن عازر بن لاوى بن يعقوب وموسى كما تعرف هو موسى بن عمران بن قاهث بن لاوى بن عازر بن يعقوب يختلفا في الأب لكن الجد واحد بينهما.

ثم وجه نظره نحو سيف الدين سألا اياه في استنكار :

- قل لي يا سيف لماذا يتخذ فرعون من قارون خليلا وهذا مصري وذلك عبراني ؟

سكت لحظات دون أن يجب سيف الدين ثم أردف اتوم قائلا :

- إن هذا كذب وافتراء ففرعون ليس مصريا بل من العامو الذين هم اقرب للعبرانيين منا نحن المصريين فهم في الأصل بدو ليس لهم أرضا محدده ولا حدود لتنقلاتهم وترحالهم يسكنون بين الممالك ليس لهم مكان محدد ... يسيرون خلف أغنامهم ومواشيهم هائمين على وجوههم في الصحراء لا ينتسبون إلى مكان إلا المكان الذي يروى ظمأ مواشيهم وأنعامهم فقط حتى أن موسى عندما أراد تحذير فرعون مستنكرا أفعاله ذكره بأجداده من الأقوام البائدة من قوم نوح وعاد وثمود ففرعون وقومه هو مزيج غير مصري من عماليق وعامو وعبرانيين ثم استدرك سائلا:

- هل علمت ذلك من قبل يا سيف الدين ؟ لم يجبه سيف الدين حيث كان عقله مشغولا بالتفكير في ماضيه ...

ران الصمت عليهم وهم ينظرون إلى الظلام المغطى الصحراء حتى لفت انتباههم صوت أقدام شخص غير واضح المعالم يسير على الهضبة وكأنه شبح قادم حتى أن اتوم قد أستل سيفه من جانبه أخذا وضع الاستعداد للهجوم عليه حينما يقترب ولكن ما سرعان ما هدأ من روعه عندما تكلم القادم وكان الصوت صوت حابى الذي قال لهم مضطربا :

-لقد استيقظت من نومي ولم أجدكما بجوار الحفرة أو ناحية الكهف فخفت عليكما أن تكونا قد تعرضتما لمكروه ثم بلع ريقه الذي جف من رياح الصحراء الجافة وجلس بجوارهما ومد سيف الدين يده بقاروره مياه مقدما اياها الي حابى قائلا له :

-اشرب يا حابى ولا تقلق علينا فنحن هنا نتسامر ونتجاذب إطراف الحديث

شرب حابى قارورة المياه كاملة ثم قال :

-لقد نمت نوما عميقا حتى الخادم هو الأخر لا يزال نائما لم أوقظه حيث انه أكثر واحد بذل مجهود منذ بداية رحلتنا ...

اتوم : اتركه حتى يستيقظ بمفرده ثم أضاف في مرارة فنحن لا نعرف ماذا سيحدث لنا في تلك الأيام القادمة !!

حابى: فلتناما أنتما أيضا ...

سيف الدين : لا أريد أن أنام وفي عقلي أسئلة كثيرة ؟

اتوم : وأنا الأخر لا استطيع أن اترك شخصا يريد المعرفة والتعلم دون أن اشفي قلبه وعقله مما يدور فيهما

حابى : إذن فلنجهز عشائنا ونرجع لما كنتم تتناقشون فيه

اتوم : ماذا لديك من عشاء يا صديقي ...

حابى : جبن و عسل و خبز ...

اتوم : خير ونعمه ثم أضاف سأذهب لإيقاظ الخادم ليأكل معنا ثم ذهب نحو الحفرة حتى اختفى لحظات وجاء معه الخادم وجلس الجميع ثم بدأ اتوم يرتل ويدعوا بعض الأدعية قبل تناولهم للطعام وحين انتهى من دعائه قال حابى والخادم "آمين" فأستغرب سيف الدين وقال معهم "آمين" وتناول الجميع طعام العشاء وحين انتهوا سألهم سيف الدين هل تنهون ادعيتكم كل مره دائما بكلمه "أمين" فقال اتوم بالطبع نعم ؟ فأستغرب سيف الدين قائلا ونحن كذلك في ديننا حتى إني كنت أظنها كلمه عربيه خالصة ؟

اتوم: آمين هي كلمه سامية قديمه معناها اللهم استجب دعائي تناقلها كل المؤمنين من ابرام النبي ...

سيف الدين : بالفعل نحن كمسلمين نقولها وحتى في الأفلام الأجنبية حيث كنت دائما أشاهدهم يقولونها في الكنيسة

نظر إليه الجميع مندهشين حتى سأله اتوم:

- ما معنى تلك الكلمات التي قلتها ؟ مسلمين... أفلام أجنبيه ....و كنيسة ؟

سيف الدين : انه موضوع يصعب شرحه ولكنى أعدك أن أحدثكم عنها لاحقا ...

اتوم : و لماذا لا تشرحها ألان ؟

قال سيف الدين وهو ينظر إلى اتوم :

-أنا بين يديك كالميت بين يدي مغسله مستسلما لعلمك ومعارفك ...

اتوم : ياله من تشبيه صعب !

سيف الدين : بالفعل أنا بين يديك تلميذ لا يشبع مما لديك من علوم فاشتياقي للتعلم بين يديك والاستماع إلى حكمتك اكبر من الرغبة لدى في الحديث ...

أبتسم اتوم بعد أن شكر سيف الدين على مجاملته إياه ثم قال مكملا حديثه :

– يا سيف الدين أن مصدر الدين واحد ولكن مع طول الفترة وسوء التأويل يتم التحريف.

ثم أضاف سألا سيف الدين وكأنه تذكر ذلك السؤال للتو حيث قال :

-لماذا تنشرون غسيلكم المتسخ على الملاء وتخبئون النظيف ... تتباهون بتاريخ ليس بتاريخكم وببشر ليسوا من بني جلدتكم وتتركون الكثير من قادتكم و حكمائكم ؟؟!

سيف الدين : تقصد التباهي بفرعون ؟

اتوم : نعم ...

سيف الدين : أنهم كتبه التاريخ.

اتوم: التاريخ لا يكتب صحيحا كما يجب ان يكون فمن يكتب التاريخ هو المنتصر دائما أو من له مأرب سلبا أو إيجابا يكذب ثم يكذب حتى تتحول الكذبة إلى حقيقة يتداولها الناس جيلا بعد جيل حتى تصبح حقيقة دامغة لا تقبل النقد أو النقاش أو التأويل.

حابى : بالفعل ... وخير دليل على ذلك هي عباده الأوثان التي بدأت على أيدي اناس يريدون فقط إحياء ذكرى من شيدت من اجلهم التماثيل وهم في الأغلب من الصالحين والحكماء ثم سرعان ما أصبحت أصنام تعبد من دون الله بعد عده أجيال.

سيف الدين مقاطعا حابى عفوا عفوا ولكن سؤال جاء في ذهني للتو:

- بأي لغة تحدث فرعون وموسى هل تحدث فرعون بالمصرية و فهمه موسى العبراني أو العكس ؟

اتوم : يا سيف قلت لك بان فرعون ليس مصريا ثم إن لغتهم واحده تختلف عن لغتنا المصرية ولكن بالنسبة لهم هي لغة واحده تختلف لهجاتها بين الأقوام من العبرانيين والعماليق والعامو ...

سأله سيف الدين مستغربا: ألم يتحدثوا بالمصرية ؟

رد عليه اتوم مستنكرا :

-وكيف وهم ليسوا بمصريين الست متأكدا من أن العبرانية هي لغة موسى ؟ قاطعه سيف الدين اعلم ... اعلم ولكن ماهي لغة فرعون ؟

حابى : يا سيف أن لغة فرعون شقيقه للغة موسى الفرق في اللهجة و اللكنة...

الخادم : سيدي من الممكن أن يكون موسى قد تعلم لغتهم فهو قد تربى في بيت فرعون منذ ولادته ...

حابى : إن كان كذلك فلما دعا ربه أن يرسل معه أخوه هارون وهارون كما نعرف جميعا لم يعش بين المصريين فحياته كلها عاشها في البرية مترحلا مع أغنامه ونعاجه ولا يتحدث أصلا المصرية

اتوم : كلامك صحيح يا حابى فلو قلنا أن موسى تربى في قصر فرعون فعرف لغتهم فكيف لهارون أن يتحدث أو يقنع أو يتحدى فرعون بطلب من أخيه موسى إن لم تكن لغة الثلاثة واحده ثم استطرد سائلا مستنكرا أيبعث الله رسولا إلى قومه بلغه أخرى غير لغتهم ؟ حتى و إن حدث وهذا مستحيل فسيكون لهم حجه عند الله حيث سيقولوا ما فهمنا منه ما تريد سيف الدين : بالفعل فمنهج الله وسنته دائما أن يرسل الله الرسل بلغه قومهم ثم أضاف لقد قرأت مسبقا أن موسى دعا ربه لان يرسل معه هارون لان موسى كان بلسانه عله أو ما شابه ؟

اتوم : بالفعل وهذه لها قصه معروفه للجميع فعندما كان موسى رضيعا شد لحيه فرعون فشعر فرعون بان هذا الوليد سيكون سببا فى تدمير ملكه وزوال سلطانه خاصة بعد رؤيا رأها مرارا وتكرارا بأن هناك طفل سيولد من العبرانيين سيكون سببا في أنهاء ملكه فأراد قتله ولكن زوجته حاولت إقناعه بأنه طفل لا يدرك ولكنه آبى وحاول قتله حتى أقنعته قائله له أن يقدم له طبق فيه جمره وطبق فيه تمره فان اخذ التمرة فهو يعقل ومن ثم أقتله وان كان لا يعقل فسوف يلتقم الجمرة وبالفعل ألتقم الجمرة وسببت له

لدغه في لسانه فلهذا هارون أفصح منه لسانا فلسانه سليم ولغته قويه ...

تذكر سيف الدين حينها الآية القرآنية :

" وَأَخِي هَٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِيٓۖ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿٣٤﴾ "

حابى: بماذا تتمتم يا سيف الدين ؟

سيف الدين : لا شيء ... لا شيء يا حابى ثم أردف سائلا : بعض الكتب التي كتبت بعدكم يقولون فيها أن الملك الذي عاصر يوسف هو الريان ين الوليد و الفرعون الذي عاصر موسى هو الوليد ابن مصعب وهى أسماء عربيه فهل هي صحيحة ؟

قال اتوم وهو يتثائب واضعا يده على فمه:

- إن العرب يتميزون باللفظ والكلام وبلغتهم فان كان هناك اسما غريبا على مسامعهم ترجموه إلى لغتهم ليكون اقرب إلى ثقافتهم فمن الطبيعي ان يكون للشخص الواحد أكثر من اسم .

فهناك اسم شهره وهناك اسمه الذي تسمى به عند مولده بلغته الأم ثم يترجم فمثلا "وليد" هو "ابن" مثل ابن حورس أو ولد حورس أو وليد حورس كلها أسماء لمعنى واحد ثم إن الريان هي

تعريب للفظ "خيان" الم تسمع بوادي خيان أو وادي الريان كما يطلق عليه العرب و مصعب هو وصف لاسم أبيه الذي تميز بالشدة و الحزم فهو صعب المعاشرة غريب المراس ...

أبتسم سيف الدين عند ذكر اسم خيان حيث تذكر خيان وأبو وسكن هؤلاء النخاسون الثلاثة الذين وجدوه في الصحراء فى اول رحلته.

حابى : فلتقم سيدي لتريح جسدك أنت وسيف الدين فالليل قارب على الزوال ...

أنتصب اتوم واقفا فاردا ذراعيه في الجو يحركهما يمينا ويسارا قبل أن يقول وهو يتثأب :

- هيا يا سيف الدين قم معي هيا ...

نهض سيف الدين وسار بجوار اتوم حتى اختفيا في الظلام متوجهين إلى الحفرة كي ينالا قسطا من الراحة

نزل كلاهما إلى الحفرة وألقى كل منهم ظهره على القماش الموضوع على الأرض وقبل أن يناما قال سيف الدين :

-اسمح لي سؤال أخير يا اتوم الذي قال له وهو يتثائب : تفضل يا سيف الدين ...

سيف الدين : لماذا أطلق الله على حاكم مصر في فتره يوسف الملك بينما قال على حاكم مصر في فتره موسى فرعون ؟

اتوم : لان الحاكم فى زمن يوسف كان بالفعل ملكا يدير شئون البلاد من كل نواحيها السياسية والعسكرية والتجارية والزراعية إلى جانب تدبير شئون الرعية ولم يدعى الإلوهية بل انه قد امن بيوسف وبرسالته أما في وقتنا هذا عندما يخاطبه الله فهو يناديه باسمه كنكرة مجرد من كل سلطاته حيث انه يدعى لنفسه الإلوهية فلن يتم مخاطبته إلا باسمه تحقيرا منه و تقليلا من شانه ...

سيف الدين :

-شكرا يا اتوم ثم أضاف أتمنى لك أحلاما سعيدة ولكن اتوم لم يرد حيث قد نام من فرط تعبه وارهاقه حتى لحق به سيف الدين غارقا هو الأخرفي نوم عميق ومرت أول ليله لهم على تلك الهضبة الموحشة وفى الخارج حابى والخادم يراقبان الهضبة من أعلاها ومن أسفلها مراقبين الظلام ورياح الصحراء لم يكن شيء يدور حولهما إلا الصمت المطبق حتى قال الخادم لحابى : فلتقم يا سيدي وخذ قسطا من الراحة فلا داعي لأن نقوم بالحراسة نحن الاثنين فواحد

منا كفيل بذلك وإن جد جديد فسوف أوقظكما فرد عليه حابى متثائبا هو الأخر إنا معك حتى لا تنام ...

الخادم : لا تقلق يا سيدي فأنا لن أغفو ولن أنام حتى تستيقظا

❊ ❊ ❊

الفصل التاسع

بعد قضائهما أكثر من أسبوعين في مصر للبحث عن والدهما عاد ادهم إلى الولايات المتحدة الأمريكية وعمر إلى ماليزيا فاقدين أي أمل في العثور على والدهما مطمئنين إلى عمهما جلال الذي لن يتوانى أو يألوا جهدا في متابعه البحث مع الشرطة على والديهما إن كان حيا او جثه والديهما أن كان قد لقي حتفه عاد كل منهما إلى عمله نظرا لحساسية عملهم فأدهم طبيب متخصص في علم الإمراض المتوطنة حيث يجرى أبحاثا في احد اكبر المعاهد البحثية الأمريكية بالتعاون مع إحدى كبرى شركات الأدوية المتخصصة هناك للبحث عن علاج جديد لبعض الإمراض المتوطنة في قارة أفريقيا بدعم من منظمة الصحة العالمية وعمر مهندس متخصص في الطاقة النووية يقوم بالتدريس في إحدى الجامعات الكبرى في كوالالامبور حيث يعمل مع مجموعه من العلماء الماليزيين علي تقنيه جديدة تتيح استبدال الماء الثقيل المستخدم في المفاعلات النووية بسائل أكثر فاعليه وأمانا ...

وصل عمر إلى مطار كوالالمبور البعيد عن العاصمة ٣٠ كيلومتر وما إن وصل إلى منزله القابع في أطراف العاصمة حتى

امتقع وجهه حيث وجد كل شيء داخل منزله الصغير مبعثرا وكأن زلزالا مدمرا قد مر من هنا أثناء غيابه عنه وسرعان ما اتصل بالشرطة التي أتت مسرعه للبحث عن الفاعل ورفع البصمات ولكن الغريب انه لم يكن هناك أشياء مسروقة أو مختفية وكأن الفاعل كان يبحث عن شيء معين لم يكن موجود داخل المنزل حينها ...

رحلت الشرطة عن المنزل مع وعدهم بالاتصال به عند انتهائهم من البحث والتفتيش والاتصال بهم إن وجد أي شئ جديد يدل على الفاعل.

***

الفصل العاشر

قام حابى من مجلسه متوجها إلى الحفرة لينام هو الأخر بجوار اتوم وسيف الدين تاركا الحراسة للخادم الأمين الذي لن يألوا جهدا في حمايتهما حتى غرق هو الأخر في نوم عميق

مرت الليلة عليهم بسلام وبداء يوم جديد ومعه بدأت أشعه شمس الصحراء الحارقة تلفح أجساد الثلاثة داخل الحفرة حتى بدء الثلاثة يتصببون عرقا حتى نهض اتوم حيث اخذ يقوم بتحريك قطعه من القماش في يديه يمينا ويسارا لطرد حشرات الصحراء التي تجمعت فوق أجسادهم كي تتغذى على دمائهم وبقايا طعامهم ثم خرج من الحفرة وتبعه في النهوض حابى وسيف الدين الذي بدء يفرك عينيه بكلتا يديه محاولا أن يفيق من نومه حتى انتبها الي صوت اتوم وهو يصيح أين الخادم ؟... أين الخادم ؟ فخرج الاثنان مسرعين مهرولين كل منهم في اتجاه يبحثون عن الخادم الذي اختفى من فوق سطح الهضبة ناظرين أيضا إلى سفحها دون جدوى وكأن الأرض قد انشقت وابتلعته حتى اخذ القلق يتسرب إليهما واحدا تلو الأخر...

قال سيف الدين مستغربا:

-أين اختفى هل أكله ذئب ؟ أم وقع من فوق الهضبة ؟

بدء كل منهم يحاول تفسير اختفائه دون جدوى فلو أكله الذئب لكان لبقايا عظامه أثرا وإن سقط من فوق الهضبة لكان لجثته أثرا حتى بدء حابى يخرج من هدوئه المعهود صارخا :

- أنا السبب أنا من تركته وحيدا يحرسنا في وسط تلك الصحراء أشار إليه اتوم بالسكوت وذهب مسرعا إلى حيث الممر الصخري النازل من الهضبة ونزل منه مراقبا أسفله ذاهبا يمينا ويسارا حتى لاح له من على بعد خيال شخص من بعيد فاختفى خلف صخره ممسكا سيفه بكلتي يديه متحفزا للقتال متأهبا للقادم المجهول وما إن اقترب من الممر الصخري حتى بان لاتوم انه الخادم قادما مسرعا فوقف اتوم قائلا منفعلا أين كنت ؟

اضطرب الخادم من المفاجئة حتى كاد قلبه أن يتوقف ثم اخذ نفسا عميقا ودون ان يتحدث اخرج من جعبة موضوعه على كتفه أرنبا بريا ثم قال وهو يلهث هذا ما أنزلني من الهضبة لقد أتعبني في اصطياده لكنى أردت أن أشويه لكما على الغذاء بدلا من ذلك الطعام الذي لا يغنى ولا يسمن من جوع ...

رد عليه اتوم في نبره غضب:

- مشكور على صيدك ولكن لا تفعل هذا مرة أخرى فنحن نتحمل الجوع ولكن لن نتحمل فقدانك .

اعتذر الخادم وتعهد بعدم فعل ذلك مره أخرى ثم صعدا مع بعضهما أعلى الهضبة ماسحين أي اثر لهم في الأسفل حتى وصلا واستقبلهما حابى وسيف الدين مستنكرين فعلته.

جلس الأربعة يتابعون غبار الصحراء المتطاير ويتبادلون أطراف الحديث عما يجب فعله في الأيام القادمة ثم أمر اتوم الخادم بإشعال النيران لشواء الأرنب .

بدء الخادم في حفر حفره صغيره في الرمال واضعا أسفلها بعض الحصى ثم وضع فوقها بعض الحطب حتى تم إشعالها بواسطة حجرين نافخا فيها حتى اشتعلت وانتظر حتى ذبح اتوم وحابى الأرنب وسلخاه ووضعوه فوق النار يستوي حتى انتهوا من شوائه وقطعه اتوم بالتساوي عليهم الأربعة وبدا الجميع في التهامه مع بعض الخبز الجاف حتى انتهيا من طعامهم وبدء حابى في وضع بعض الأعشاب مع بعض الماء على النار لتستوي صانعه مشروب ساخن شهي لكي يرتشفاه بعد الطعام ثم قال اتوم موجها كلامه إلى حابى والخادم :

- ألن تناموا قليلا ؟

حابى: لقد نمت يا سيدي ...

ثم أردف في نبره حزن:

-أنا اشعر أن أيامي الباقية قليله فلا تمنعني من مرافقتك يا سيدي في الوقت المتبقي لي معك في تلك الحياة المليئة بالتقلبات

قال له اتوم وهو يبتسم:

- هل تشعر انك ستموت قريبا أم أنا ؟

حابى : العمر الطويل لك سيدي ولكنه مجرد شعور لا استطيع طرده ثم قال له مترجيا :إنا لا أريد حتى وقت الراحة الذي يفرق بيني و بينك ...

اتوم : فلتحفظك السماء وليباركك الرب وليبارك لك في قلبك الرقيق و إحساسك المرهف ...

حابى : قلبي رقيق مع من أحب غليظ مع من اكره إحساسي مرهف مع أبناء وطني جاف مع الأعداء

سيف الدين : إن أردتم أن أنام انا مع الخادم لنحرسكم ليلا فليس لدى مشكله ...

حابى : و كيف ذلك يا سيف الدين فمنزلتك لدى بمثابة منزله معلمي اتوم وما قلته عليه ينطبق عليك أنت أيضا إلا إذا أنت أردت عدم مرافقتنا ومسامرتنا ؟

رد عليه سيف الدين مستنكرا :

-و كيف ذلك و ليس لي في هذه الحياة إلا انتم.

ثم أضاف قائلا :

-إنما فقط أردت حلا وسطا كي تنعم بمرافقه المعلم الأكبر وأيضا نلتزم بأوامره أن ينام اثنان ويحرسهم اثنان ...

اتوم : ليس لدى مشكله إن الأمر شورى بيننا ... أنا فقط أردت أن يقوم اثنان بالحراسة حتى إذا نام احدهم أيقظه الثاني ...

قال الخادم مستنكرا هو الاخر :

- وهل أنا من لا يريد مرافقتكم ... ؟

ثم أردف قائلا انتم أهلي ومن لي في تلك الحياة ولكنى سوف أقوم بحراستكما وعنايتكما كما تريدون فانا لن ابخل عليكم أيها الرفقاء بأي غالى أو نفيس لدى من اجل أن تكونوا في مأمنكم مطمئنين حتى إن كلفني الأمر حياتي ... نظر إليه الثلاثة نظره شكر حتى قال له اتوم : أنت رفيق دربي و علاقتي بك ليست علاقة

خادم بمخدوم فأنت بمنزله الأخ الأكبر ثم أضاف حفظك الله أينما كنت و حيثما حللت ثم قام مقبلا رأسه

ران الصمت عليهم لفترة قبل أن ينتصب الخادم واقفا سائلا إياهم عن أي شيء يريدونه قبل أن ينام ... ثم ذهب وهو يمسح بعض الدموع التي تجمعت داخل مقلتيه والتي حاول أن يخفيها عنهم حتى غاب عن أعينهم فقال حابى : ياله من خادم مطيع محب لسيده...

اتوم : أنها بالفعل علاقة أكثر من علاقة خادم بسيده فهو من راعاني بعد وفاه والدي حيث كان خادما لهما حيث تبناه أبى عندما تيتم بعد فقدان أبويه...

سيف الدين: انه يغار عليك ...

اتوم : أنها ليست غيره بل الخوف ثم أضاف قائلا :خوف الأب على ابنه الوحيد فهو غير مقتنع أنى قد كبرت ويمكنني الاعتماد على نفسي بل ويرفض حتى أن يجلس في بيته معززا مكرما كما عرضت عليه من قبل ... فقد كنت أريد أن أعين له خادما ولكنه يرفض دائما ويقول: آن العيش بجوارك هي الحياة التي دونها الموت.

حابى : كل من يعاشرك يعرف قيمتك فأنت تستحق حياة أكثر أمنا وليس مثلنا مطارد في غياهب الصحراء خائفين مترقبين دون بيت يؤبنا أو محراب نتعبد فيه ثم أضاف قائلا : كم من طالب يتمنى أن يجلس تحت قدميك كي يستفيد من علمك وخبرتك وحكمتك...

سيف الدين : انه من حسن حظنا أن تؤنسنا في رحلتنا ننهل من بحر علومك ثم صمت قليلا قبل ان يقول : هل تعلم انك أنت وحابى جعلتموني لا أريد أن أعود إلى زماني ولا الي بيتي بل فقط أريد أن اذهب لإخبارهم بالحقائق التي علمتموني إياها فنحن في اشد عصور الجهل بالتاريخ خاصة تلك الفترة التي جئت إليكم فيها...

اتوم : كما قلت لكما مسبقا التاريخ هو كذبه الأقوياء وافتراء ذوى النفوس الضعيفة الذين يؤولون الإحداث لخدمه مصالحهم ومصلحه قومهم قاطعه حابى واقفا واضعا يديه فوق عينيه حاجبا أشعه الشمس بها ممعنا النظر إلى شيء ما ثم دعاهم للصمت وإخماد ما تبقى من دخان اللهب قائلا لهم إن هناك غبار قادم من وسط الصحراء ثم أستلقي على بطنه و ظل يزحف حتى وصل إلى نهاية

سطح الهضبة وفعل مثله اتوم وسيف الدين ناظرين إلى الغبار القادم حتى اقتربوا من سفح الهضبة ...

كانوا مجموعه كبيره من الجنود مدججين بالسلاح ساروا دون هوادة دون أن يقفوا أو يلتفتوا إلى الهضبة أو سطحها حتى غابوا عن أعينهم ...

انتصب حابى واتوم وسيف الدين بعدها وهم يزيلون من على ملابسهم تراب الأرض وقال لهم حابى في غضب بعد ان تقوست حاجباه : ما العمل ألان ؟ ودون أن ينتظر أجابه منهم قال : لقد كنا نظن أننا هنا في مأمن ولكن تلك الجنود المارة من هنا من الممكن أن يعسكروا بجوارنا أو يلفت الدخان أنظارهم فيصعدون خلفنا ...

اتوم : فليحفظنا الحافظ إن كل شيء لنا في تلك الحياة مكتوب علينا فان تركنا موقعنا ونزلنا ففي الأغلب أننا سنقابلهم في طريقنا أما المكوث هنا فهو الأحوط ولندعوا رب السماء ان يعمى أعينهم عنا ...

ابتسم سيف الدين قبل ان يقول في حزم: والله الذي لا اله إلا هو أنا لا أشعر بأي خوف أو هلع طالما انتم معي وأنا معكم ولكن

لابد أن نأخذ بالأسباب فلنجعل من الموقع الذي سار من تحته الجنود برج مراقبتنا للذاهب والقادم وإن حدث أي مكروه فليصيح من فيه لتنبيه الآخرين ثم أضاف قائلا : سنكون نحن هنا بالأعلى وهم بالأسفل وحتى إن كانت أعدادهم كبيره فلنجمع هذه الحجارة المنتشرة هنا وهناك ونقذفها عليهم وأيضا نسد مطلع الهضبة من الناحية الأخرى وحتى إن كتب علينا القتال فلنقاتلهم حتى أخر نفس فينا ...

حابى : سوف اذهب لإحضار الأسلحة من داخل الحفرة حتى يتسنى لنا أن نجلى صدئها و نلمع نصولها

اتوم : فلنفعل ذلك داخل الحفرة حيث إن آتينا بها إلى هنا تحت أشعه الشمس سوف تعطى لمعه وبريق بجذب أنظار أي شخص قريبا كان أو بعيد ...

حك سيف الدين ذقنه التي طالت علي غير عادته ثم اؤمىء برأسه موافقا قبل ان يقول :

-فعلا كلامك صواب فلنذهب الآن.

اتوم : اجلس أنت يا سيف الدين هنا للحراسة فأنا وحابى أكثر منك خبره في التعامل مع الأسلحة وحتى لا تجرح يديك وان رأيت أي شيء ... أي شيء اخبرنا به ثم قام من مجلسه هو وحابى.

سارا بجوار بعضهما يتحدثان حتى نزلا إلى داخل الحفرة.

مر الوقت على سيف الدين في موقعه يراقب طيور السماء ورمال الصحراء تحت أشعه الشمس الحارقة واضعا قطعه من القماش المبلل فوق رأسه رابطا إياها بحبل من الكتان مستلقيا على بطنه حتى يكون في مأمن من أعين الجنود المارة ليلا ونهارا تذكر حينها صوت والده وهو يحكى له عما عاناه وهو في مكان شبيه بهذا المكان أثناء نكسه ١٩٦٧ حيث حكي له والده من قبل انه اختبئ فوق هضبة في صحراء سيناء هو وعشرون جنديا كانوا معه دون سلاح يحميهم أو مؤن تقويهم إلا من بعض الزمزميات الصغيرة التي لم تصمد فيها المياه طويلا قبل ان تنفذ مع أنهم كانوا يكتفون فقط ببل شفاههم دون شربه وكان من تحتهم جنود الكيان الصهيوني المغتصب يعذبون وينكلون ويقتلون الأسرى الذين خارت قواهم ولم يستطيعوا الهرب أو الاختباء حيث كان ينام هو ومن معه لأيام طويلة على بطونهم فوق الهضبة مخبئين رؤسهم بين

الصخور دافنين أجسادهم النحيلة في الرمال قبل أن تلاحظهم ذات مره طائره عسكريه تابعه للكيان الصهيوني حيث أفرغت طلقات مدفعها الرشاش فيهم دون شفقه أو رحمه أو هوادة مخترقة بذلك كل القوانين والأعراف حتى فقد الوعي وتم أسره في من اسر حينها حتى تم الإفراج عنه بعد ذلك في اتفاقيه تبادل الأسرى بعد ذلك ... تلك الحرب التي سميت نكسه ٦٧ أو نكسه حزيران كما تسمى في الأردن وسوريا وفلسطين أو حرب الأيام الستة كما يطلقون عليها في إسرائيل تلك الحرب التي كان من نتائجها احتلال إسرائيل لسيناء المصرية والجولان السورية وتهجير ألاف السكان من مدن القناة المصرية وتهجير عشرات الآلاف من الفلسطينيين ومحو مدن كاملة من الوجود واحتلال القدس الشرقية.

خرج سيف الدين من ذكرياته على صوت حابى وهو يقول ضاحكا لسيف الدين : ويحك يا سيف الدين لقد ظننتك عربياً أوعبرانيا بتلك القماشة الموضوعة فوق راسك ابتسم سيف الدين قائلا له : إنها أفضل وسيله لحماية الرأس من ضربه شمس في هذا الجو الحارق.

حابى : لا تقلق فإن اصابتك ضربه شمس فحينها سنعرف مدى فاعليه تلك الأعشاب التي بحوزتي فكل مرض له عشب يداويه.

سيف الدين : هل معك أعشاب تساعد الإنسان على النسيان ؟

حابى: الموت هو العلاج الوحيد للنسيان ثم قطع حديثه عندما لمح غبار قادم من أقصى الصحراء فأنزل كل منهم رأسه إلا حابى حيث أختبئ خلف صخره كبيره تاركا عينيه تختلس النظر حتى يتمكن من معرفة هوية القادمين ونادي على اتوم الذي قدم مسرعا واستلقى بجواره على بطنه ثم قال أنهم العامو معروفين بزيهم وبراياتهم حتى مروا سريعا من عند سفح الهضبة كعاصفة مرت مسرعه تاركه وراءها غبار كثيفا يزكم الأنفاس ويعمى العيون ثم أضاف سائلا: هل مازلتم مقتنعين بان ننزل من هنا نشق طريقنا في الصحراء وسط تلك التلال البشرية التي تحوم حولنا ليل نهار ؟

حابى : بالطبع لا .... فهم إن وجودنا فلن يتركونا إلا جثث تفترسها سباع الصحراء وطيور السماء

سيف الدين : لابد أن نظل هنا حتى تهدئ الأمور

اتوم : ما يقلقني فعلا هو أننا منذ خروجنا انقطعت الأخبار فلا ندرى ماذا فعل فرعون مع موسى وقومه ؟

حابى : انه لفاجر جبار لا تتوقع منه إلا الأسوء

تنفس أتوم بعمق قبل أن يخرج زفيرا عميقا قبل ان يقول في حنق : آه لو كان لدينا ألان حمام زاجل كنا تواصلنا مع اخي سيفي أو احد رجالنا في اتريب أو اواريس أو بوباستيس و عرفنا منهم أخر الأخبار

سيف الدين: هل تعلم انك لو كنت في زماني ما كنت تحتاج إلا سوى قطعه صغيره تسمى الهاتف تخبرك بما تريد معرفته دون أي صعوبة

اتوم : هل هذا سحر؟

سيف الدين: لا بالطبع انه أخر ما توصل إليه العلم الحديث في زماني

اتوم : افهم من كلامك أن أمتكم الآن هي أفضل أمة من حيث الصناعة والابتكار والتقدم ؟

صمت سيف الدين مبتسما متجاهلا سؤاله فهل يصدمه بان أمتة الآن هي أمة تستورد قمحها وطعامها تعيش على المعونات

والهبات أم يكذب عليه ويقول له ما يريد سماعه ويطمان قلبه ولكنه ابتسم مفضلا الصمت حتى التفت إلى مصدر وقع أقدام فنظر الجميع خلفهم ...

قال اتوم مداعبا الخادم :

-أتمني أن تكون أخذت كفايتك من النوم أيها الرجل العجوز

الخادم : وكيف أنام وسيدي في خطر

اتوم : لسنا في خطر ولكننا في بحر من الأخطار ثم قص عليه ما أستجد من أمور حدثت أثناء نومه ... حاكيا له عن هؤلاء الجنود المارين حولهم كل فتره منبها إياه بعدم النزول من فوق الهضبة وبعدم إشعال أي نار حتى لا يلفت أنظارهم ليلا أو نهارا

قال الخادم متسألا:

- وكيف نطهو طعامنا أو نغلي مياهنا ؟

اتوم : لقد فكرت حتى اهتديت لفعل ذلك مستخدمين أشعه الشمس الحارقة دون أن نشعل نارا أو نوقد حطبا وان فشلنا فلنوقد نارا صغيره داخل الحفرة ليلا فلن يكون ضوؤها ظاهرا ولا دخانها لافتا.

الخادم : كما ترى يا سيدي ... الأمر لك

بدء حابى بفتح جعبته مخرجا قطعه خشبية على هيئه حرف "X" مربوطا بها حبل مطاطي يتوسطه قطعه جلديه مع جعبة اصغر مليئة بحصى مستدير وكور معدنية بها الكثير من البروزات الحادة كمسامير حديديه خارجه من منتصفها رافعا إياها نحو السماء وكأنه يتأكد من صلاحيتها ثم وضع فيها حصاه مستديرة ثم شد قطعه الجلد قاذفا إياها نحو صخره بعيده حتى انطلقت كقذيفة صاروخيه حتى انه من قوتها تركت شرخا في الصخرة حين ارتطمت بها حينها أبتسم حابى وهو يشير بسبابته اليمنى نحو رأسه قبل ان يقول :

- القوه الحقيقية في العقل وليست في العضلات فبهذا نستطيع اقتناص غزالا أو أرنبا دون مطارده أو جهد وان حكم الأمر اصطدت به احدهما مشيرا بإصبعه نحو الاتجاه الذي يأتي منه الجنود ثم قال في صرامة وحزم:

-يجب أن نتدرب سويا على استخدام تلك الأسلحة خاصة سيف الدين والخادم فنحن لا نعلم متى ستكون المعركة التالية ؟

ضحك الخادم بصوت عالي حتى ظهرت أسنانه قائلا له : انك لم تخبره عنى سيدي اتوم ضحك اتوم هو الأخر واضعا يده فوق كتف الخادم الأيمن موجها كلامه إلى حابى بعد ان استدار إليه :

- لا يغرنك الشيب والعجز فهذا وحش كاسر لم يدخل معركة أو تحدى إلا ويقهر من أمامه أيا كان ... هو فقط تخلى عن هذا كله وكرس حياته لخدمتي إكراما لذكرى والدي ثم أضاف قائلا والابتسامة لم تفارق وجهه : انه من علمني فنون القتال والدفاع عن النفس انه كزجاجه عطر حتى وإن مر عليها الزمن فما زالت تحتفظ برائحتها وعبقها ...

ابتسم الخادم موجها نظره إلى سيف الدين قائلا في حماس :

-انه دوري الآن أن أدرب هذا المقاتل الجديد

قال له اتوم:

- لن أوصيك فانا أريده جاهزا فى اقرب وقت ...

الخادم : لا تقلق يا سيدي فسوف يكون جاهزا للقتال أسرع مما تتخيل ثم وجه نظره إلى سيف الدين قائلا هيا بنا ننزل أسفل الهضبة متخذين منها ستارا يحمينا من أعين القادمين حتى لا نلفت

أنظارهم بنصول سيوفنا اللامعة ثم سرعان ما اتجه نحو الأسفل يتبعه سيف الدين حتى غابا عن أعين اتوم و حابى ...

* * *

خلع الخادم ملابسه كلها إلا من سروال قصير يرتديه فظهرت عضلات نصفه الأعلى من جسده فكان أشبه بأبطال كمال الأجسام حيث كان مفتول العضلات ممشوق القوام مشدود الجسم قوى البنيان تكاد عروق جسده تنتفض من تحت جلده خاصة عندما قام الخادم مستعرضا جسده كما يفعل أبطال تلك الرياضة

شهق سيف الدين قبل أن يقول في اندهاش :

- يا لك من بطل حقيقي.

ثم أردف ضاحكا وهو يشير إلى بطنه قبل أن يقول :

-أنني استحى أن اخلع ملابسي بتلك البطن المترهلة وبتلك العظام الخالية من العضلات ضحك الخادم ثم قال في حزم ليس لدينا وقتا للمزاح هيا نبدأ ....

بدأ الخادم في إعطائه بعض التعليمات الشفوية قبل أن يدخل في التدريب ومر كثيرا من الوقت وهم يتدربان حتى أنهكهما التعب وقال الخادم حينها يكفى هذا اليوم ولنكمل في المساء أومئ سيف

الدين برأسه موافقا ثم بدء كل منهما في ارتداء ملابسهم وصعد الخادم أولا دون أن يظهر عليه أي إرهاق أو تعب ... تبعه سيف الدين وهو يلهث فاتحا فمه حتى وصلا إلى الأعلى ...

قال اتوم موجها سؤاله الي الخادم :

- ما أخبار مقاتلنا الجديد ؟

رد عليه الخادم مبتسما:

-لا تقلق يا سيدي إنه تلميذ نجيب وسوف يتعلم أسرع مما كنت أتوقع ...

توارى سيف الدين خلف الصخرة حاملا دلوا من الماء كي يستحم خلع ملابسه كما ولدته أمه حينها تسأل وهو يسكب الماء على رأسه أي ذنب اقترفته في حياتي كان سببا في تلك الرحلة ؟ أي ذنب ؟

نظر أسفله إلى الرمل حيث تتساقط عليه ماء استحمامه ظل متابعا الرمل وهو يتشربه والحصى الذي يغوص بين فراغاته قطرات الماء وغاص معه هو الأخر فى بحر ذكرياته مرت أمام عينيه أحداث حياته السابقة كفيلم سينمائي سريع فتلك لحظات طفولة ، شباب، تخرج، عمل، زواج، أبناء، عشيقته. تغيرت ملامح سيف

الدين حين تذكر عشيقته قائلا أنها تلك الساقطة التي أغوتني بجمالها ودلالها التي أيقظت بداخلي أحاسيس المتعة الجسدية التي قد نسيتها بعد وفاه زوجتي تذكر عشيقته وهى تغويه وهى بجواره نائمة عارية وهى تهمس في أذنه بكلام الحب وهى ترتجف من المتعة وهى تصرخ من اللذة وهى تأن تحت جسده وأخيرا تذكرها وهى نائمة منهكة بعد أن انتهيا من اشباع رغباتهما تذكرها وهى تخبره في احدي اللقاءات أنها حملت منه حينها أصابه الجنون وأخذ يركل بقدمه أسفل بطنها ويضربها ضربا عنيفا مبرحا حتى نزفت وتخضبت ساقيها بالدماء منهيا حياه جنين مات قبل أن يولد

تجمعت دموع الندم داخل مقلتيه ناظرا إلى السماء داعيا من الله أن يغفر له جلس وحيدا شريدا مناجيا الله حتى طالت غيبته حينها سمع صوت الخادم يناديه من خلف الصخرة يطلب منه القدوم لتناول الطعام معهم.

ارتدى سيف الدين ملابسه وذهب إليهم حينها قال حابى:

-هيا لنتناول طعامنا حتى تناما قليلا قالها وهو يسكب بعض العسل في طبق مع بعض الجبن المالح والخبز.

بدأ الجميع في تناول الطعام في صمت كما عودهما اتوم حتى انتهيا.

اتوم : ماذا بك يا سيف الدين

سيف الدين: لا شيء... لا شيء

اتوم: ماذا تخبئ يا سيف الدين لقد اعتراك الحزن والقنوط بعد أن اختليت بنفسك خلف الصخرة

بدا سيف الدين مرتبكا وهو يحاول أن يداري ذكرياته السيئة قبل ان يقول بنبره صوت مليئة بالحزن :

- لاشيء سوي أنى كلما أتذكر ما يقول أبناء زمني أشعر بالخزي والعار فهم يرددون دائما ليل نهار بان أجدادهم ثم أشار بكلتا يديه نحوهم هم قوم اقرب إلى الكفر من الإيمان متعددي الألهه... وثنيين ...

ثم أردف قائلا وهو ينظر إلى الأرض:

-قوم جبارين اشتركتم مع فرعون في إيذاء موسى النبي الصالح وقومه من المؤمنين ثم بكى ...

لا يدرى سيف الدين عله لبكائه أكان يبكى حقا لتلك الأكاذيب التي يكررها الناس في زمنه ليل نهار ... ؟ أم كان يبكى

ندما على ما اقترف من ذنب في حق نفسه وفى حق عشيقته وفى حق ابنه الذي كان سببا في وفاته ... ؟

ربت اتوم علي كتف سيف الدين ثم قال قي صوت مليء بالود:

-يا بني لا تبكى ولعلك أتيت إلينا لتكون شاهدا ودليلا على ما نحن فيه من اضطهاد وبؤس وشقاء فنحن لا ناقة لنا ولا جمل فيما يحدث لذلك النبي الصالح حتى انه يوجد عدد كثير من المصريين الذين امنوا بموسى عندما لاقوه أما نحن فلم يتسنى لنا لقائه ولكنى أعاهدك أننا حينما نراه سوف نسجد له ونقبل قدمه.

ثم أضاف قائلا وهو يمسح بعض الدموع التي تجمعت داخل عينيه :

-أنه مبعوث الإله الواحد الأحد الذي أتى بأمر من السماء ليخرج قومه من ظلمات الكفر لنور الإيمان فنحن ليس لنا في هذا الصراع دور إلا أن الله اختار أرضنا لتكون عليها تلك الصراعات أما ما يقوله أحفادنا من أننا وثنيين فهذا دورك أن تخبرهم عندما تعود إليهم أننا لسنا كذلك فالتعددية عندنا ليست تعدد ألهه بل تعدد ملائكة فنحن على شريعة خنوخ النبي ... نعيش ونتعايش ونعبد الله على سنته ومنهاجه فمنذ أن خلق الله الإنسان والصراع

قائم بين الخير والشر فهذا اتوم ونسله من ناحية وست و نسله من ناحية أخرى حتى إن اتوم أو ادم كما تقول عليه قد أغواه ست أو الشيطان كما تلقبوه وإن كنا كفارا لماذا دعا نوح لحفيده مصراييم بن حام حفيد الأكرمين "نوح" والد أبيه و " قليمون الصالح " والد أمه والد الإباء المصريين قفطيم و أشمون واتريب وصابى حيث دعا نوحا له حين نادي على حام فقام مصرايم يجبه قائلا يا جدي قد أجبتك إذ لم يجبك أبى ولا احد من ولدك أجابك فاجعل لي دعوه من دعائك فقال اللهم انه قد أجاب دعوتي فبارك فيه وفى ذريته واسكنه الأرض المباركة التي هي أم البلاد وغوث العباد التي نهرها أفضل انهار الدنيا واجعل فيها أفضل البركات وسخر له ولولده الأرض وذللها لهم وقوهم عليها ...

تمتم سيف الدين قائلا :

-لذلك سميت مصر أم الدنيا

اتوم : ماذا تقول ؟!

سيف الدين : لا شيء... لا شيء يا سيدي ثم أردف قائلا: أنا أسف لمقاطعتك و لكنى تذكرت شيئا ثم قال فلتكمل يا سيدي

قال اتوم : لقد باركه الله وسخر له جده قليمون والد أمه فعلمه كل علوم الدنيا وقتها فبنوا المدن هو ومن معه وزرعوا الحقول وشيدوا السفن وقطعوا الصخور وشيدوا بها المعابد وتكاثر نسله حتى إننا قد لقبنا بالمصريين نسبه إلى مصراييم حفيد نوح الذي اختصه جده النبي بالدعاء ...

سيف الدين:

- و ماذا كان اسمنا قبل ذلك يا اتوم هل كنا بلا اسم ؟

ضحك اتوم ضحكه بصوت عالي حتى أشار إليه حابى بالسكوت خشيه أن تلفت ضحكاته احد من الجنود الذين يجوبون الصحراء ليل نهار حتى قال اتوم :

-قبل ان تسمى مصر مصرا كان اسمها ايكبت أي الأرض السمراء نسبه إلى لون طميها الذي يأتي مع الفيضان فيتركه حول ضفاف النهر يغزو به الصحراء فيتحول لون أراضيها من الأصفر إلى الأسود الخصيب الذي يتلكك كي ينبت ويخرج زرعه ثم بعد ذلك تحول اسم الايكبت إلى كيبت ومن ثم قبط وهناك من ينسبون هذا اللفظ إلى قفطايم بن مصرايم ولكن قفطايم تسمى على اسم الأرض السمراء وليست الأرض هي التي سميت عليه فكل بني

الإنسان في أرجاء المعمورة يسمونها قبط أو ايكبت أو اجبت أو ايجبت فكلها لاسم واحد يختلف نطقه من بلد إلى بلد فنسلنا ونسبنا قبط و بلادنا مصر فلا يعقل أن يترك الإله بلدا مثل مصر دون اسم حتى الطوفان فنحن أقدم من التاريخ ولكن من الممكن أن يتجاهل أو يتأخر التأريخ ثم سأل سيف الدين هل رأيت الأهرامات من قبل ؟

تذكر سيف الدين سؤالا كان دائما يدور في خلده لماذا أطلق على هاجر زوجه سيدنا إبراهيم عليه السلام "هاجر المصرية" بينما أطلق على ماريا زوجه سيدنا محمد صلى الله عليه و سلم "ماريا القبطية"

اتوم : هل عدت مره أخري إلى ذكرياتك يا سيف الدين ؟!

سيف الدين : لا لا أنا معك يا سيدي ...

اتوم : لماذا لم تجب على سؤالي ؟

سيف الدين : معذرة يا سيدي ولكنى افقد تركيزي كل فتره دون قصد...

اتوم : لا عليك سوف أكرر السؤال هل رأيت الأهرامات من قبل ؟

سيف الدين مستنكرا :

- وهل هناك احد لم يراها ؟

اتوم : أنها هنا منذ ألاف السنين مشيرا بيده نحو الغرب ثم أضاف قائلا تلك الأهرامات شاهدة على قدم حضارتنا بكل ما تحتويه من علوم الدنيا والدين فعلى حوائطها سطر التاريخ كتاباته فالأهرامات شيدت منذ ألاف السنين لرؤية رآها احد الصالحين القدامى حيث رأى أن هناك هلاكا قادما سوف يصيب الأخضر واليابس والمعابد والمنازل فخاف على مصادر العلوم الموجودة آنذاك فنصح الملك وقتها ببنائها لتحفظ جسده حين موته وأيضا لكي يدفن بداخلها العلوم النفيسة ليستفيد منها الأحفاد وبالطبع أكيد جيلكم من تلك الأجيال التي استفادت من تلك العلوم ؟ تجاهل سيف الدين سؤاله فماذا يقول له أيخبره بما فعل الأحفاد بتراث الأجداد من إهمال وتجاهل حتى إن بعض منعدمي الضمير يفتتون صخور الأهرام ليبيعوها بثمن بخس أم يقول له أن على جدران المعابد يكتب الأحفاد ذكرياتهم الرومانسية ويرسمون عليها قلوب وأسهم مع أول حرف من اسمه واسم حبيبته تجاهل سيف الدين سؤال اتوم متعمدا حتى لا يصبه كلامه بسكتة قلبيه ..

أكمل اتوم حديثه قائلا :

- بالطبع إنكم تعلمون في مدارسكم لغتنا من هيروغليفيه والهيراطيقية والديموطيقيه ...أليس كذلك يا سيف الدين ؟ قال اتوم مجيبا على سؤاله بالطبع نعم فان تجاهلتم تاريخكم ولم تستطيعوا فك شفراته فلن تستطيعوا أن تتقدموا فأجدادكم تركوا لكم إرثا ثريا لم تتركه اي حضارة أخرى لشعوبها كما أننا لم نتركه لكم عبثا ...

ثم أضاف قائلا في حزم :

-أن الشعوب التي تستيقظ وتعمل وتكدح بجد واجتهاد في ظلمات الكفر أنجح وأفلح من الشعوب التي تنام وتتكاسل في نور الإيمان ...

كان الجميع ينصت باهتمام لحديث أتوم حتي وجه أتوم سؤاله الي سيف الدين قائلا :

- ما الفرق بين الإنسان و الفأر ؟

ضحك سيف الدين قائلا :

-بالطبع الفرق هو العقل ...

ضحك اتوم ثم قال ساخرا :

-بالطبع لا فكل منهم لديه القدرة والتفكير على اتخاذ القرار فالفأر من الممكن أن يضع خطه للهروب من أي مفترس أو يضع خطه للحصول على طعامه فالفرق ليس في العقل بل الفرق بينهما هو أن الفأر ليس له تاريخ يستفيد منه فمن الممكن أن يلقى هلاكه بنفس الطريقة كل مره عكس الإنسان الذي يتعلم من تاريخ أبائه وأجداده.

نظر سيف الدين إلى الأرض مصدرا صفيرا من فمه محاولا الهروب من تساؤلات اتوم ثم حاول إخراج اتوم من النقاش متسائلا انك يا سيدي بالنسبة لى ككتاب مفتوح لا اعرف من أي جزء ابتدئ بسؤالك هل أسالك عن الماضي الذي نحياه ألان ام أسالك عن المستقبل الذي عشته وأتيت منه ؟

رمقه اتوم بنظره شك حادة قبل ان يقول له :انك لا تجاوبني على أسئلتي واشعر انك تريد الهروب منها ؟

سيف الدين : كلا يا سيدي ولكن لظروف انشغالي الدائم في العمل فلا استطيع إجابتك بما يريح قلبك حيث إنني غير قارئ إلا في تخصصي الطبي فقط ثم قال مشيرا إلى حابى والخادم لقد ناما ...

نظر إليهم اتوم قبل ان يوقظهم بصوت عالي أمرا إياهم بالذهاب إلى الحفرة ليناما.

ثم وجه نظره إلى سيف الدين قائلا له :

-لن اضغط عليك في أن تحكى لي ما حدث في المستقبل لتراثنا ولكن لى سؤال واحد هل تعلمون في مدارسكم لغتنا أم لا ؟

سيف الدين: لا للأسف يا سيدي

غضب اتوم قائلا :

- إذن من الطبيعي أن يتم اللعب بعقولكم و يتم تحريف تاريخكم أنها النهاية الطبيعية للجهل بالتاريخ فكما قلت الحضارة ليست مجرد حجارة يتلاعب فوقها الأطفال والمعاتيه ... الحضارة منارة يضيء نورها طريق البشر.

ثم أضاف قائلا في صرامة:

-حتى وان كنتم متدينين ملتزمين دون علم فلن ينفعكم إلا يوم الحساب أما جهلكم فسيكون خزيا وعارا لكم في الدنيا ثم أضاف في غضب العلم والإيمان هما طريقكما للتطور فعلم بلا إيمان كفقاعة تحركها الرياح يمينا ويسارا سرعان ما تنفجر تاركه لاشيء وإيمان بلا علم أو عمل ليس منه فائدة تذكر...

صمت سيف الدين متذكرا مقوله لأحد علماء بني عصره قرائها في إحدى التدوينات على مواقع التواصل الاجتماعية الحديثة كان مكتوب فيها " إن العلم بلا إيمان يمشى مشى الأعرج و الإيمان بلا علم يتلمس تلمس الأعمى " ثم قال :

-كل كلامك صحيح يا سيدي ... كلامك صحيح .

ساد الصمت قليلا قبل أن يقول سيف الدين :

-هل تعلم يا سيدي إن هناك كيان يسمى إسرائيل قامت له دوله فقط من اجل رد جميل احد علمائها

اتوم : إسرائيل ... انه نبي الله يعقوب الذي غير الله اسمه بعد أن أوحى الله إليه انه جد موسى ولكنى اعلم أنهم من البدو الرحل الذين ليس لهم مكان سوى الترجل في الصحراء لرعى مواشيهم يترحلون من بلد إلى بلد ومن مملكه إلى مملكه خلف الماء والعشب حتى وان استقروا لفترة في مكان لم يطلبوا حكما ولا حدودا فقد عاشوا في ارض كنعان سنينا مع أهلها وفي ارض مصر سنينا أخرى لم يكن بينهم و بين ساكني تلك البلاد سوى بعض المناوشات التي تدور دائما بين القبائل على المراعى و أبار المياه حتى أنهم قدموا إلى

مصر إلى أخيهم يوسف إثناء فتره المجاعة التي اجتاحت ارض كنعان ...

سيف الدين : لقد أقيمت لهم دوله محتله على ارض فلسطين

اتوم : ارض البلاستين نعم اعرفها و سكانها اليوبوسيين في مدينه "يوبوس" التي تسمت فيما بعد "اورسالم" أو "اورساليم" والكنعانيين أبناء عمومتهم سكان الساحل.

ثم أردف مستغربا:

– أن اورسالم عربيه كيف أصبحت عبرانيه ؟

سيف الدين: لم تصبح و لن تصبح ولكن هم يحاولون

اتوم : هل تعلم إن سكان اورسالم قد قدموا من الجزيرة خلال هجراتهم الكبرى من موطنهم الأصلي في شبه الجزيرة العربية ونحن جميعا نعلم إن تلك الهجرات قد حدثت نظرا لأسباب طبيعيه واقتصاديه دفعا للظمأ والتعب من ارض الصحراء والقحط منذ ألاف السنين وهى هجرات كانت تقوم بها اما قبيلة منفصلة أو عدد كبير من القبائل مع بعضهم ثم أضاف تلك كانت هجرات بمعنى الكلمة وليست هجرات موسميه مثل رحلات الشتاء والصيف التي يقوم بها العرب بين اليمن وكنعان ثم يعودوا

أدراجهم إلى ديارهم مره أخرى ثم أضاف متسائلا مستنكرا :هل كان العرب في عداد الأموات حين اغتصبت أرضهم ؟

صمت سيف الدين لحظات قبل أن يقول له في حنق لقد اقنعوا العالم اجمع بحقهم التاريخي والأبدي في تلك الأرض حتى استقطعوا ارض فلسطين معطينهم إياها على طبق من ذهب حتى ان هناك من قال "ارض بلا شعب لشعب بلا ارض" حتى أصبحت تلك الجملة اللعينة على كل لسان البشر يرددونها ليل نهار حتى اقنعوا العالم اجمع بان ارض فلسطين أرضا مهجورة بلا شعب وشعب إسرائيل ليس له ارض فتم تسكينهم في ارض فلسطين...

انتفخ وجه اتوم من الغضب حتى بانت عروق رقبته و احمرت عينيه صائحا : هل انتم عالم من الأغبياء الحمقى أم من المعاتيه ثم أشار بيديه شرقا وهو يقول : هناك ارض كنعان وأحفادهم هل تريد ان نذهب إليهم لاريك أنها ارض ذو شعب عريق ونسل كثير وحضارة متطورة ذو جيش قوى هل وصل بكم الجنون ان تمحوا شعبا ذو حضارة من على وجه الأرض من اجل كذب و تحريف البعض حاول سيف الدين ان يهدئه قائلا له : نحن نعلم ذلك

ونحارب تلك الأفكار بل ودخلنا معهم الكثير من الحروب حتى استعدنا منهم سيناء.

شد اتوم سيف الدين من أذنيه وهو يقول في غضب مستنكرا : وهل اخذوا منكم سيناء ؟

بدا الاضطراب علي سيف الدين وهو يقول :

- لق ... لق... لقد استرجعناها منهم

نظر إليه اتوم نظره غضب ولكنه تماسك ثم أضاف ساخرا لن استغرب الآن أن تقول لي أن بني إسرائيل قد قالوا للعالم بأنهم أصحاب ارض مصر والنوبة وبابل ثم اصدر من فمه صوت همهمة ساخرة ...

قال سيف الدين : بالفعل أنهم ينشرون في العالم اجمع أن أرضهم من النيل في مصر إلى الفرات في بابل حتى إن رايتهم التي يرفعونها الآن هي عبارة عن لونين ازرق بينهم تتوسط نجمه سداسيه اللون الأزرق العلوي يرمز إلى نهر الفرات واللون لازرق السفلى يرمز إلى نهر النيل وبينهم نجمه سداسيه مشيره الي قيام مملكتهم بين تلك الحدود.

قاطعه اتوم ساخرا مما يقول ثم قال له بصوت عالي مليء الفضاء المترامي نحن الآن في داخل حدود مملكه إسرائيل ثم أردف قائلا :

- بنفس النبرة هلموا يا قوم هلموا يا شعب مصر أنكم الآن لستم في مصر أنكم في ارض إسرائيل ...

دمعت عيني سيف الدين عندما رأي اتوم ينهار أمامه جاثيا على الأرض يبكى حتى أن صوت نحيبه قد أيقظ الخادم وحابى اللذان قدما مسرعين نحوه سألين سيف الدين ماذا حدث أنه أول مره نرى معلمنا في هذه الحالة ولكن سيف الدين بقى صامتا إلا من صوت نحيب وبكاء تبعهما نزول دموع غزيرة على خده حتى أفاق اتوم من صدمته ثم وجه نظره إلى سيف الدين قائلا له :

- ليتك ما أخبرتني ..ليتك ما أخبرتني

تأسف سيف الدين لاتوم راجيا منه أن يسامحه ... أستدار أتوم ناحيته وأخذ يحدق فيه ثم قال مستنكرا:

-أسامحك أنت ؟ أنت لا شيء عليك ولكن الوزر كله على من سبقك من إبائك وأجدادك بعدم التصدي لتلك الأكاذيب ثم تأسف لسيف الدين عما بدر منه شارحا له ان ما قاله لم يتحمله

طالبا منه ان يكمل حديثه ولكن سيف الدين رفض إكمال الحديث حتى لا يغضب اتوم مره أخرى حتى طلب منهم حابى ان يقوما ليرتاحا قليلا لكن اتوم أجابه انه لن يرتاح او يغمض له جفن حتى يكمل حديثه مع سيف الدين ثم طلب من الخادم يجهز له مشروبا مهدأ للأعصاب ثم نظر إلى سيف الدين قائلا له:

- اخبرني كيف استطاع بني إسرائيل إقناع العالم بأحقيتهم في تلك الأرض ؟

رد عليه سيف الدين في نبره حزن وأنين قائلا:

-على حد علمي انه منذ بدء كتابه التوراة المحرفة التي سميت بالسبعينية في عصور متاخره عوضا عن تلك النسخ الأصلية التي ضاعت في فترات السبي والشتات فمنذ كتابتها وترجمتها من العبرية والسومرية إلى اليونانية حيث لم يتوانى الأحبار في إدخال أي شيء بها تخدم معتقداتهم السياسية أكثر من معتقداتهم الدينية حتى الكذب والأساطير ادخلوها سواء عن عمد بعضهم أو جهل الآخرين الذين تأثروا بالحضارات التي احتوتهم بين جنباتها ومع اتصال العالم بعضه ببعض كان هناك شوق لمعرفه تاريخ الإنسان القديم الذي كان جزء هاما من قصص التوراة فتم اعتماد

تاريخ الإنسان الموجود فقط في التوراة المؤلفة من حاخامات اليهود دون اعتماد لأي شيء أخر حتى أصبحت نصوص التوراة المترجمة مرجع كل طالب علم باحثا في التاريخ ثم أردف في حنق : من استطاع تحريف كتاب الله لن يصعب عليه تحريف تاريخ الإنسان .

اتوم : هل سموها بالسبعينية نسبه إلى عدد من كتبها ؟

سيف الدين : بالفعل كذلك حيث اجتمع اثنان وسبعون حاخاما يهوديا في الإسكندرية أو كما تسمى الان في عصركم (رع قدت) لكتابتها حيث كانت نقطه تمركز لعدد كبير من اليهود

اتوم : بربك لا تخبرني بان (رع قدت) الآن في قبضه بني إسرائيل ؟

سيف الدين : لم ولن يحدث ... هي كانت فقط نقطه التقاء حضارات الشرق والغرب من جهة والتقاء حضارات اليونان و الرومان مع حضارات أفريقيا من جهة أخرى...

اتوم : و لكن من أين استمدوا القوه اللازمة لاقتطاع الأرض من أصحابها الأصليين وأين كنتم انتم ثم قال مستهزأ في سخريه أكنتم أمواتا حينها ؟

نظر سيف الدين الي السماء محدقا فيها وهو يقول : بعد ذلك الزمن الذي أنا وأنت فيه بحوالي ٣٥٠٠ عاما تقريبا كان هناك حربا عالميه كبرى تجتاح العالم كل الدول في حاله تناحر حتى إن قتلاها لا يعد ولا يحصى.

اشتركنا نحن مع بلاد المنطقة في دعم دول تسمى دول الحلفاء اشتركنا بأرضنا ورجالنا وعدتنا وعتادنا حتى انتصروا بينما الإسرائيليون لم يعلنوا صراحة مشاركتهم علانية مكتفين بالعمل سرا ...

اتوم : افهم من ذلك أنهم قد أمسكوا العصاه من المنتصف حتى لا يحسب عليهم شيئا يضرهم فيما بعد ؟

هز سيف الدين رأسه مؤكدا علي صحة استنتاج أتوم ثم قال :

-بالفعل كذلك ... ثم أكمل بصوت حزين كان الوضع الطبيعي أن يتم منحنا نحن بعض المزايا ولكن الدول المنتصرة لم تمنح مزاياها إلا لإسرائيل فقط ...

تقوس حاجبي اتوم وقال مستغربا : كيف هذا يعاقبون من تعاون معهم ويجازون من لم يساعدهم ؟

شبك سيف الدين اصابع يديه مع بعضهما البعض مصدرة صوت طقطقه وهو يقول :

-لقد وقفت بجوار إسرائيل الدول العظمى المنتصرة آنذاك ردا لجميل شخص واحد فقط ... شخص واحد فقط ثم أردف في صوت حزين شخص واحد فقط...

قال اتوم متعجبا :

-شخص واحد فقط !

سيف الدين : لا تتعجب يا سيدي بالفعل شخص واحد فقط استطاع أن يقنعهم ببناء دوله لهم وأن يتجاهلوا دول كاملة وشعوبا بأسرها شاركت بكل غالى ونفيس لمساعدتهم ولكن مساعدات وتضحيات لم تزد من وضع فاعليها إلا الخسائر والويل والثبور حيث خسرنا المال والأرض والجنود دون أن تتحرك في رأس المنتصر شعره واحده لمساعدتنا

اتوم : شخص واحد حقق ما عجزت عن تحقيقه دول مجتمعه كيف هذا ؟

سيف الدين: نعم يا سيدي شخص واحد فقط استطاع بإيمانه بقضيته وبعلمه وبعمله من أن يحقق ما لم تستطيع القيام به عده دول وممالك مجتمعه

اتوم : أحكى لي ماذا فعل ذلك الشخص ؟

سيف الدين : بينما كانت الحرب على أشدها كان هناك جيش مملكه تسمى بريطانيا العظمى يحارب جيش دوله أخرى تسمى ألمانيا وكان الجيش البريطاني في حاجه ماسه للذخيرة حتى أنهم كانوا على وشك اقتلاع الغابات والمحاصيل الزراعية من اجل إنتاج تلك الذخيرة والمتفجرات مما كان سيتسبب في إدخال البلاد في مجاعات عنيفة إلا أن هذا الشخص الكيميائي الذي يسمى " حاييم وايزمان " بعلمه استطاع أن يصنع مادة بكميات كبيره ... ماده تسمى الأسيتون النى استخدمت في إنتاج تلك الذخيرة والقنابل وأعطى بريطانيا العظمى كيفيه وطريقه تصنيعه وبالفعل صنعوا منه كميات كبيره حتى كانت لهم الغلبة في الحرب واكتشافه هذا قربه من ملكه البلاد وكل قيادات الدولة العسكرية حتى عرضوا عليه مكافئه ماليه كبيره إلا انه رفض المال طالبا منهم إعطاءه وطنا لبنى قومه من اليهود المشتتين هنا وهناك وبالفعل قد

تم له ما اراد عن طريق وعد " بلفور " وأصبح أول رئيس للكيان العبري المحتل لارض فلسطين بعد ذلك.

اتوم : وماذا فعل بعد ذلك ؟

سيق الدين :لقد أوقف كل نشاطاته العلمية مكرسا حياته لبناء الجامعة العبرية لخدمه بني جلدته

اتوم : انه العلم انظر كيف حصل هذا العالم بمفرده على تلك المميزات بعلمه بينما انتم كمن يحرث ماء البحر أضعتم طاقتكم وأموالكم وأرضكم دون مقابل ثم كرر انه العلم العلم يا سيف الدين ...

نظر سيف الدين الي الارض بعد ان تغيرت تعابير وجهه حيث قد اكتست بالحزن خوفا من أن يصاب أتوم بصدمة عصبية من هول ما سمعه منه ثم قال محاولا التخفيف عنه :

-لقد أغضبتك بحديثي ولكنى والله لم اقل إلا الحقيقة دون أي زيف أو كذب.

قال اتوم أنا اعلم انك لا تقول إلا الحقيقة ثم أردف قائلا : ليتكم اتخذتكم من تاريخكم موعظة كنتم على الأقل سوف تمنعوا تكرار تلك الفترات من الذل والاضمحلال ثم سكت بعد ان أشار

له الخادم الذي كان ينصت إليهما جيدا وانبطح أرضا و تبعه كل منهم ثم أشار لهم نحو الصحراء حيث كان هناك غبارا كثيفا هذه المرة مع وقع أقدام خيول تهز أرجاء المكان نظر كل منهما إلى القادمين الجدد ولكن هذه المرة كان القادمين من الاتجاه الأخر المعاكس حيث كانوا خارجين من ناحية ارض جاسان نحو الصحراء استغرق مرورهم كثيرا من الوقت حتى اختفيا عن الأنظار تاركين خلفهم غبار خيولهم وهنا قال حابى : إن الوضع غير مطمئن بالمرة فهذا العدد يدل على أن هناك أوضاع مريبة ثم نظر إلى اتوم سائلا : أليس هناك طريقه لمعرفه ما يحدث ...!؟

نظر إليه اتوم نظره أسف ثم قال معقبا :

- نحن هنا محاصرون ففي نزولنا هلاك وفي استمرارنا شقاء ثم نظر إلى السماء داعيا رب السماء أن يلطف بهم وبمن معه حتى قال له الخادم سيدي فلتخلد قليلا إلى النوم أنت وسيف الدين لتستجمعا قواكم فربما احتجناها قريبا أومئ اتوم رأسه بالموافقة طالبا من سيف الدين النزول معه إلى الحفرة حتى يناما نزل اتوم و تبعه سيف الدين الذي قال له : لو عاد ني الزمن إلي عصري وخيرني احدهم بين القيام بتلك الرحلة إلي زمانكم او البقاء علي ما

كنت عليه ما كنت سأتردد لحظه في القدوم الي هنا ... ابتسم اتوم ثم قال له : أنت مخير فيما تعلم مسير فيما لا تعلم ميسر لما خلقت له.

سيف الدين : كم من المرات كنت اسأل نفسي هذا السؤال فلما يحاسبنا الله إن كنا مجبرين على ما نفعله ...

أتوم : لابد من الإيمان بالقدر خيره وشره فأنت مسير وميسر من تلك الناحية دون أن تخرج عن قدر الله وأيضا في نفس الوقت مخير حيث أعطاك الله عقلا وإدراكا ومشيئة

سيف الدين : إي أنا ميسر من جهة قدر الله ومخير من جهة ما أعطاه الله لي من عقل وإدراك ومشيئة

رد عليه اتوم قائلا :

-بالفعل ...

ثم قال وهو يتثائب :

- لي عندك سؤال ...

سيف الدين : على الرحب والسعه تفضل سل ما تشاء ...

اتوم : أنى أحببت موسى النبي و لكن يراودني شعور مختلف تجاه قومه هل لك من تفسير؟!

سيف الدين : انه نفس الشعور الذي لدى لكنى ابغضهم لما فعلوه مع موسى وغيره من الأنبياء الذين تلوه أما أنت فلا اعلم لماذا تبغضهم وأنت لم ترى منهم أي شيء سيء حتى الآن ..؟

اتوم مكررا جمله سيف الدين متسائلا :

-" تبغضهم لما فعلوه مع موسى و الأنبياء الذين تلوه " ماذا فعلوا ؟

سيف الدين : أنها لقصه طويلة..

اتوم : بربك قصها على..

سيف الدين : عندما نجي الله موسى النبي وقومه من فرعون و جنوده وسار بهم نبي الله موسى إلى سيناء ارض عباده اله القمر سين ورأوا تماثيل الألهه وكيف يذبح القوم لتلك الأصنام ويسجدون لألهه يرونها جاءوا إلى موسى النبي و قالوا له : اجعل لنا إلها كما لهم ألهه فغضب موسى غضبا شديدا و قال لهم : أنكم قوما تجهلون إن هؤلاء متبر ماهم فيه وباطل ماكانوا يعملون ثم قال أغير الله أبغيكم إلها وهو فضلكم على العالمين ؟

وسار موسى ببني إسرائيل صوب الأرض المقدسه ولكنهم قالوا أنهم لا يستطيعوا أن يدخلوها لأن فيها قوما جبارين وقرروا

حينها أن لا يدخلوها حتى يخرجوا منها حتى أنهم قد تعالوا في رفضهم لأمر الله قائلين يا موسى إنا لن ندخلها ماداموا فيها فأذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون.

فغضب موسى منهم قائلا:

- رب إني لا املك إلا نفسي وآخى فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين فحرم الله عليهم الأرض المقدسة أربعين سنه يتيهون في الأرض.

اتوم : وماذا حدث بعد ذلك...؟

سيف الدين: راحوا يبحثون عن الماء فلم يجدوا فجاءوا إلى موسى يفزعون إليه فأمره الله أن يضرب بعصاه الحجر فتفجرت منه عيون بقدر عدد قبائلهم الاثني عشر لكل منهم جدول خاص يأخذون منه حاجاتهم ولا يشاركهم فيه غيرهم وأحسوا بالجوع فهرعوا إلى موسى يلتمسون الطعام فدعا موسى ربه أن يطعمهم فساق إليهم أسراب المن والسلوى حتى ضجر كثير من بني إسرائيل بحياتهم الجديدة وقالوا يا موسى لن نصبر على طعام واحد فادع لن ربك يخرج لنا مما تنبت الأرض من بقلها وقثائها وفولها وعدسها وبصلها

اتوم : أيستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير ..؟

سيف الدين : هذا ما قاله موسى لهم بالفعل وقال لهم أيضا اهبطوا مصرا فان لكم ما سألتم ثم بعد ذلك ذهب موسى إلى ميقات ربه وكان قد وعد قومه ثلاثين ليله فلمها أتمها بعشر و انقضت تلك الليالي ولم يعد بعد جاءهم السامرى وقال لهم : إن موسى قد احتبس عنكم وأنه ليس براجع إليكم فينبغي لكم أن تتخذوا إلها أخر وفكر بنو إسرائيل فيما يقول السامرى فوجدوه يصادف هوى في نفوسهم وجاءهم السامرى بعجل له خوار صنعه من الذهب الذي قد سرقوه من حلى المصريات ليله خروجهم

قال اتوم متعجبا :

- سرقوا ذهب وحلى المصريين ثم قال ساخرا:

- أهكذا يكون رد الجميل لمن استضافوهم ؟!

سيف الدين : هذا ما حدث بالفعل

اتوم : وماذا حدث بعد ذلك ؟

اجتمع القوم يعبدون العجل والسامرى يقول لهم :

-هذا إلهكم و اله موسى ..

حتى ان هارون اخو موسي كان موجودا بينهم ولكن لم يكن لديه حول ولا قوه سوي مخاطبتهم حيث كان يحذرهم دائما ويقول لهم : يا قوم إنما فتنتم به وإن ربكم الرحمن فاتبعوني وأطيعوا أمري

قالوا: لن نبرح عاكفين حتى يرجع إلينا موسى.

اتوم مستنكرا :

-نجاهم الله من فرعون فيحمدونه بعباده عجل ياهم من قوم سوء...!

سيف الدين : هذا ما حدث بالفعل حتى رجع موسى إلى قومه غضبان أسفا فسمع أصوات عزف فانطلق إلى الصوت فوجدهم يرقصون ويغنون حول العجل فقال في غضب :

-بئسما خلفتموني من بعدى أعجلتم أمر ربكم...!؟

ثم القي الألواح التي بها أوامر الله وقال لهم :

- يا قوم الم يعدكم ربكم وعدا حسنا ؟ أفطال عليكم العهد أم أردتم أن يحل عليكم غضب من الله فأخلفتم موعدي ...

أتوم : وماذا حدث بعد ذلك ؟

قال موسى لهارون معنفا اياه :

-يا هارون ما منعك إذ رأيتهم ضلوا أفعصيت أمري ؟

ورد عليه هارون :

– يا أبن أمي أن القوم أستضعفونني وكادوا يقتلونني فلا تشمت بي الأعداء ولا تجعلني مع القوم الظالمين

اتسعت عينى أتوم مذهولا مندهشا قبل ان يقول :

–قبحهم الله يريدون قتل أخو نبيهم ...

سيف الدين : أنه ليس فقط اخو نبيهم بل هو ألآخر نبيهم

أتوم : يا لهم من حمقي ! وماذا حدث بعد ذلك يا سيف الدين ؟

سيف الدين : قال موسى لأخيه وهو غاضب : هل قاتلتهم إذ علمت أنى لو كنت فيهم لقاتلتهم على كفرهم ؟

فرد عليه هارون قائلا :

–يا ابن أم لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي أنى خشيت أن تقول انى فرقت بين بني إسرائيل ولم ترقب قولي.

اتوم : لا بد أنهم تابوا ولم يعودوا مره أخرى لعصيانهم وفسادهم بعد تلك المرة.

ضحك سيف الدين قبل أن يقول :

–لقد خاب ظنك يا سيدي فقد قالوا لموسى لن نؤمن حتى نرى الله جهره.

اتوم : يا لهم من جهله فسقه...!

سيف الدين : بالفعل هم جهله فسقه فعاقبهم الله بعد ذلك بصاعقه من السماء أصابتهم فماتوا جميعا ثم قال موسى لربه : رب لو شئت أهلكتهم من قبل وإياي ... أتهلكنا بما فعل السفهاء منا إن هي إلا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدى من تشاء ثم دعي الله أن يغفر له وظل موسى يناجى ربه حتى بعثهم الله من بعد موتهم ...

اتوم : لابد أنهم قد تعلموا من ذلك الدرس وتعاهدوا على عدم تكراره

سيف الدين : للأسف فقد خاب ظنك مره أخرى

قال اتوم متعجبا :

-ماذا حدث بعد ذلك؟

سيف الدين مستغربا :

- ألن تنام ؟ لقد كنت تتثأب منذ قليل !

رد عليه اتوم ضاحكا ساخرا:

- وكيف لي أن أنام دون أن تنهى تلك القصة ثم أردف سائلا ماذا حدث بعد ذلك ؟

سيف الدين : لقد تأمر بنو إسرائيل على موسى وهارون ودبروا انقلابا ثوريا بقياده قورح بن يصهار وقالوا لموسى و هارون : كفاكما إن كل الجماعة بأسرها مقدسه وفي وسطها الرب فما بالكما ترتفعان على جماعه الرب ؟ وعلى ما يبدوا أن تلك المؤامرة كانت جماعية فأمات الله منهم كثيرا بالأوبئة و الباقي حكم عليهم بالتيه والشتات في الأرض

اتوم : رغم أنى ابغضهم لكنى لا اصدق ما فعلوه ؟

سيف الدين : ولماذا أتجني عليهم فمستقبلكم هو تاريخي وأنا أقص عليك فقط ما حدث..!

اعتذر اتوم قائلا له :

-لا أقصد أن أكذبك ولكنى استغرب ولا اصدق أن يصل بهم العته والجنون إلى هذا الحد ...!

قال له سيف الدين وهو يتثائب وماذا لو أخبرتك بما فعلوه بباقي الأنبياء الذين أرسلهم الله إليهم ؟

ضحك اتوم قائلا مهما تثأبت فلن أتركك تنام أو ترتاح إلا بعد أن تكمل لى قصتهم مع باقي الأنبياء فانا متشوق لمعرفه أخبار هؤلاء الحمقى والمغفلين ...

سيف الدين : لن أنام قبل أن أخبرك فما أنا إلا تلميذ في محرابكم مهما أخبرتك من أشياء تجهلها فلن أوفى شيئا مما أخبرتني به.

ثم أردف قائلا :

- لقد قتلوا اشعيا النبي بعد أن كان يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر حتى أنهم نشروه الي نصفين بمنشار الخشب وارميا النبي أيضا حبسوه وعذبوه وقتلوه ودانيال النبي هرب منهم إلى ارض مصر فما تركوه إلا قتيلا وهكذا فعلوا فى حزقيال وعاموص كل تلك الدموية لا تعتبر شيء يذكر بالنسبة لما فعلوه مع يحيى النبي وأبيه زكريا النبي.

أندهش اتوم قبل ان يقول :

-ماذا فعلوا أيضا ...؟ الم يكفهم كل تلك الدماء الذكية الطاهرة ؟

سيف الدين :انهم قوم فسق وفجور فهذا نبي الله زكريا شيخ عجوز تقي متعبد دعا ربه ذات مره قائلا أنى وهن العظم منى واشتعل الرأس شيبا ولم أكن بدعائك رب شقيا وإني خفت الموالى من ورائي وكانت آمراتي عاقر فهب لي من لدنك وليا يرثني ويرث

من أل يعقوب واجعله رب رضيا حتى سمع صوت عذبا يقول : يا زكريا أنا نبشرك بغلام اسمه يحيى لم نجعل له من قبل سميا وخرج زكريا على قومه في المحراب يفيض وجهه بالبشر ودون أن يحدثهم إلا رمزا أمر قومه أن يسبحوا الله بكره وعشيا فاستجاب له ربه ووهب له يحيى بعد طول اشتياق وولع ودعاء ...

ثم قال في نبره صوت مليئه بالحزن :

-انه يحيى أو يوحنا هذا الرجل المتبتل المتعبد شديد الخوف من الله ومن عقابه والذي لم ينسى أبدا تلك البلد التي يعيش فيها قد ملئت بالفحشاء والكفر والعصيان وكانت دائما تلك الأراضي القريبة منه ارض سدوم التي خسف بها وبأهلها بسبب فسادهم وإفسادهم حتى انه دائما ما كان يقول لبنى إسرائيل الذين تمادوا في الخبائث ومع ذلك يظنون أنهم هم الوحيدون " شعب الله المختار " إن الله قادر أن يقيم من هذه الحجارة أولادا لإبراهيم ويذكرهم دائما بان الله قادر على أن يستبدلهم إذا استمروا فيما هم فيه من جهل واستكبار ومعاصي.

وكان من أقواله أيضا "انتم الذين تختبئون في بيوت من حجارة كما تختبئ الأفاعي في ثقوب الأرض وشقوق الصخور ألا أنكم

بالحقيقة أيها الفريسيون والصدوقيون لأصلب من الحجارة فان عقولكم متحجرة بحروف الشريعة وطقوسها الرثة الباليه "

اتوم : من هم هؤلاء الفريسيون والصدوقيون يا سيف الدين ؟

سيف الدين : هم الطبقات الغنية الحاكمه من شعب اسرائيل المتحكمين فى مصائر الناس وقراراتهم.

اتوم : ياله من رجل شجاع يتحدى الحكام والاغنياء من اجل ما يؤمن به ثم اردف قائلا : أكمل ... أكمل يا سيف الدين.

سيف الدين : كان يحيي دائما ما يذكرهم بان الله كما خلق ادم بحفنه من تراب قادر على أن يقيم من حصى الشواطئ ومن حجارة الطريق ومن صخور الخلجان رجالا أحياء وأبناء مختارين لنفسه سواهم وانه قادر على أن يحول الصوان إلى لحم و روح مثلما حولوا اللحم والروح إلى حجارة وصوان وكان أيضا دائما ما يقول لهم جددوا حياتكم واصنعوا عكس ما كنتم تصنعون فيما مضى من عمركم وإلا فأنكم ستلتهمون بنار ذلك الذي يأتي من بعدى.

وكان دائما ما يحثهم على البر والتقوى فذات مره قال لهم :

-" من له ثوبان فليعط من ليس له ومن له طعامان فليصنع كذلك "

و قال لهم أيضا :

-" لا تظلموا أحدا ولا تفتروا على احد واقنعوا بما قدم لكم "

اتوم : لقد كذبت على يا سيف الدين ؟

استغرب سيف الدين مما قاله اتوم حتي احمر وجهه مع ازدياد كميه الدم المتدفق إليه قبل ان يقول في إضطراب :

- فيما يا سيدى ؟

اتوم : لقد اخبرتنى أنك لا تقرءا الا فى مجال تخصصك الطبي وها انت ذا لم تتحدث فيه قط وكل ما تحدثنا فيه كان فى التاريخ ... يبدوا عليك أنك قاريء جيد للتاريخ

أبتسم سيف الدين وهو ينظر الي اتوم قبل ان يعقب قائلا :

-معذره يا سيدي أني قد كذبت عليك فقط لأنى خفت عليك وعلي أعصابك أن تصاب بصدمه لو أكملت لك ما فعلوه

أتوم : أعذرني يا سيف الدين حيث لم استطع منع نفسى من الغضب حينها ...

سيف الدين : لا عليك يا سيدى

أتوم : ألن تكمل لي قصه الرجل الصالح ؟

سيف الدين : على الرحب والسعه يا سيدي

اتوم : تفضل .. كل أذان صاغية

سيف الدين : كان في زمن ذلك العبد الصالح ملك على أورشليم يدعى فيليبس وزوجته هيروديا وبنته سالومى كانت هيروديا زوجه ملك أورشليم على علاقة أثمه بأخو زوجها هيرودس حتى فكرا ودبرا وقتلا فيليبس وأصبح هيرودس زوجا لهيروديا وملكا على أورشليم فعلم يحيى بما حدث فغضب غضبا شديدا واخذ يردد أن هيروديا لا تحل له واشتد في توبيخهما في كل مكان يجلس فيه حتى علمت هيروديا بما يقول فراحت تحرض هيروديس لقتله ولكنه كان يتريث هيبة منه وخوفا من أتباعه وأمر جنوده بإحضاره .

ثم قال له :

-ألا تكف عنا ؟

يحيى : حتى تكف عن معصية الله

هيروديس : و كيف ؟

يحيى : أن تهجر الفاجرة

فقالت هيروديا في غضب شديد :

– اقتلوه ... اقتلوه ... اقتلوه

وسأله هيروديس : ولماذا اهجرها ؟

يحيى : لأنها لا تحل لك...

فخاف هيروديا من قتله واكتفى بإلقائه في غيابه السجن وبعد فتره أمر الملك سالومى بنت فيليبس بأن ترقص فرفضت وكان متيما بحبها وبحب رقصها الأباحي الوضيع هي وأمها فقال لها : إن رقصتي سأعطيك ما تريدى بعد أن اقسم لها فتذكرت يحيى السجين حيث إنها قد راودته عن نفسه من قبل فأبى فقالت للملك أريد رأس يحيى في طشت من فضه ففرحت هيروديا وقالت أحسنتي الطلب يا ابنتي ولكن ملك أورشليم زوج والدتها رفض فذكرته بوعده وبقسمه وتحت ضغط من سالومى وأمها العاهرتين الداعرتين أمر الجنود بقتله والإتيان برأسه على طبق من فضه رغبه في إرضاء الفاجرات سالومى و أمها.

اتوم : يا لهم من فسقه فجره يقتلون عباد الله الصالحين تقربا للداعرات الفاجرات ... !

سيف الدين : ليتهم أكتفوا لقد قتلوا يحيى النبي ثم خرجوا وراء أبيه زكريا النبي حتى اختبئ منهم في شجره فنشروها إلى نصفين وهو فيها.

اتوم : كيف سيقابلون الله وفي أعناقهم وأيديهم دماء الأطهار

سيف الدين وهو يضع بعض الأعشاب المنبهة في فمه ليمضغها فقد طار من عينيه النوم رغبه منه في أن يكمل لاتوم باقي تاريخ بني إسرائيل مع الأنبياء فقال كان العبرانيون يمنحون أنفسهم من الامتيازات ما يجعلهم فوق البشر و يرون كما أخبرتك أنهم شعب الله المختار ويزعمون أن الله قد وعد أباهم إبراهيم ملكا عظيما يحكمون هم لوحدهم من خلاله جميع الأرض وجميع الشعوب.

انعقدت حاجبي أتوم إلي الأسفل مندهشا وقال في استنكار :

-يحكمون لوحدهم الارض و الشعوب ؟ انه ليس أبيهم فقط فهو ايضا أبو اسماعيل ابو العرب ونحن أخوال اسماعيل فلماذا ينحصر فيهم هم الحكم وحدهم ؟

سيف الدين : هكذا هم يفسرون عقيدتهم

أتوم : وماذا حدث بعد ذلك ؟

سيف الدين : بعد ذلك ولد المسيح عيسى ابن مريم النبي وهو قريب يحيى النبي ...

ثم أضاف قائلا :

- لقد رأى المسيح بأن اليهود قد احتكروا الأله لأنفسهم فجعلوه ألههم وحدهم وجعلوا أنفسهم الشعب المختار ولا يعترفوا بأخوة غير اليهود فجاء المسيح ليهدم أركان ديانتهم بان الله هو الإله الواحد لجميع البشر دون حكر من احد وانه ليس هناك شعب مختار وشعب منبوذ وأن الله هو الأب المحب لكل الأحياء يشملهم كلهم برعيته على السواء وأن كل الناس أخوه ولم يكن هذا المبدأ موجها ضد اليهود فحسب بل إلى النظام الذي كان سائدا في عصره نظام السادة والعبيد والأباطرة المؤلهين والحكام والمحكومين ودعي الناس إلى المحبة والإخاء وانه لا فضل لأحد على أخر إلا بالعمل الصالح وقاوم الرياء والنفاق والاتجار بأسم الدين حتى قال لتلاميذه:

-" قيل للقدماء لا تقتل ومن يقتل وجب عليه العقاب أما أنا فأقول لكم أن من يغضب على أخيه باطلا يأثم ويجزى فأن قدمت قربانك وذكرت حقا لأخيك فدع قربانك أمام المذبح واذهب فصالح أخاك "

اتوم : يا لها من تعاليم تدعوا للمحبة والسماح ...

سيف الدين : بالفعل.

ثم أستطرد قائلا حتى انه قال أيضا لتلاميذه:

- " قيل للقدماء لا تزن أما أنا فأقول لكم إن من ينظر إلى آمراه فيشتهيها فقد زنى بها في قلبه فأن كانت عينك اليمنى تلقى بك في العثرات فاقلعها وألقها عنك فخير لك أن يهلك عضو لك من أن تهلك كلك "

و قال أيضا :

-" قيل للقدماء لا تحنث وأما أنا فأقول لكم لا تحلفوا وليكن كلامكم كله نعم .... نعم ....لا ....لا وما زاد على ذلك فهو من الشيطان "

وقال أيضا لتلاميذه :

-" سمعتم انه قيل عين بعين وسن بسن وأما أنا أقول لكم لا تقابلوا الشر بالشر ومن لطمك على خدك الأيمن فحول له الأيسر ومن سخرك ميلا واحدا فاذهب معه ميلين "

ومن فظاظة قومه وسوء أخلاقهم أنهم اتخذوا من بيوت الله أسواقا للبيع والشراء حتى انه دخل ذات مره إلى المعبد واخرج الذين كانوا يبيعون ويشترون فقلب موائد الصيارفة وكراسي باعه الحمام و قال لهم :

-" مكتوب بيتي بيت صلاه يدعى وانتم جعلتموه مغارة للصوص "

وذات مره وهو واقف يعلم تلاميذه مع جمع من الناس رفعت آمراه صوتها من الجمع وقالت له:

-" طوبى للبطن الذي حملك و الثديين الذين رضعتهما ...

أما هو فقال :

-بل طوبى للذين يسمعون كلام الله و يحفظونه "

اتوم : لقد دمر بقوله هذا مقوله شعب الله المختار التي تعتمد على النسب والسلالة والدم والوراثة فقط وإن شعب الله المختار هو كل من أمن وصدق وحفظ كلام الله.

سيف الدين : بالفعل إن تلك المبادئ التي أرساها المسيح كانت السبب في حنق اليهود وتكذيبهم له وتأمرهم عليه ومحاوله صلبه ولكن ما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم حيث رفعه الله إلى السماء.

قطع حديثهم وقع أقدام خارج الحفرة مع صوت الخادم وهو يصيح سيدي ... سيدي فخرج اتوم تبعه سيف الدين متسألين ماذا يحدث فأشار إليهم قائلا :

-ان هناك قادما من الصحراء ولكن هذه المرة القادم ليس من الجنود بل راعى غنم قادما من أعماق الصحراء يقود قطيعا من الأغنام.

هنا صاح اتوم :

- هذا هو دليلنا فلنحاول إيقافه ذهب الجمع إلى المكان الذي رأى منه الخادم ذلك الراعي.

حيث قال حابى متسائلا :

- هل ننزل له ؟

اتوم : أن نزلنا فسيكون قد بعد عن هنا كثيرا ونحن ليس لدينا حصان أو حمار حتى نلحق به ...

سيف الدين : فلننادى عليه ؟

الخادم : إن نادينا عليه فربما يضطرب ويهرب فهو لا يعلم من المنادى أعدو كان ام صديق ...

قال حابى في حماس :

- انه فرصتنا الوحيدة لمعرفه أخر الأخبار ولن نضيعه بأي حال من الأحوال

اتوم : أخرج سلاحك يا حابى وصوبه نحو قدمه حاول أن تعطله دون أن تتسبب في موته ثم أردف قائلا : صوب إلى عرقوب قدمه أو إلى كتفه ثم أشار إلى خادمه وسيف الدين بالنزول معه سريعا ...

حابى : الأمر لك يا سيدي قالها وهو يخرج من جعبته سلاحه الشبيه بحرف " X" ووضع كره معدنية صغيره في القطعة المطاطية وسحب الحبل على أخره ثم تركه لتذهب قذيفته بأقصى سرعه وقوه لتسكن في كاحل قدمه اليمنى ولم تمض لحظات إلا وكان راعى الغنم مستلقيا على الأرض ممسكا قدمه المصابة ...

* * *

الفصل الحادي عشر

كوالالامبور _ ماليزيا ٢٠١٨

وصل عمر سيف الدين إلى عمله حيث أجرى بعض الاتصالات بأخيه ادهم والمهندس جلال صديق والده مستفسرا عن أي جديد قد حدث لكن أتته إجابتهم دون جدوى اخذ يتابع موقع التواصل الاجتماعي الشهير فيس بوك التي قد وضع في صفحته الشخصية وبعض الصفحات العامة عليها صوره والده مع مكافئه سخية لمن يعثر عليه او يدلى بأي بيانات تخصه او تخص اختفائه واخذ يتابع التعليقات التي كانت معظمها ادعيه من أشخاص متعاطفين معه ومع والده .... ظل مستغرقا وقتا طويلا وهو يضع صوره والده فى كل صفحه تقابله حتى جاءه اتصال من احد زملائه فى العمل يخبره بسرعة التوجه إلى المختبر الرئيسي الذي يبعد بعض الشيء عن مركز الأبحاث حيث اخبره أن هناك عطل طارئ في احد أجهزه التبريد المسئولة عن حفظ درجه الحرارة فى غرف المفاعل النووى.

نزل مسرعا آخذا سيارته متوجها إلى المختبر الرئيسي قاد سيارته بسرعة جنونية محاولا الذهاب بأقصى سرعه عكس طبيعته في القيادة التي تتميز بالتأني والهدوء لكن الأمر يبدو انه خطير جدا

لاحظ عمر أن هناك سيارة نقل بضائع تتبعه لكنه لم يلقى لها بالا حيث أن الطريق من مركز الأبحاث إلى المختبر الرئيسي يتميز بتلك النوعية من السيارات الآتية ذهابا و إيابا لنقل المحاصيل الزراعية من الحقول المنتشره على طول الطريق وما لبث إن اتخذ طريقا مختصرا في وسط الحقول الخضراء التي تنتهي بطريق ترابي غير ممهد يتصاعد دائريا حول احد المرتفعات للوصول إلى الطريق الرئيسي الواصل للمختبر ... أستمر في قيادته دون هوادة حيث لم يكف هاتفه المحمول عن الرنين طوال فتره قيادته ... ثم ضغط بشده على مكابح سيارته محاولا تخفيض سرعتها لكي تتنحى جانبا عن الطريق لكي تفسح مجالا لمرور السيارة التي يشك في مطاردتها له حتى أصبحت سيارة نقل البضائع في منتصف سيارته تماما وما لبثت أن قامت بدفع سيارة عمر سيف الدين من الناحية الأمامية لها ثم تركتها تدور حول نفسها في منتصف الطريق عده مرات قبل أن تنقلب رأسا على عقب مندفعة من الطريق الجبلي لتهوى نحو

وادي عميق مصدره صوت ارتطام قوى مع تصاعد نيران كثيفة فحمت السيارة ومن بداخلها .

❊ ❊ ❊

الفصل الثاني عشر

هرول اتوم والخادم وسيف الدين نحو موقع الراعي حيث كان رجل كهلا أبيض الشعر عينه اليسرى معصوبة كان يئن ويـتألم ولكن حينما رآهم سرعان ما دبت فيه القوة مرة اخرى ووقف على رجله اليسري مخرجا سيفا حادا من طيات ملابسه قائلا بلهجة اقرب إلى التهديد إن اقترب احد منى سوف اقتله ...

قال له اتوم : هدىء من روعك يا سيدي ما نحن إلا رعاه أغنام مثلك كنا نجلس هنا تحت سفح الجبل نرعى أغنامنا رأيناك تسقط مغشيا عليك فجئنا إليك مسرعين حتى نساعدك وها نحن كما ترى ليس معنا أي سلاح و ليس منا أي ضرر

بدء راعى الأغنام يهدىء ويطمأن وهو يفكر ويحدث نفسه : أنهم لو كانوا من قطاع الطرق ما تحدثوا إلي بهذا الأسلوب المهذب ثم أن مظهرهم وطريقه ملابسهم لا توحي أيضا بذلك ثم وضع السيف مره أخرى بين طيات ملابسه قائلا لهم :

- هل تستطيعوا مداواتي؟

رد عليه اتوم بابتسامه قائلا :

-نعم هيا استند على كتفي لنذهب إلى موقعنا ثم وضع الراعي ذراعه اليمنى على كتف اتوم وذراعه الأيسر على كتف سيف الدين تاركا القطيع المكون من أربعه من الماعز وتيس واحد للخادم ليقودهما إلى الهضبة ...

صعدا الجميع إلى الهضبة حيث كان ينتظرهم حابى مرحبا بالراعي قائلا لهم : ضعوه هنا حتى نداوى جرحه بدء اتوم وحابى في تطهير الجرح وانتزاع حبات الرمل منه ومع كل محاوله لتطهيره كان يتأوه متألمًا تلك المادة المطهرة التي كان يضعها حابي حيث كان الراعى يضغط على أسنانه مصدرا أنينا مكتوما مع كل مرة يتلامس فيه ذلك السائل المطهر مع كاحل قدمه المصابة حتى انتهي حابى بعد ان ربط الجرح بعد أن وضع قليل من الأعشاب فوقه ثم أعطى اتوم الخادم بعض الأعشاب قائلا له أغليها في الماء وحلها بعسل ثم وجه نظره إلى الراعي قائلا له :

-لا تقلق فأنت هنا في يد أمينه ...

نظر الراعي يمينا و يسارا ثم تسأل مستنكرا:

-أي أمان في هذه البقعة المهجورة ؟ أين أغنامكم التي ترعوها؟

ثم قال مستغربا:

- انتم لستم برعاة ولا بجنود ولا بقطاع طريق من انتم ؟!

نظر إليه اتوم قائلا له :

-ما نحن إلا أشخاص كتب علينا أن نترك ديارنا وأهلنا وأرضنا مضطهدين لا نريد ضررا بأحد و لا نريد أن يضرنا احد

الراعي : من يضطهدكم ؟ هل هو فرعون و جنوده ؟

اتوم : وهل هناك ظالم سواه هو و حاشيته ؟

قال الراعي مستنكرا :

-وهل انتم هنا بأمان ؟

ثم أردف قائلإ في صوت منخفض :

-أن جنود فرعون تعرف تلك الصحراء كما يعرف كل واحد منكم غرف منزله ... أنهم الملوك الرعاة يجوبون تلك الصحارى ليل نهار.

ثم سألهم مستنكرا :

- كيف لهم أن لا يلتفتوا إليكم وهم يجوبون تلك الفيافي دائما؟!

قال اتوم وهو يشير الي السماء :

-أنها عناية الله

الراعي : إذن لقد حان الآن أن أتكلم فنحن في نفس المركب...

قال اتوم متلهفا :

- تحدث اخبرني بالله عليك بما تعرف...

تنفس الراعي الصعداء ثم قال:

-أنا أجوب تلك الصحارى بحثا عن من يدلني أو يرشدني إلى موسى ورفاقه حتى أعلن إيماني به وبرسالته فانا لست راعيا ولكنى خادم في المعبد الكبير في أتريب حيث في ليله من ذات الليالي وأنا أقوم ببعض أعمال النظافة اليومية داخل المعبد سمعت الكاهن الأكبر يتحدث مع مساعده الأول يخبره فيها انه سوف يحدث حدث جلل في ارض مصر وأن الله قد بعث نبيا من العبرانيين ذو شان عظيم سوف يهز عرش فرعون ويدمر ما كان يصنع هو وقومه وما كانوا يعرشون حتى إن الكاهن ومساعديه كانوا يتباحثون في كيفيه كتم إيمانهم به خوفا من فرعون وجنوده ومنذ أن سمعت تلك الأخبار وأنا أتتبع أخبارهم واقتفى أثارهم شوقا لرؤياه فهو كليم الله الذى أتاه النبوة في طور سيناء ...

عقب سيف الدين في حماس :

- لقد شوقتنا لسماع حديثك

اتوم : لن نجهدك كثيرا فظاهر عليك التعب والإجهاد

الراعي : إن كنت تقصد تعب الطريق أو الم الجرح فهذا لا يحرك شعره من جسدي ولكنه تعب البحث عن الحقيقة ثم أردف قائلا إن هذا المشروب الذي أعطيتني إياه بدء يخدر جسدي ...

اتوم : انه عشب مهدئ ومخدر لألم الجرح ...

فتح الراعي فمه متثائبا ثم قال أريد أن أنام وما ان أغلق فمه حتى غط في نوم عميق ...

نظر حابى إلى اتوم والخادم وسيف الدين قائلا بابتسامه فرح انه رسول السماء إلينا أرسله الله إلينا ليخبرنا بما فعله السفهاء بموسى ومن امن به ثم أردف قائلا: فلنسترح قليلا حتى يستيقظ ويكمل لنا قصته فالليل على وشك القدوم.

اتوم : من أراد منكم النوم فلينم أما أنا فلن أنام ولن يغمض لي جفن حتى اعرف حقيقة ما يحدث.

حابى : سيدي إن لجسدك عليك حق

اتوم : ولعقلي أيضا حق في أن يعرف فلن يهدئ لي بالا إلا بعد أن اعرف كل شيء يدور حولنا ...

قال سيف الدين مازحا:

-انظر يا سيدي حتى الأغنام ترتاح و أنت تأبى ...

الخادم : انه سيدي كما اعرفه لن يهدئ أو ينام حتى يعلم ما يدور حوله من أحداث فلا ترهقوا أنفسكم معه حتى لا يغضب فهو الآن يفكر و يريد أن يختلي بنفسه فدعوه.

قالها ثم أنصرف ذاهبا لينام تاركا اتوم وحوله حابى وسيف الدين يراقبون غيار الصحراء الممتدة حولهم يداعب النسيم أعينهم حتى إن حابى قد نام من فرط إجهاده بينما ظل سيف الدين يقظا يسترجع ذكرياته حيث كان مشتاقا لزمنه ليس حبا فيه بل لكي يطمئن على أولاده وحفيده المنتظر حتى سمع صوت اتوم يناديه فذهب مهرولا نحوه جالسا بجواره قائلا له هل أجهز لك طعاما أو اعد لك شرابا أشار إليه سيف الدين بالرفض.

أتوم: هل تعلم أن هناك قصه منتشرة هنا تحكى على سبيل الاستهزاء من فرعون لا ندرى أكانت صحيحة أم خطأ ولكن سأقصها عليك ...

سيف الدين: تفضل يا سيدي ...

اتوم : يحكى أن شخصا من جنوب شبه الجزيرة العربية قابل مصريا فقال له مازحا " كان لدينا راعيا يعمل لدينا في رعى الغنم وجمع الحطب فلم نرضى به عبدا فطردناه فجاء إليكم فاتخذتموه ربكم الأعلى " ثم أردف قائلا لا احد يستطيع مهما وصل من السلطة والجبروت أن يسال هذا الطاغوت عن فصله أو أصله وأنا متأكد انه مثلما جاء هو وقومه في غفلة من الزمن سيذهبون أيضا في غفلة من الزمن ولكن هي مسألة وقت وكل تخوفي أن أموت قبل آن افرح بهلاكهم ...

قال سيف الدين بلهجة اقرب إلى الدعاء العمر الطويل لك يا سيدي فلن تموت إلا بعد أن تشاهد هلاكه ثم قال محدثا نفسه في استغراب كيف لم نتوصل في زماننا بكل ما أوتينا من علم ومن تكنولوجيا لأجابه من هو فرعون موسى كيف ؟ ثم قال بنبرة صوت مليئة بالشك:

-أن موسى وهارون عبرانيين فبأي لغة تحدثا مع فرعون إن تحدثا معه بالعبرانية فهو مثلهم من بني جلدتهم ... بالطبع لم يتحدثوا معه بالمصرية فهي ليست لغتهم حتى إن هارون طوال حياته يجوب البرية ولم يختلط بالمصريين ولا يعلم لغتهم فهل

تحدثوا معه بواسطة ترجمان ولكن كيف والله لم يرسل رسولا إلا بلسان قومه حتى لا يكون هناك سوء فهم أو حجه أمام الله بأنهم لم يتبين لهم ما يقول ولكن هو التزوير والتحريف من قبل اليهود من اجل سياسات دنيويه دنيئة حرفوا دينهم وحرفوا تاريخنا أوهمونا بأن أجدادنا عباد أوثان وأنا هنا لا أرى إلا إيمان صافى نقى يشع من قلوب هؤلاء البسطاء وهذه التماثيل ما هي إلا كمثل صور فوتوغرافيه شيدوها حتى لا ينسوا عظمائهم وأسلافهم الصالحين لقد فعل بني إسرائيل كل ذلك من اجل أن يقنعوا غيرهم بأنهم شعب الله المختار وإن باقي الشعوب خلقت لخدمتهم حتى أنى قد قرأت التوراة مرارا وتكرارا ولم يذكر فيه أسماء رفقاء فرعون هل هم من أزالوهم من كتبهم حتى لا يكون دليلا على وجود كفار من بينهم وليقنعوا غيرهم بأنهم أبناء الله الصالحين لا يوجد بينهم طالح ويحملون كل الأوزار والأفعال المشينة لفرعون فقط.

اتوم : اشركنى معك في حوارك ؟

سيف الدين : لقد بدء عقلي يبصر أشياء ظننت أنها نقاط ضعف في تاريخنا.

ثم سأل نفسه مستنكرا بصوت مسموع :

-إن كان فرعون مصريا هو وامرأته لماذا لم يسميا موسى باسم مصري مثل حور أو ايزيس أو حابى واختاروا له اسم عبراني ؟

اتوم : من الأولى أن تسأل أبناء جيلك هذا السؤال يا سيف الدين.

ثم قال ساخرا:

- فهل يصح أن تطلق ملكه مصر زوجه فرعون المعظم على وليدها أو من تتبناه اسم من أسماء عبيدهم العبرانيين أم تطلق عليه اسم من أسماء المصريين.

ثم أضاف قائلا:

-يا سيف الدين أن اسم زوجه فرعون هو أسيا ثم رددها قائلا أسيا..أسيا يا سيف الدين و نحن لا نعلم معنى لتلك الكلمة إلا أنها تلك المنطقة التي بها أراضى الحيثيين والعموريين والفينيقيين والكنعانيين والعرب أي انه اسم ليس مصريا انه اسما أسيويا لا تحتاج أي ذكاء لمعرفه معناه.

ثم قال متسائلا:

- يا سيف الديت الم تسمع بقصه قدوم قوم يوسف الى مصر ؟

سيف الدين: بلى نحن نعرفها جيدا

اتوم : انه أول استقرار لبنى إسرائيل داخل مصر كان في هذه الفترة وقبل ذلك كان مجيئهم إلى مصر فقط كبدو يسكنون الخيام في الصحراء يجوبونها خلف مواشيهم وأغنامهم وعندما تأبى الأرض أن تجود عليهم بحشائشها ونباتاتها يزيلون خيامهم قاصدين مكان أخر أو يأتوا للحصول على عطايا الملوك في فترات جدبهم وفقرهم أما خلاف ذلك فكان ليس لهم مكان مستقر أو حضارة خاصة بهم أو فن يتميزون به عن غيرهم حتى لغتهم ما هي إلا بقايا لغات كنعانية حتى إنها تتشابه مع الفينيقيه والعمونيه والمؤابيه حتى وأن العرب يقولون أن العبرية هي بنت العربية ...

سيف الدين : بالطبع أنا اعرف أن هناك تقارب ولكنها المرة الأولى التى اعرف أن العربية هي أم العبرية فأنا في عصري اعرف أنهم يقولون على الأرض المقدسة ان اسمها جورشاليم و العرب تقول أنها أورشليم وهم يقولون على ضمير الجمع للمتكلم نخن والعرب تقول نحن حتى أنهم يقولون ان اورشاليم هي لهم وعاصمتهم الأبدية

احمر وجه اتوم غاضبا قائلا ألهذا الحد وصل بهم الزيف و الكذب ولكنه ليس خطأكم وحدكم بل خطأ اولئك العرب الذين

فشلوا في إقناع غيرهم ثم أردف قائلا هل تعلم يا سيف أن اورسالم تلك آوكما يقول العبرانيين جورشاليم من بناها هم العرب اليوبوسيين فى ارض البلاستين من قبل أن يأتي إليها إبرام فمنذ آلاف السنين واليوبوسيين أصحاب حضارة عظيمه سطرت في التاريخ بأحرف من نور ولكن العمى أصابكم و أصاب إبائكم وأجدادكم فلم يستطيعوا معرفته أو تعريفه لباقي الأمم حيث كان يعيش بينهم أبناء يعقوب كبدو رحل لا يعرفون سوى رعى الأغنام وليس لديهم معرفه بزراعه أو صناعه ولا أبجديه للغتهم حتى إن عبري ما هي إلا تبديل لحروف كلمه عربي ....

استقر على سواحل البلاستين الكنعانيون بينما استقر بنأيها من اليوبوسيين وملكهم ملكي صادق داخل أسوارها ثم وجه نظره نحو سيف الدين متسائلا :

-أنسيت ملكي صادق الذي حدثتك عنه من قبل ؟

سيف الدين : لا ... لا لم أنسى انه ملك أورشليم العربية الذي كان موجودا قبل أن يولد إسرائيل نفسه

ثم سأله أتوم مستنكرا:

-من محي اسمه من التاريخ وكيف لم تصلكم عنه اي اخبار ؟

سيف الدين : لم أصادفه قط في كتاب ولا مخطوط ولم اسمع عنه الا منك انت فقط.

نظر إليه أتوم بعينيه اللامعتين وهو يقول في حسرة وكمد :

-ولن تصادفوه أبدا طالما لم تتعلموا لغة أجدادكم وتكتفون بأخذ تاريخكم من أعداكم ثم أردف في غضب يجب أن تخبر قومك عندما تعود إليهم أن تاريخهم يطمس ...

سيف الدين: سأفعل ... سأفعل يا سيدي

ران الصمت عليهما لفتره قبل أن يقول سيف الدين :

-في أي منطقه التقى يوسف بأبيه يعقوب وأخوته يا سيدى ؟

اتوم: هنا في ارض جاسان...

سيف الدين: ألم يذهبوا إلى طيبه ؟

اتوم: لم يغادروا أرض جاسان حيث أنها المقاطعة الوحيدة التي سيطر عليها الملوك الرعاة .... تذكر سيف الدين حينها مسلسل يوسف الصديق ذلك المسلسل الإيراني حيث قد صور بني يعقوب بأنهم ذهبوا إلى ارض طيبه و تذكر أيضا أن المسلسل قد أعتمد تصوير ألهه البدو الأسيويين مثل بعل و عشتاروت على إنها معبودات المصريين القدماء ... ثم قال متمتما لنفسه دخل بني

اسرائيل مصر ليوسف مع ابيهم يعقوب وخرجوا مع موسي وبين يعقوب وموسى خمسة او ستة اجيال والجيل هو ... ثم صمت لفترة وهو يفكر في تلك المسألة

استيقظ حابى قادما إليهم فاردا ذراعيه في الهواء محركا جسده يمينا ويسارا لكي يطرد منه الخمول والإرهاق بعد أن نام على سطح الهضبة دون غطاء أو عازل من برد الصحراء القارص سائلا إياهم :

- الم تناما قط ؟

ثم أضاف دون أن ينتظر منهم اجابه لسؤاله قائلا :

-إن الشمس على وشك السطوع تكلم حابى دون أن يجبه احد وكأنهما قد تجمدا حيث كان كل منهم يغوص في بحر أفكاره.... تركهم وتوجه إلى الكهف مناديا على الراعي والخادم لكي يستيقظا هما الآخرين ولم تمض لحظات إلا وخرجا من الكهف بعد أن نهضوا من نومهم.

قام الراعي بأخذ أغنامه ليسقيهم ثم أتى بواحدة سمينه منهم قائلا لاتوم فلتباركها قبل أن اذبحها ولكن اتوم رفض ذبحها حتى لا يلفت دخان شوائها احد من جنود العامو ولكن حابى أشار إليه

بان يذبحوها فالجميع قد شحب وجهه من أكل العشب وتحت إلحاح منهم قام اتوم بوضع يده اليمنى فوق رأس الشاه ثم حد نصل سكينه بحجر صوان أخرجه من جعبته ثم ذبحها وانتشرت دمائها حولهم لكن سرعان ما تشربته الرمال وكأنها هي الأخرى تحتاج إلى من يروى ظمأها ويملئ بطنها.

اخذ الخادم وحابى وسيف الدين يسلخونها ويقطعونها استعدادا لشوائها ثم قال الراعي سائلا اتوم :

- أتخاف يا سيدي ؟

اتوم : إن كان على نفسي فلا أبالى ولكنى أخاف على من أتحمل أمانه حمايتهم وأشار بيده إلى حابى والخادم وسيف الدين الذين تعالت ضحكاتهم وهم يسلخون الذبيحة.

الراعي: هل هذا الثالث غريب عن هنا قالها وهو يشير إلى سيف الدين ؟

تقوس حاجبي اتوم استغرابا قبل ان يقول :

- ولماذا ؟

بدأ الراعي يفك الضمادة الموضوعة فوق جرح قدمه ثم قام بتطهيره بالسائل المطهر الذي أعطاه إياه حابى ثم أغمض عينيه من الألم قبل ان يقول :

-لا ادري ولكنه إحساس ففي كلامه لهجة ليست كلهجتكم وفي جبينه علامة من اثر سجود مستمر ثم أن هيئته وملامحه تدل على انه ليس مصريا خالصا فربما يكون خليطا مصريا عربيا أو مصريا بدويا ...

أشار إليه اتوم سبابته اليمني أمرا اياه بالتوقف عن الكلام قبل أن يقول في صرامة : ومنذ متى نحن المصريين نعامل أي شخص بناء على لونه أو أصله أو دينه نحن المصريين أصحاب أقدم حضارة عرفها التاريخ نفتح قلوبنا وبيوتنا وأراضينا لأى شخص جاء إلينا دون أن يكون ضامرا لسوء أو مكروه لنا وان كان غير ذلك فلن يرى منا إلا الوجه الأخر حيث الهلاك والدمار له ولمن خلفه ثم أضاف قائلا :

-ان قصته لقصه طويلة لا يصدقها عقل ولا منطق لكنى أؤكد لك انه منا ونحن منه.

ثم ابتسم ناظرا إلى سيف الدين وقال بصوت حنون:

– والله إن كان لي ولدا فلن أحبه مثلما أحببت ذلك الغريب ؟

ثم نادي على سيف الدين قائلا :

-تعالى يا سيف الدين اجلس معنا فأنت منهك القوى لم تنم منذ الأمس.

جلس سيف الدين وهو يتأوه من التعب ممسكا باسفل ظهره قبل أن يقول في نبره صوت يملؤها الود والحب : لقد تعلمت منك يا سيدي الجلد والصبر والسهر حتى أنى اشتاق إلى حوارك أكثر مما اشتاق إلى النوم أو الطعام أو الشراب حتى أنى لا أريد أن أضيع وقتي بعيدا عنك حتى لا يفوتني شيء من حكمتك وعلمك أنت وحابى ...

ابتسم اتوم شاكرا سيف الدين ثم أردف سائلا الراعي:

– ماذا حدث بين فرعون وموسى ؟

الراعي : لقد حدث الكثير والكثير ثم نظر إلى حابى الذي انضم إليهم تاركا الخادم وحيدا يقطع الذبيحة ثم عرض الراعي على الخادم المساعدة ولكنه رفض قائلا أنى أحب أن اعمل وحيدا وطلب منه إكمال حديثه حيث يريد هو الأخر معرفه أخر الأخبار .

ساد الصمت والسكون عليهم جميعا إلا من صوت سكين الخادم وهو يقطع اللحم منصتين إلى الراعي الذي بدأ في الحديث قائلا لهم :

-بعد أن عاد موسى من ارض مديان واختاره الله ليكون رسولا ونبيا ذهب موسى وهارون بكل شجاعة وقوه وثبات بأمر من الله إلى فرعون الذي تكبر و ادعى لنفسه الإلوهية قائلا له : أنى رسول من رب العالمين يدعوه إلى التوحيد ثم طلب منه ان يرسل معه بني إسرائيل ولكن فرعون رفض طلب موسي قائلا له مستنكرا وما رب العالمين قال موسى رب السموات والأرض إن كنتم موقنين حتى أن فرعون استهزىء برد موسى موجها سؤاله إلى من حوله من قومه قائلا لهم باستنكار : ألا تستمعون ؟

فذكره موسى بأصله الذي خلقه الله من العدم ومصيره إلى العدم ولكن فرعون تمادى في طغيانه واستهزائه قائلا إن رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون ثم هدده أنه لو اتخذ إلها غيره سيسجننه مفضلا نفسه على موسى مستهزأ به قائلا لقومه : أنا خير من هذا الذي هو مهين ولا يكاد يبين طالبا منه أن يأتي بأيه فألقى موسى عصاه فإذا هي ثعبان مبين ووضع يده في جيبه فخرجت بيضاء

للناظرين حتى إن الملأ من قوم فرعون اتهموا موسى بالسحر وطلبوا من فرعون أن يجمع السحرة من كل الأرض لتحدى موسى.

ثم أردف الراعي قائلا وهم ينصتون اليه :

-لقد اختاروا يوم الزينة ليرى الجميع ماذا سيحدث لموسى وكان السحرة واثقين من انتصارهم ودحر موسى حتى أنهم اتخذوا عهدا من فرعون أن يعطى لهم أجرا سخيا عندما يغلبون موسى و أن يكونوا بجواره من المقربين ولما اكتمل الجمعان ألقى السحرة حبالهم وعصيهم وقالوا بعزه فرعون إنا لنحن الغالبون وتحولت بسحرهم إلى أفاعي وحيات ساحرين أعين الناس ومن ثم ألقى موسى عصاه فتحولت إلى حيه عظيمه فخر السحرة سجدا له امنين مطمأنين مؤمنين بدعوة موسى حتى أن فرعون قد هددهم بالصلب والقتل فلم ينتهوا عن إيمانهم فكانوا أول اليوم سحره كفره وفى أخره شهداء من المؤمنين.

ثم أضاف مكملا القصة:

-تمادى فرعون في جبروته منصتا إلى ملأه الذين قالوا أتترك موسى وقومه ليفسدوا في الأرض ويذرك والهتك ؟

فأمر بقتل أبنائهم واستحياء نسائهم حتى إن قوم موسى قالوا له أوذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئتنا ولكن موسى دعي الله ان يهلك عدوهم ويستخلفهم في الأرض واستمرت آذيه فرعون وأتباعه وجنوده لموسى وقومه فانتصر الله لموسى فابتلى الله فرعون وقومه بشتى أنواع العذاب فابتلاهم بفترات من الجدب والفقر وانعدام الزرع و هلاك المحاصيل.

الخادم : وهل أمن بعد ذلك ؟

الراعي : لو امن ما كنا هاهنا الآن هاربين من طغيانه طالبين اللحاق بموسى و رفاقه ؟

اتوم : أكمل وماذا حدث بعد ذلك ؟

الراعي : ابتلاهم الله بعد ذلك بالطوفان المهلك للزرع والثمار وطلب فرعون من موسى أن يرفع عنهم البلاء فدعي الله فرفعه عنهم ولكن فرعون نكث بعهده بالسماح لبنى إسرائيل بالخروج فابتلاه الله مره أخرى بالجراد الذي أهلك الزرع ثم بالقمل الذي نغص على فرعون وقومه حياتهم فدخلت عليهم بيوتهم ومضاجعهم لدرجه أن فرعون نفسه ظل بضع ليالي لا يستطيع النوم وكأنه أصيب بالجرب حتى انه في أيام ابتلاء الله لهم بالقمل

كان هناك وفدا من بلاد بونت محملين بالهدايا من الذهب والبخور ليقدموه قربانا له ولمعابده مع العاج والأبنوس وبعض القرود لتسليه فرعون ومن في قصره من اهله وعشيرته ومقدمين أيضا بعض الأقزام الزنوج كهدايا لقصره للترفيه عنه فطلبا رؤية فرعون بذاته ليتقربوا منه ويتوددوا إليه كي يأمنوا شره وليساعدهم أيضا فى تصنيع بعض الأسلحة الحديثة التي هم بحاجه إليها لحروبهم التي يخوضونها في أدغال أفريقيا وعندما ذهبوا إليه فرح فرعون بالهدايا والعطايا وكان جسمه مليء بالقمل ولكنه تحمل تقريصه دون أن يهرش أو يحك جسده منتظرا حتى يغادر الوفد القصر إلا أن احد الأقزام اخذ يضحك وهو يشير إلى تاج فرعون صائحا بأعلى صوته.

" قملة في تاج الملك" " قملة في تاج الملك " اخذ يعيدها مرارا وتكرارا ولم يصمت القزم إلا بعد أن قام رئيس الوفد بغرز خنجره في قلبه ثم اعتذر الجميع لفرعون سألينه العفو و السماح ثم غادروا القصر ....

ضحك اتوم ومن معه ثم قال ساخرا لقد جلبوا الأقزام للترفيه عن الملك ورسم الابتسامة على شفتيه إلا انه هو الذي من رفه

عنهم ورسم على وجوههم الابتسامة ثم طلب من الراعي الاستمرار في حديثه.

الراعي : ابتلاهم الله بعد ذلك بالدم فكانوا كلما اغترفوا ماء ليشربوه تحول إلى دم فلم يهنئوا بماء عذب قط ثم ابتلاهم الله بالضفادع فملأت بيوتهم فلا يكشفون إناء إلا وتحته ضفادع ومع كل ابتلاء يسأل فرعون موسى أن يدعوا ربه لرفعه و إن فعل ليؤمن به ويرسل معه بني إسرائيل وكان الله يستجيب لموسى ويرجع فرعون لعصيانه وطغيانه وجبروته حتى أمر الله موسى بالخروج من ارض جاسان متجها الى المشرق.

سيف الدين : وهل خرج ؟

الراعي : حتى ألان لا ... ولكنه في خلال أيام قليله سيفعل

اتوم : يجب علينا الإسراع في اللحاق بهم

رد عليه الراعي ساخرا :

- وهل أنا هنا للتنزه إنما أنا هنا باحثا عن موسى و قومه !؟

الخادم : لقد انتهيت من التقطيع فليساعدني احدهم بإشعال النار حتى نبدأ الشواء .... بدء كل منهم في البحث عن الحطب

حتى جمعوا الكثير منه وبدأو الشواء وجلس كل منهم يأكل بنهم عوضا عن أيام طويلة مرت عليهم دون طعام شهي.

حابى : إنى قد سمعت أن فرعون قد أمر وزيره هامان ببناء صرح شاهق حتى يتمكن من رؤية اله موسى ثم أردف سائلا هل بني ذلك بالفعل ؟

سيف الدين : على ما اعتقد انه بني تلك الأهرامات مشيرا بأصبعه نحو الغرب لذلك الغرض ؟

امتعض وجه الجميع حتى أنهم توقفوا عن الأكل ناظرين في استنكار إلى سيف الدين وهنا صاح الخادم غاضبا :

-من أخبرك بتلك الفرية يا سيف الدين؟

سيف الدين : لقد سمعتها كثيرا من بعض الناس في زمني حتى انه هناك من يقول أن بني إسرائيل هم بناه الأهرامات

اتوم : إن تلك الأهرامات الشاهقة شيدت من قبل ميلاد موسى بأكثر من ألف عام و بين إبرام و موسى ما يقرب من ٧٠٠ عام.

ثم أردف قائلا:

- إبرام النبي جد إسرائيل النبي فكيف يكونوا هم من بنوها...؟

سيف الدين: لماذا لم يصعد فرعون فوقها ؟ ولماذا يأمر أتباعه ببناء صرح شاهق أخر ..؟

الخادم : فرعون لا يستطيع أن يعبر ارض جاسان قيد أنمله فتلك هي المنطقة الوحيدة التي يسيطر عليها أما باقي البلاد فيحكمها المصريين الذين لن يتهاونوا في الدفاع عن أرضهم ثم لكي يطمأن قلبك لماذا لم يحاول أن يصعد تلك الجبال الشاهقة التي هي أعظم من الأهرامات في ارتفاعها ؟!

اتوم: بالفعل هو لا يستطيع أن يذهب خارج جاسان قيد أنمله فالمصريين قد اخذوا مما حدث هنا عظه وعبره حتى حتي لا تتكرر.

ثم اضاف قائلا:

-حتى وان تقسمت مصر إلى مقاطعات يحكم كل منطقه منهم ملك فسوف يكون قريب جدا من يعيد مجد مينا موحد القطرين.

ثم وجه عينيه نحو سيف الدين قائلا له بصوت مليء بالحزن:

- استحلفك برب السماء لا تخبرني مرة أخرى بتاريخنا الذي زيف وعلومنا التي حرفت وبأمجادنا التي سرقت فهذا يثير

اشمئزازي وغضبي ثم قطع حديثه طالبا منهم الصمت حيث استلقى على بطنه واضعه أذنه فوق الأرض وكأنه يتحسس السمع ثم نهض وهو يقول بصوت منخفض : أنها أصوات خيول قادمة فلتطفئوا النار سريعا فربما شم رائحة شوائنا هؤلاء الهمج ...

بدأ كل منهم في دفع التراب والرمل والحصى فوق النار حتى انطفأت ثم تأهب كل منهم واضعا يده على سلاحه وزحف الخادم حتى وصل إلى حافة الهضبة حيث رأي غبارا قادما ... أشار إلى من معه بالانبطاح أرضا ثم عاد بعد لحظات يشير لهم بأصابع يده برقم ثلاثة فعرفوا انه عدد الجنود وبدأ كل منهم ينتظر أوامر الخادم حتى أشار لهم اتوم بجلب بعض الصخور ليضعوها بجوار الخادم لرميها على الجنود إن بدت منهم أي نية للهجوم وساد الصمت المكان إلا من أصوات مأمأة الأغنام التي بحوزتهم وأصوات صهيل الخيول الثلاثة القابعين في الأسفل تحت سفح الهضبة ومن أصوات همهمه الجنود الذين يتناقشون فيما بينهم حتى صدر صوت تأوه من الخادم فذهب إليه اتوم مسرعا جاذبا جسده نحوه حتى هاله ما رأى حيث كان هناك سهم مخترق منتصف جبهة

الخادم مسببا شج عميق في جمجمته تاركا نافوره دماء تندفع منه فرجع مسرعا قائلا في حماس :

- لقد اكتشفوا أمرنا هيا للقتال وهنا زحف الراعي نحو الحافة واقفا منتصبا يمسك صخره كبيره دفعها نحو رأس احد الجنود حيث هشمت جمجمته حتى عاجله الثاني بسهم مماثل مخترقا رقبته أصدر علي اثرها الراعي صوت حشرجة مكتومة سرعان ما وقع على إثرها من فوق الهضبة.

بدء سيف الدين واتوم وحابى في رمى الصخور من الأعلى إلى الأسفل دون ان يحددوا بالضبط موقع الجنود الذين ابتعدا قليلا عن مرمى الصخور حتى رفع حابى ألته القاذفة واضعا داخلها كره معدنيه حادة الحواف ليقذف أول قذيفة له لتستقر بين عينين احدهما والثانية لتستقر في منتصف جبهة الأخر وهدأ الأمر وهنا قال اتوم فلتذهبا وتأخذا الخيول لتهربا بها بعيدا وهنا قال سيف الدين هيا بنا هيا يا سيدي ولكن اتوم أشار لهم بالذهاب سريعا ويتركوه مما أثار غضبهم حيث أشار لهم اتوم نحو بطنه التي اخترق منتصفها تماما سهما صغيرا .

قال له حابى لن نتركك وبدأ فى تضميد جرح معلمه الذي شحب وجهه وبدأ يتصبب عرقا و قال لهم في توجع إن هذا السهم سهم مسموم ... أنا اشعر بتأثيره ولن تمضى لحظات إلا وأنا ميت نظر إليه سيف الدين وهو يبكى بينما خر حابى ساجدا له يقبل قدميه ثم قال لهم اتوم في صوت مبحوح : حابى لا تتخلى عن سيف الدين احمه ودافع عنه بقدر استطاعتك وأنت يا سيف الدين عندما تعود إلى زمانك حاول أن تمحو كل كذبه ألصقت بنا وخذوا ما تركناه لكم منهجا ومنارة وإن قابلتم موسى النبى اخبروه إنى كنت أود أن أبايعه وان أكون من رفقائه ثم توقف عن الحديث صاعدا بروحه الطاهرة إلى السماء تاركا جسده واثنان من رفقائه يبكون بكاء الطفل المفارق لأمه التي ماتت لدرجه أن قلب سيف الدين بدأ يدق سريعا وكأنه سوف يطير من مكانه مع روح سيده اتوم بينما كان يبدو علي حابي التماسك او هكذا حاول أن يبدو .

يا له من شعور.. شعور اليتم في الكبر فما تعلماه من اتوم جعل منه اباهم الروحي الذين كانوا يهتدون بهدية وينهلون من بحر علمه و خبرته .

لا يدريان كم من الوقت مر عليهما أكان كثيرا أو قليلا حتى بدء يفيق حابى من صدمته قائلا لسيف الدين هيا بنا لنوارى أجسادهم الطاهرة التراب بدأ كل منهم في رفع جسدي الراعي والخادم فوق ظهر احدي الخيول متجهين إلى سطح الهضبة تاركين جثث القتلى من الجنود بالأسفل.

أخذ حابى وسيف الدين في تنظيف الحفرة التي حفراها من قبل متذكرين صوت اتوم والخادم وهما يحفرونها وهم يتمازحون بينهم تذكروا وهو يقول لهما : وكأنكما تحفرون قبرا تذكر صوت اتوم وهو يقول مازحا أعتبره كذلك تذكر اتوم وهو يضحك وهو ينظر إلى خادمه العجوز وهو يداعبه قائلا :

-لكننا لا ندرى من سيدفن فيه ؟

وتذكر رد الخادم حينها وهو يقول: أنا سوف أدفنكم جميعا... وهو يفرد عضلاته مستعرضا تذكره حين قال مبتسما لهما :

-كما ترون أنا أكثر منكم قوه .... حفروها وهم لا يعلمون أن أجسادهم الطاهرة سوف تتوارى بداخلها ثم اجهش بالبكاء.

بدء حابى يواسي سيف الدين امرا اياه بتحضير أجساد رفقائه الثلاثة للغسل والتطهير ثم طلب منه جلب الماء وهو يبكى لم تمضى

لحظات إلا وقد جلب سيف الدين قدرين من الماء وقام على أثرها حابى بغسل جثثهم حيث قام بمد الجثث ثم وضع فوق الماء بعض الأعشاب الفواحة التي أخرجها من جعبته وهو يتمتم ببعض التمائم ولم يتحدث سيف الدين تاركا حابى لينفذ مهمته على أكمل ما يكون ثم طلب منه حابى أن يقطع بعض الملابس إلى عدد من الأشرطة أخذا شريط تلو شريط ليلف بهم جسدا تلو الأخر ثم قال لسيف الدين :ساعدني لنضعهم في القبر بدء كل منهم في حمل الجثث جثه وراء جثه واضعين كل واحده منها في وضع القرفصاء وهنا قاطعه سيف الدين متسائلا ألن نضعهم نياما على ظهورهم رد عليه حابى قائلا دون أن ينظر اليه :

- نحن نرجع الجسد إلى وضعه الطبيعي داخل رحم أمه حتى يأذن رب السماء له أن يولد مره أخرى في الحياة الأبدية فنحن من التراب والى التراب نعود ومنه نبعث مره أخرى ثم بدأ يضع مع كل جثه متعلقاتها التي كانت معها في الحياة الدنيا من ملابس وسلاح حتى الأواني ثم اخذ كل منهم في وضع الرمل فوق أجسادهم كانوا يضعون رملا ثم يسقونه بماء ليكون أكثر تماسكا

حتى انتهيا من دفنهم شعر سيف الدين حينها بأنه طفل فارق ثدي أمه قبل أن يفطم.

كانت علامات الحزن بادية على وجه حابى وسيف الدين وهم يغادرون الهضبة ممتطيين الخيول التي تم أخذها من الجنود بعد أن بدلا ملابسهما بملابس الغزاة المحتلين حتى يتسنى لهم التخفي بينهم ولكي لا يلفتون أنظار جنود الحراسة المنتشرين في كل شبر من المنطقة حتى دخلا عائدين من حيث أتوا تاركين خلفهم الصحراء فقد قرروا أن يندسوا وسط الحقول لترتيب أوراقهم و البحث عن مخرج لما هم فيه.

سارا كثيرا دون حديث ... مر عليهم الوقت طويلا ثقيلا بطيئا وهم ينتقلون من مكان إلى مكان حتى نطق سيف الدين قائلا:

- لماذا لم نتجه شرقا حيث كان سيدي اتوم يريد أن يذهب الي هناك ؟

سرى في جسد حابى رجفة عند سماعه اسم معلمه وبصعوبة حاول أن يتماسك وهو يجفف الدموع التي تجمعت داخل مقلتيه وهو يقول في صوت مليء بالحزن والشجون لست بدروب

الصحراء خبيرا ولا بمسالكها عارفا والخطر فيها كثير ثم أردف قائلا:

- لقد غيرت خطه الهروب سوف نذهب نحو الجنوب نفكر ونستعد فلن يكون الأخذ بالثار بالشيء اليسير ...

قال سيف الدين متسائلا :

-تلك الملابس ستحمينا من المحتلين فماذا سنفعل إن دخلنا قرى المصريين ؟

حابى : لقد جلبت ملابسنا القديمة فعندما ننتهي من جنود العامو ونكون بأمن عن أعينهم سنبدل ملابسنا ...

أوشك ضوء النهار على الاختفاء بينما ظل حابى وسيف الدين يسيران وكل منهم سارح في أفكاره خاصة سيف الدين الذي كان يراوده شعور شديد بالرغبة في لقاء أبنائه ليحتضنهم وليحكى لهم عن تلك الرحلة بكل ما فيها حيث كان ينوى عندما يعود أن يستقر هو وادهم وعمر بجوار بعضهم البعض لأنه أحس بفظاعة الموت والفراق خاصة بعد موت سيده اتوم ... أخرجه حابى من تفكيره قائلا له وهم داخلين إلى حقل قمح كثيف : فلنرتاح هنا قليلا يا سيف الدين...

امسك سيف الدين لجام الحصان كابحا جماح سرعته أمرا إياه بالتوقف وكأنه كان بحاجه إلى هذا الأمر حتى يستريح قليلا.

امسك حابى بالخيول ثم ربطهم في جذع نخله ضخمه ثم سرعان ما جلس تحتها ثانيا ركبتيه نحو صدره ممسكا إياهم بكلتا يديه واضعا رأسه فوق ذراعه وبجواره جلس سيف الدين ناظرا إليه دون أن يتحدث حتى سمع صوت بكاء حابى .... جلس ساهما لفترة إلى أن قال :

-هون عليك يا صديقي.

نظر إليه حابى نظره جانبيه دون أن يتحدث ثم عاد إلى بكائه ونحيبه.

وضع سيف الدين يديه فوق كتف حابى يربت عليهما حتى قال له حابى في صوت حزين كنت أمل أن يدفن سيدي اتوم في مقبرة ملكيه ... يشيعه جموع الكهنة ... كنت أمل أن اغسل جسده الطاهر بالعطور وأطوف عليه بالبخور وان أضع بجواره كل بردياته التي كرس حياته لكتابتها وتدريسها لنا حتى يقابل بها رب السماء لعلها تكون شفيعه له على علمه وإيمانه لم يرد سيف الدين حينها حيث كان يريد ان يقول له ان الله ليس بحاجه إلى كل تلك

الأشياء ليعلم من كرس حياته لعبادته والدعوة إلى توحيده ممن كرس حياته للكفر و العصيان اكتفى سيف الدين بالربت على كتف حابى قائلا له وهو يرسم الابتسامة على شفتيه:

- هون عليك يا آخى هون عليك وحاول أن تهدأ قليلا لكي نستعد للأخذ بثأر سيدى اتوم.

حاول حابى أن يصطنع ابتسامه على وجهه هو الاخر قبل ان يقول لسيف الدين في نبره يملؤها التحدي :

- لن أنام الآن فلتنم أنت وحين تستيقظ سوف أنام حتى نكون مستعدين لأي طارئ يحل بنا قالها وهو ينظر إلى سيف الدين الذي بدأ حينها في التثاؤب داخلا في نوم عميق تاركا حابى وحيدا مع أفكاره و ذكرياته.

❋❋❋

استيقظ سيف الدين على أصوات كلاب الحقل وهى تتعارك لا يدرى كم مر عليه من الوقت نظر إلى مكان حابى فلم يجده و لم يجد حتى الخيول التي كانت مربوطة بجواره ... خفق قلبه سريعا حيث كانت مشاعره ممزوجة بالخوف على حابى من أن مكروه أصابه والخوف على نفسه من مجهول سيقابله وحيدا هم ناهضا

يعدو يمينا ويسارا دون فائدة خفق قلبه أكثر وأكثر حتى شعر بان الدم سوف ينفجر من عقله حتى مرت لحظات فاقدا القدرة على التفكير أو اتخاذ قرار حتى لمح حابى على بعد أمتار واقفا ناظرا إلى السماء رافعا كلتي يديه واضعا سبابه يده اليمنى على سبابه يده اليسرى و إبهام يده اليسرى على إبهام يده اليمنى مشكلا بأصابعه مربعا ناظرا بينهم انتظر سيف الدين قليلا ثم قال :

-ماذا تفعل يا حابى ...؟

قال حابى دون أن ينظر إليه حتى لا يخرج من تركيزه استخدم النجوم في تحديد أي اتجاه سوف نسلك حتى نتخذ طريقنا إلى النيل الكبير ومن هناك سوف نأخذ مركبا إلى طيبه خفق قلب سيف الدين عند سماعه كلمة طيبه حيث شعر بشيء من السعادة والأمل ممزوجا بالقلق إلى أن استطرد حابى قائلا دنيانا رحله طويلة داخلها رحلات قصيرة في كل رحله منها نقابل احدهما فمنهم من يترك فينا أثرا جميلا و منهم من يترك فينا أثرا سيئا ...

سيف الدين متسائلا:

- وأنا من أيهم ؟

حابى : و هل أنا افعل ما افعل إلا من أجلك ومن اجل حمايتك كما أوصاني معلمي الأكبر اتوم فقد غيرت مسارنا حتى تكون في طيبه بمأمن عن أعين الأعداء ولكي نستدعى أمرانا من هناك للأخذ بثار كل المصريين الذين لقوا نحبهم على يد هذا الفرعون الأحمق المتكبر.

سيف الدين : هل سنتحرك غدا ؟

حابى : بل سنتحرك الآن في ظلام الليل فأمامنا وقت قصير على موعد تغيير الحراسة على أبواب المدينة التي لابد من اجتيازها قبل الذهاب إلى نهر النيل ...

سيف الدين: كما ترى يا حابى كما ترى.

حابى : هيا بنا...

سيف الدين : ألن تنام قليلا ؟

حابى : لقد أقسمت أن لن أذوق طعم النوم أو الراحة إلا بعد الأخذ بثأر سيدي اتوم.

سيف الدين : هل سنتحرك سيرا أم نمتطى الخيول؟

حابى : لقد تركت الخيول تذهب بعيدا أثناء نومك حيث أنها قد أحدثت الكثير من الجلبة والضوضاء فتركتها خوفا من أن

تلفت نظر احد إلينا ثم إن المسافة قريبه ولن نحتاج إليها مرة أخرى قالها وهو يتحرك ذاهبا إلى حيث خطط.

أومئ سيف الدين رأسه بالموافقة وسار خلف حابى في حقول القمح المترامية في اتجاه الغرب دون أن يتحدثا حتى لاح لهم طريق ترابي يفصل الحقول عن فرع صغير من فروع النيل على جانبيه بوص كثيف حيث كانت مياه الترعة تعكس بعض الأضواء الخافتة المنبعثة من مشاعل الجنود المسئولين عن الحراسة فظلا مختبئين داخل البوص الكثيف خلف شجره جميز عملاقه لبعض الوقت حتى خفت تلك المشاعل من إضائتها وهنا قال حابى هيا لنمضى من هنا سريعا.

سارا بجوار الترعة حتى وصلا إلى نهايتها حيث كانت تصب في فرع اكبر من فروع النيل يعلوه جسر من الصخور عليها اثنين من الحراس يسير كل منهم عكس الأخر ذهابا و إيابا يتقابلان في منتصف الجسر ثم سرعان ما يعطى كل منهما ظهره للأخر حيث يتجه كل منهم إلى نهاية الجسر.

انتظر حابى قليلا حتى أدرك الموقف كاملا ثم اخرج من جعبته المقلاع الشبيه بحرف " X " حيث وضع كره حديده ذات

بروزات مسماريه داخلها ساحبا الجزء المطاطي منها بأقصى قوه نحو عينيه كقناص ماهر يتحين لحظه الانقضاض على فريسته وبعض لحظات تركها تذهب كقذيفة صاروخيه لتستقر داخل جمجمة اولهم وقبل أن ينتبه الأخر لما حدث لصاحبه كان قد عاجله حابى بقذيفة أخرى لتستقر داخل احدي عينيه ثم أخذ يصرخ قبل أن يقع مرتطما ببعض الصخور .

انطلق حابى وخلفه سيف الدين نحو الجنود حتى انهيا على ما تبقى من حياتهما ثم أمر حابى سيف الدين بمساعدته في خلع ملابس الجنود لارتدائها حيث كانت ملابس جنود حراسه المدينة مختلفة عن ملابس الجنود الذين قاتلوهم عند الهضبه.

استبدلا ملابسهما سريعا على حافة الجسر ومن ثم القوا جثث الجنود في قاع الترعه قبل أن يتخذوا من ذلك الممر المائى دليلا حيث سارا بجواره قاطعين مسافة كبيره حتى أوشك الصباح على البزوغ ... دلفا إلى احد الحقول وقاما بخلع ملابس الجنود حيث استبدلوها بملابسهم حيث كانا قد اقتربا من إحدى القرى الصغيرة دخلا إليها حيث كانت القرية صغيره بسيطة في كل شيء

حتى أهلها الذين قد استيقظوا مع أضواء النهار الأولى متجهين إلى حقولهم كانوا غاية في البساطه ... وغايه في الفقر.

كانت منازل القرية المبنيه من الطوب اللبن كلها مرصوصة على جانبي طريق صغير في نهايته معبد صغير .... كان يبدو أن هذا اليوم هو يوم سوق القرية حيث كان في ذلك الطريق الكثير من الخيام الموضوع أمامها بضائع كثيرة من خضار وفاكهه وقماش وأواني فخاريه وأدوات منزليه شبيهه بالمعالق والأطباق دخل حابى وسيف الدين مندسين بين أهل القرية ليسترقوا السمع على أي أخبار بتناقلها العامة عن موسى أو العامو أو حتى عن الظلم والاستبداد لكن كانت الحوارات الدائرة كلها عن البيع والشراء وكأن القرية خارج الزمن لاتدرى أي شيء يحدث خارجها.

اندسا وسط البسطاء حتى لمح حابى خيمة لأحد الحرفيين العجائز من صانعي الأواني الفخارية جالسا أمام فرن يتصاعد منه لهب شديدا ودخانا كثيفا ... لهب ودخان رسموا خطوطا سوداء على التجاعيد التي ملأت وجهه الشاحب شعر نحوه حابي وسيف الدين بالطمأنينة والأمان خاصة بعد أن وجدا تمثالا صغيرا لأوزوريس ...

دخل إليه حابى وسيف الدين بحجه أنهما غريبين ضلا طريقهما طالبين منه المكوث بالخيمة قليلا لنيل قسطا من الراحة لكنه أجابهم بإحراج انه لا يستطيع حيث لا يريد مشاكل مع جنود فرعون ثم أردف قائلا أنهم يأتون هذه الأيام كثيرا فلا يكاد يمر يوم دون أن يأتوا للتفتيش عن الغرباء او العبرانيين أو جواسيس طيبه ولا يتركوننا ألا بعد أن ينهبوا ويسلبوا قوت الكبار وحليب الصغار وحتى الدواب يأخذونها إن لم يجدوا شيئا ذو قيمه ثم أضاف قائلا في صوت غير مسموع :

-يبدو عليكم أنكم من رجال أحمس ؟

قال له حابى بصوت خافت :

-بالفعل نحن من رجال أحمس

قال لهم العجوز وهو يبتسم:

- كل ما استطيع فعله هو أن أدلكم على مكان امن يمكنكم المكوث فيه دون مشاكل

حابى : انه جميل لن أنساه لك مدى الحياة

اشار العجوز إلى اتجاه المعبد الصغير قائلا لهم : خلف هذا المعبد بمسيره يوم يوجد هضبة في أعلاها معبد كبير به العديد من

الكهنة الموالين لأحمس سرا الظاهرين ولائهم لفرعون علنا حتى إن جنود العامو يأتون على فترات لنيل البركات منهم ... اذهبا إليهم ولكن بعد أن تتأكدا بان جنود العامو ليسوا بالداخل حتى لا يحدث مالا يحمد عقباه ثم أضاف قائلا في نبره لا تخلو من الحزن والضجر: القرية كلها كما ترى لا يوجد بها إلا العجائز فقد قتلوا شبابنا ورجالنا تركونا نعيش مقابل إتاوات ندفعها لهم من طعامنا وقوتنا ثم تنهد قائلا لهم :

-لا تجعلوني اندم على بوحي لكم بالحديث.

أبتسم حابى قائلا :

-لا تقلق يا آبى ...

العجوز: يالها من كلمه لم اسمعها منذ سنين عده منذ مقتل أولادي الثلاثة على أيدي هؤلاء الهمج الرعاع ثم أضاف قائلا وهو يمسح دموعه من فوق خديه : أنا لا اقلق على نفسي بل اقلق على أهلي من العجائز الأكبر منى سنا فهم ما عادوا يتحملون الكثير من المشقة وكل ما اطلبه لهم من رب السماء أن يموتوا داخل منازلهم مطمئنين دون فزع تحت سيوفهم أو الم تحت أقدام خيولهم

ولا فارين في الصحراء نهارا تحت أشاعه الشمس الحارقة او ليلا في برد الليالي القارص.

سيف الدين : لا تقلق وكن واثقا ان كل ما نفعله هو من أجلكم انتم ... بل من اجل أهل مصر كلهم ثم سكت هنيهة قبل أن يضيف داعيا له : العمر الطويل لك يا سيدي.

العجوز : يا ولدى الموت سهم وجه إلينا منذ فتره ... مده وصوله هي حياتنا ... طالت أم قصرت ...وكل ما أريده هو أن نموت غير خائفين ولا مفزوعين.

ثم أضاف قائلا في صرامة :

-فلتذهبا الآن قبل أن يلفت وجودكما احد هنا معطيا إياهم جعبة صغيره بها بعض الطعام من خبز وجبن مخبئ داخلها تمثالا صغيرا لجعران اسود اللون ذو عين ذهبيه قائلا لهم اظهرا ذلك التمثال لحراس المعبد فسوف يسهل لكم دخولكم إلى هناك شكره حابى كثيرا ثم سأله مستغربا : هل يوجد هنا جواسيس لهم ؟

العجوز : تحت تعذيبهم ينطق الحجر ثم قال لهما أمرا إياهم بأن يسرعوا في الذهاب الآن خوفا على حياتهما قالها وهو يمسح دموعه

بيده اليمنى مودعا إياهم بيده اليسرى وهو يدعى الله لهما بالحماية والنصر.

ذهب حابى وسيف الدين بعيدا حتى اختفيا عن أعين العجوز مسرعين دون كلل أو تباطؤا تاركين قرية العجائز خلفهم وكان أخر شيء تعلقت به أعينهم هو المعبد الصغير.

سارا طويلا تارة بين الحقول الخضراء وتارة بين رمال الصحراء الصفراء حتى كاد النهار أن ينتصف وتحت أشعه الشمس الحارقة أكملا مسيرهما وكان كل ما يلفت أنظارهم هو الدخان المتصاعد من الحقول البعيدة عن مكانهم حتى إن رائحة الحرائق كادت أن تصيبهم بالاختناق حتى سأل سيف الدين حابى وهو يسعل بشده:

-ما ذلك الدخان الكثيف يا حابى ؟

حابى : لقد مروا من هنا ...

سأله سيف الدين مستنكرا :

-جنود فرعون ؟

رد عليه حابى فى استهزاء :

-وهل هناك غيرهم ؟

ثم أضاف قائلا :

-أنهم من ابتدعوا سياسة الأرض المحروقة فان لم يستطيعوا أخذها تركوها خراب كما ترى حتى لا يستفيد منها من يأتي بعدهم ...

أكملا مسيرهما مخترقين الحقول دون حديث أو كلام حتى لا يتكاسلوا عن المسير ...

كانت طبيعة سيف الدين كطبيعة باقي البشر كلما زاد مجهوده كلما زاد تعبه وشكواه وهى علاقة طرديه معروفه عن أي إنسان إلا في تلك المرة حيث كان كلما زاد مجهوده كلما قل تعبه وشكواه لأنه أدرك آن الفرق بين الموت والحياة لحظه ...لحظه واحده إن تكاسلا فيها ربما أصبحا صيدا سهلا لسهم قناص أو لسيف جندي منهم.

سارا أكثر وأكثر غير عابئين بشيء سوى الوصول سريعا إلى ذلك المعبد الأمن الذي دلهم عليه ذلك المصري صانع الأواني الفخارية .

كان الدخان يتصاعد معهم أكثر وأكثر حتى شعر كلاهما أن أنفاسهم سوف تنقطع حتى بدا لهم طريق صاعدا وسط غابات من النخيل وهنا ابتسم حابى قائلا :

-هاهو الطريق المؤدى إلى الهضبة ...

سارا فيه مسرعين وكان الدخان بدء ينقشع رويدا رويدا مع صعودهم ولاح لهما فوق الهضبه معبدا في الأعلى يكاد يلامس سحاب السماء كانت رؤيته تدل علي ان المسافة بينهم وبينه قريبه حتى قال سيف الدين : لقد اخبرنا العجوز إنها مسيره يوم ولكنى اكاد ان أجزم إنها لن تأخذ منا إلا نصف يوم أو اقل رد عليه حابى مبتسما أنها مسيره يوم بمجهوده هو... فهو كما رايته رجلا عجوزا ضعيفا لا حول له ولا قوه ثم أضاف قائلا : فلنسترح هنا قليلا في الظل.

أومئ سيف الدين رأسه بالموافقة ثم قال له:

- هل ترغب في تناول التمر...؟

حابى : هل يمكنك الصعود على النخل ؟

سيف الدين : لم افعلها من قبل و لكن سأحاول ...

حابى : لا تحاول فربما وقعت من فوق النخلة فيصيبك مكروه قالها وهو يشمر عن ساعديه صاعدا النخلة وفى خلال لحظات قليله قد اعتلاها واخذ يأكل من ثمارها وسيف الدين بالأسفل يحاول الصعود دون جدوى حيث لم يتوقف عن محاولاته الفاشلة

بالصعود إلا بعد أن راي التمر يتساقط فوق رأسه بسبب تحريك حابى فروع النخلة يمينا ويسارا حتى شعر سيف الدين حينها بان السماء تمطر رطبا وتمرا اخذ يأكل بنهم شديد حتى نزل حابى من فوق النخلة قائلا له ياله من تمر شهى لم أذق مثله طول حياتي أومئ سيف الدين برأسه موافقا على كلام حابى دون أن يتكلم وكأنه لا يريد أحدا أن يقطع استمتاعه وهو يأكل متلذذا حتى انتهى قائلا :

-انه اطعم من العسل ثم سرعان ما قال لحابى هل سنكمل مسيرنا أم سنظل هنا نظر إليه حابى قائلا فلنرتاح ثم اخذ يبحث في جعبته عن بعض الأعشاب الطاردة للعقارب والثعابين ليرشها حول مكانهم لكن دون جدوى لم يجدها .

سأله سيف الدين مستغربا :

- أتبحث عن شيء يا حابى ؟

رد عليه حابى قائلا :

-لا شيء ..لا شيء يا سيف الدين هيا لنرتاح قليلا.

ثم اسند كل منهم ظهره إلى جذع النخلة مغمضي الأعين دون نوم حتى استيقظ سيف الدين على صوت بلطه حادة تخترق النخلة بجوار رأسه فقام مفزوعا ليجد حابى واقفا بجواره قائلا له :

-انزع البلطة يا سيف الدين .

اندهش سيف الدين وهو يقول بصوت عالي :

-يا حابي لقد قلت لك مسبقا أني لا أحب ذلك النوع من المزاح.

قالها وهو ينحني بجسده متكأ بركبتيه علي الأرض لينزع البلطة ليجد نصلها الحامي راشقا في جذع النخلة فاصلة رأس أفعى كبيره فاتحه فمها عن جسدها الممتلئ فشهق خائفا مستغربا وبصعوبة اخرج البلطة من جزع النخلة ومسحها من دماء الأفعى قائلا لحابي في نبرة صوت مليئه بالشكر والعرفان :

- لا أدرى كيف أشكرك في كل مره تنقذ حياتي ...؟

أبتسم حابى قائلا:

-هيا بنا نصعد فتلك الأفعى لابد لها من عائله سيقتفون أثرنا وسيحاولون الأخذ بثأرها ما كاد ينهى كلامه إلا وكان سيف الدين قد ابتعد عن النخيل واقفا في منتصف الطريق الصاعد نحو الهضبه قائلا بصوت عالي : هيا هيا يا حابى ...

كانت الهضبة بطريقها وأشجارها كأنها جنه الله في أرضه وكأنه عالم غير العالم الذي يعرفونه ... كان الطريق واسع ممهد على

جوانبه الطويلة غابات من أشجار النخيل مليئة بأصوات العصافير الشجية سارا فيه طويلا حتى لاح لهم على طرفي الطريق ما يشيه مقالي وصوامع الرهبان التي كانت منتشرة بكثافة و كان بين كل صومعة وأخرى مسافة كبيره ...

كان الكهان مكرسين حياتهم للتأمل والعبادة حتى وهم يسيرون بجوارهم لم يلتفت احد من الكهنة إليهم تاركينهم يمروا حيث أن الحراس بالأعلى هم المسئولين عن السماح لهم بالمرور أو الرفض مجبرينهم على العودة من حيث أتوا...

استمرا حابى وسيف الدين بالصعود حتى بدا لهما المعبد الشاهق واجهته الأمامية تطل على الغابة والطريق الممهد يشق الغابة إلى نصفين وواجهته الخلفية تطل على جرف عالي شاهق الارتفاع فليس له مدخل إلا من ناحية الطريق الذين أتوا منه فقط ... كان مدخل المعبد الخارجي مكون من عمودين شاهقين بينهما سلم مكون من خمس طبقات من الرخام الأبيض صعدا فوقه متأملين النقوش الدقيقة على العمدان التي كانت صوره طبق الأصل من نباتات الطبيعة المحيطه بهم مطعمه بأحجار كريمه ذات ألوان مختلفة حتى عبروا البهو الخارجي الغير مسقف دون أي

حراسه إلى أن وصلوا إلى البهو الداخلي المكون من عمدان أعظم وأطول من تلك الموجودة بالخارج حامله فوق تيجانها سقف عظيم محلى برسومات أوراق اللوتس وغيرها من أوراق تكاد تكون في دقه رسمها ونحتها طبيعيه وسط انبهارهم ودهشتهم دلفا إلى البهو الداخلي حيث كان هناك ثلاثة من الكهان في وضع الصلاة انتظر حابى وسيف الدين الكهنة حتى فرغا من صلاتهم وبعدها حياهم حابى منتظرا ردهم لكن دون جدوى حيث رمقوهم بأعينهم التي كانت مليئة بالشك والريبة والاستغراب دون آن يتحدثوا معهم حتى ادخل سيف الدين يده في جعبته ليخرج التمثال الصغير الذي أعطاه إياهم العجوز وما إن راؤه حتى تغيرت ملامحهم إلى ابتسامات بشوشة مرحبين بهم ثم قادهم احد الكهنة إلى غرفه داخليه ذات رائحة بخور ذكيه مثل تلك الرائحة التي استنشقها من قبل في غرفه صلاه حابى واتوم يتوسطها مائده مستديرة بها كل ما لذ وطاب من مأكل ومشرب وأكواب فضيه بها عصائر من شتى الأنواع ثم أشار إليهم الكاهن قائلا :

- تفضلا الطعام ...

أكل حابى وسيف الدين حتى شبعا وشربا حتى ارتويا والكاهن ينتظرهم صامتا حتى انتهيا ثم قال لهم :

- أي خدمات أخرى تودونها ...؟

قص حابي عليه قصتهم بأدق تفاصيلها وبعدما أنتهي قال له في وحماس :

-نريد الذهاب إلى طيبه

ضحك الكاهن حتى بدت أسنانه البيضاء ثم قال لهم :

-ولماذا تريدون الذهاب إلى طيبه ...؟

حابى : نريد ان ننضم إلى جيش أحمس ..

الكاهن قال ضاحكا:

- ولماذا تريدان الانضمام إليه...؟

رد عليه حابى فى نبرة صوت مليئه بالتحدى:

- نريد أن نأخذ بثأر سيدي اتوم ؟

رد عليه الكاهن في استنكار قائلا :

-ومن منا ليس له ثأر معهم ثم أضاف قائلا هون على نفسك يا بني فالطريق إلى طيبه طويل محفوف بالمخاطر ثم أضاف قائلا من

الممكن أن تختبئ هنا حتى تهدئ الأمور ثم تذهب بعد ذلك إلى أي مكان تحب.

رد عليه حابى فى لهجة تحدى :

-لن أغادر من هنا إلا إلى طيبه لأكون جنديا تحت أمره أحمس ورفاقه فلن أهنئ حتى اخذ بثار كل مصري تم تعذيبه أو قتله...

ضحك الكاهن ثم قال:

- لن يخذلك الرب فأنهم قادمون..

سيف الدين : من هم يا سيدي الكاهن ؟

رد عليه الكاهن وقد تغيرت تعابير وجهه قائلا في نبره تحدى وحماس :

-أحمس وجيشه قادمون لقد تحركوا منذ عده ليالي وهم الآن على وشك الوصول إلى هنا اليوم أو غدا على الأكثر ثم أضاف :إن أحمس ورجاله يعلمون ما نعانيه من ذل وقهر ونهب حتى كنا نتسأل لماذا تباطؤا في مهاجمتهم وكانت دائما ما تأتينا الأخبار بالصبر حتى يتسنى لهم دراسة الموقف ودراسة نقاط الضعف والقوه للعدو حيث أنهم يتوعدون بتوجيه ضربه قاصمه للعامو لن تقوم لهم قائمه بعد ذلك.

ثم أضاف قائلا :

- لقد جلب أحمس الحرفيين المهرة من كل مكان وصنع كل ادوات العامو القتالية خاصة تلك العجلات الحربية اللعينة التي مكنتهم من هزيمتنا واحتلالنا ودرب عليها جنوده فأصبحوا يستخدمونها بطريقه أفضل من مبتكريها ثم صمت لحظات قبل ان يقول فى صوت مليء بالحزن "حتى وأن تساوت قواتنا فسوف ننتصر لأن الحق معنا ونحن مع الحق "

* * *

الفصل الثالث عشر

كوالالمبور٢٠١٨

أطبعوا صورهم وانشروها في كل المطارات والموانئ والكمائن الثابتة والمتحركة لابد من إيجادهم في أسرع وقت قبل أن يهربا خارج البلاد قالها قائد شرطه العاصمة الماليزية وهو يمسك صوره بها شخصان يجلسان داخل كابينة قياده سيارة نقل البضائع التي تسببت في مصرع عمر سيف الدين أمرا مساعديه من المسئولين بمتابعه القضية ثم ساد الصمت لعدة دقائق وهم يفكرون في ذلك الاغتيال قبل أن ينطق قائد الشرطة العاصمة في نبرة صوت يملؤها الحزم : أخر كاميرا سجلت المطاردة قبل أن يلقى العالم المصري عمر سيف الدين نحبه تؤكد أنهم هم الفاعلين ...

مرت لحظات من التفكير قبل أن يقوم قائد شرطة العاصمة بالاتصال بقائد شرطه النقل والهجرة طالبا منه أسماء كل الأشخاص الذين دخلوا البلاد برا وبحرا وجوا خاصة تلك الأشخاص التي تشبه ملامحهم ملامح سكان مناطق البحر الأبيض ومنطقه الشرق الأوسط بالأخص...

قال مساعده مستغربا :

-الديك شكوك يا سيدي في أنها عمليه اغتيال وليست قتلا خطأ ؟

تجاهل قائد الشرطة سؤال مساعده ثم سحب سيجاره من علبته الموضوعه أمامه علي المكتب وأشعلها ثم أخذ في اخراج زفير دخان نفخه بعنف وهو يفكر في تلك القضيه حتي أنهي سيجارته سريعا ثم ساد الصمت لفترة قبل أن يرن جرس هاتف مكتبه قائلا:

- الوه ؟

المتصل :..............................

قائد الشرطة : على الرحب و السعه

المتصل :..............................

قائد الشرطة : وهو كذلك

المتصل :...........................

قائد الشرطه : تمام...تمام....مع السلامة

دخل إلى مكتبه احد الضباط مستأذنا حيث قال :

-السفير المصري معه وفد مصري رفيع المستوى يريد التحدث مع سيادتكم؟

ذهب قائد الشرطة بعد أن أكتسي وجهه بعلامات السرور والترحاب نحو الباب قائلا في صوت عال :

-تفضلا ... تفضلا بالدخول

دخل الوفد المصري المكون من السفير المصري في كوالالمبور مع ثلاثة أشخاص آخرين يبدو عليهم الهيبة والوقار ثم قال السفير في صرامة وجديه:

-لقد جئنا بأنفسنا لنتابع الجديد في واقعه قتل عالمنا المصري عمر سيف الدين ...

قائد الشرطة : كل الأدلة بالفعل تدل على أنها عملية قتل عمد وليست قضاء وقدر ثم بدء قائد الشرطة في تشغيل احدي تسجيلات كاميرات المراقبة لهم التي تظهر بوضوح صوره قائدي السيارة التي تسببت في الحادثة وما إن قام بتشغيل شاشه العرض حتى لفتت ملامح الجناة احد الجالسين من الوفد المصري والذي يبدو على ملامحه وشخصيته وطريقه ملابسه انه يتبع جهة سيادية عليا حيث قال في نبرة حزم وتأكيد :

- افرايم جارشوم ودان اليعازر

ثم أضاف إن إسرائيل قد أرسلت أقذر ما لديها لقتل أفضل ما لدينا.

بدت علي ملامح قائد شرطة العاصمة علامات الشجب والأدانة قبل أن يعقب :

- إسرائيل .... سيادتك تؤكد ما لدى من شكوك ؟

رد عليه المسئول المصري في حزم :

-بالفعل إن تاريخهم القذر ملوث بدماء الكثير والكثير من علمائنا العرب ليجعلوا لهم دائما اليد العليا في نواحي العلوم خاصة علوم الفضاء والذرة ثم أردف قائلا : حتى الكتاب الذين يكتبون لكشف زيفهم وكذبهم لم ينجوا من تحت أيديهم ...

قال قائد الشرطة في غضب وهو يسعل بشده بعد ان وضع يده فوق فمه :

-أنا لا أستغرب هذه الأفعال القذرة منهم ولكن لا نسمع بتلك الحوادث في وكالات الأنباء العالمية أو في الإخبار المحلية التي تأتينا ....

رد عليه المسئول المصري في نبره لا تخلو من الحزن والحسرة :

-لأنهم هم المسيطرون على كل أنواع الميديا في كل بقاع الكره الأرضية وذلك هو نهجهم دائما في اغتيال العلماء العرب والمسلمين فمنذ قيام ذلك الكيان الصهيوني وهو يتبع سياسه "العالم الذي لا تستطيع شرأه أغتله ".

ثم سكت هنيهة قبل أن يقول في كمد ومرارة:

- لقد قتلوا عالمتنا الفذة سميره موسى أو كما كان يطلق عليها ميس كوري الشرق و التي كانت تجرى أبحاثا عن التواصل الحراري للغازات حيث صدمتها سيارة نقل بضائع ضخمه على طريق كاليفورنيا الوعر في الولايات المتحدة الأمريكية ثم كاتبنا الراحل جمال حمدان مؤلف أكثر الكتب فضحا لأكاذيبهم مثل كتاب (اليهود انثروبولوجيا) وكتابه الأخر (اليهودية والصهيونية) حيث وجدنا الراحل محروقا داخل منزله.

عقب السفير المصري علي كلام زميله قائلا:

-وأيضا عالمنا العظيم مصطفى مشرفه أول من اجري أبحاثا على القنابل الهيدروجينية حتى ان اينشتاين قد وصفه بأنه واحد من أعظم علماء الفيزياء وسمير نجيب عالم الذرة المصري الذي قد قرر أن يعود إلى بلده ليخدمها بعلمه وأبحاثه بعد نكسه ٦٧ حيث

هو الأخر قد تم دهسه بسيارة نقل ضخمه ويحي المشد وأبحاثه في هندسه المفاعلات النووية وسعيد بدير عالم الطاقة الذي قتل برصاص شخصين منهم أيض.

- ثم أردف قائلا وهو ينظر محدقا لعيني قائد شرطة العاصمه الماليزيه :

- الموضوع يتابع في مصر على اعلي مستوى ونرجوا منكم اتخاذ اللازم كما عهدناكم دائما ...

* * *

الفصل الرابع عشر

أنصت حابى وسيف الدين لحديث كبير الكهنة حيث وضح من كلامه أن بداخله بركان من الغضب تجاه فرعون وجنوده وقومه حيث قال في نبره لا تخلو من الحنق والضيق : الأرض أرضنا والكلاء والملاء والهواء حقنا جائونا غزاه حفاه عراه في أعوام جدب وفقر حتى كادوا أن ينقرضوا من على وجه الأرض تسللوا واحدا تلو الأخر وأسره تلو أسره وما إن أتتهم الفرصة حتى استغلوها فانتشروا بيننا كالنار في الهشيم حتى فرقوا شملنا وافسدوا علينا حياتنا استغلوا ضعفنا و تفرقنا شاهدوا حقولنا وثمارنا ومياهنا ففضلوا البقاء بيننا على الترحال فتسموا بأسمائنا ودنسوا عقائدنا حتى نبي الله موسى حاربوه بكل ما أوتوا من قوه حتى أبناء قومه قتلوهم صغارا وكبارا ثم أردف في حزن إنها عقيدة الكفرة والمنافقين دائما حتى إن كبيرهم هذا الفاجر فرعون قد ادعى الإلوهية حتى معابدنا دنسوها بوثنيتهم فرضوا ضرائب باهظة على الفلاحين والعمال والحرفيين حتى نحن الكهنة لم نسلم من بطشهم صمت هنيهة ناظرا إلى السماء ثم أردف قائلا : هاهي السماء قد غيمت ثم مد يده أمامه من شباك الغرفة قائلا أنها تمطر

يا حابى أنها تمطر يا سيف الدين انه لفأل خير أنها بشارة من السماء تجمعت الدموع في عين الكاهن ومن معه .... دموع الم وأمل ... ألم ماضي كئيب حزين وأمل مستقبل واعد سعيد ثم طلب منهم أن يتبعوه إلى السلم الداخلي المؤدى إلى سطح المعبد صعد الكاهن وخلفه حابى وسيف واثنان من الكهنة ... حيث كان السلم شاهق الارتفاع صعد الجميع مهرولين بأقصى سرعه خلف الكاهن حتى وصلا إلى الأعلى قبل أن يهرول إلي ناحية نهاية السطح من اتجاه الجرف ثم أشار الى الأسفل قائلا لرفاقه الذين هرولوا هم الاخرين حتي لحقوا به والتفوا حوله في نبره حزن و أنين : هنا ترقد أجساد الشهداء الأبرار الأطهار الذين حاولوا مقاومته فمجرد شك واحد ... مجرد شك في أي احد منا أو من الفلاحين البسطاء الذين يقيمون حولنا كانوا لا يتوانوا في قذفه من هنا .... مرت لحظات من الصمت المطبق حتى أشار ناحية الصحراء من الناحية الغربية وهو يقول لهم متحمسا :

- من هنا سوف يأتوا.

من هنا سوف يأتوا أخذ يكررها مرارا وتكرارا حتي بدا حابي وسيف الدين يشكون في قواه العقليه ولم تمر دقائق إلا وقد لاح

غبار كثيف يكاد أن يعمى أبصارهم وحينها قال الكاهن وهو يصرخ ضاحكا بعد أن أستبدلت ملامحه الحزينه بابتسامه عريضه وكأنه لم يحزن قط :

-هاهم قادمون .... هاهم قادمون انه جيش أحمس أنى اعرفهم من رائحتهم الطيبة التي تملئ الجو ... أني أعرفهم.

كان الغبار كثيف لدرجه انه أصبح من المستحيل الرؤية من خلاله ولكن ما هي إلا لحظات ولاح لهم جيش أحمس و بدأ يتسلل إلى أذانهم قرع طبولهم وهنا بكى حابى قائلا :

- أنها أعلام طيبه في المقدمة.

ثم أشار بيديه ناحية الجيش صائحا :

-أين أنت يا اتوم ليتك معنا الآن ... ليتك معنا ... ليتك معنا ثم أجهش بالبكاء وتبعه سيف الدين ومن معه.

بدا الجيش لهما كثيفا مهيبا يسد الأفق ومع اقترابهم كانت أناشيد الجنود تثير حماسهم أكثر وأكثر ثم تركهم الكاهن متجها بسرعة نحو بقايا برج وحيد موجود أعلى سطح المعبد حيث صعد سلالمه الحديدية في حماسه ورشاقه شاب صغير بالرغم من كهولته حتى وصل إلى الساري الخالي من أي علم أو شارة ثم كشف عن

ملابسه ليخرج قطعه كبيره من القماش التي بدأ في تركيبها على الساري ثم سحب الحبل حتى بدأت الراية ترفرف فوق المعبد والتي كان مرسوم عليها من ناحية التاج المزدوج شعار مينا موحد القطرين ومن الناحية الأخرى رسم لحورس ممسكا برأس مقطوعة لأحد أعداء مصر ثم عاد إلى حيث يقف حابى وسيف الدين قائلا لهم بصوت عالي متحمس أنا لم اشك لحظه واحده في قوه جيشنا وعزيمته وبسالة قائده وجنوده وكفائه تدريبهم وكمال سلاحهم وعتادهم ثم استدار قائلا :

-انظروا إلى جيشنا العظيم في حربه المقدسة...

حابى : أريد أن انزل حالا لانضم إليهم ...

الكاهن : من هنا إلى هناك مسيره يومان عبر تلك الغابة التي أتيتم منها حيث تنتهي ببحيرة من التماسيح لن تستطيع عبورها.

سيف الدين : ألا يوجد طريق مختصر ؟

الكاهن : بالطبع يوجد طريق مختصر وهو طريق الموت من هنا قالها وهو يشير إلى سفح الجرف حيث يرقد أسفله رفات الشهداء الذين لقوا حتفهم على أيدي فرعون وجنوده.

ثم أضاف قائلا :

-كل منا جندي في مكانه بخدم بلاده من موقعه.

ثم صمت الجميع ناظرين إلى الجيش الذي بدأ يقترب أكثر وأكثر حيث كان المنظر مهيبا بمقدمه الجيش المكونة من حمله الإعلام وقارعوا الطبول ونافخي الأبواق وكان أول من لاح لهم هو أحمس يمتطى عجلته الحربية ببسالة وشجاعة وسط ألاف الجنود يمسك بيده اليسرى لجام خيول عجلته الحربية وبيده اليمنى يمسك سيف عظيم حاد يلمع نصله تحت أشعه الشمس كان الجمع يسير في تناسق بديع يقرعون بسيوفهم على دروعهم مصدرين أصوات تقذف في قلوب أعدائهم الرعب حيث يتقدمهم قاده الجيش ممتطين عجلاتهم الحربية خلف عجله أحمس يليهم الخيالة يتبعهم الرماة حتى بكى كل الموجودين فوق سطح المعبد من عظمه المنظر وسط صيحات التشجيع و الترحاب ببوادر النصر ...

***

الفهرس